

محمد حسنين هيكل

صناعة القرار الأمريكي .. الآن!

بعد احتلال العراق :
مستقبل
النظام العربي
أحمد يوسف أحمد

الأهلى والزمالك
ظاهرة رياضية
اجتماعية سياسية !
حسن المستكاوى



عن التعليم والحريات
والخصوصية والأمل
«قراءة فيما جرى !»
يحيى الرخاوى

«أنت بيروت»
«أنت لي»
رنا حايك

حروب
السوبرماركت !
تيم لانج

«خريطة» أمريكية
«طريق» إسرائيلي !
أيمن الصياد

حوار الحضارات
على أرض المغرب
سلامة أحمد سلامة



رئيس التحرير
سلامة أحمد سلامة
رئيس التحرير الفني
حلمي التونسي
مدير التحرير
أيمن الصياد

الكتب وجهات نظر

في الثقافة والسياسة والفكر

تصدر عن:
الشركة المصرية
للنشر
المصري والدولي

رئيس مجلس الإدارة
إبراهيم المعظم



السنة الخامسة
العدد الرابع والخمسون
يوليو ٢٠٠٣

عضو مجلس الإدارة للتب للإنتاج
أحمد الزنادي
البحوث والمناصب
هديل غنيم



كتاب العدد :

١. أحمد يوسف أحمد... مدير معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية
أيمن الصياد .. صحفي.
٢. تيم لانج .. أستاذ السياسة الغذائية بجامعة سيتي
جوانا بليتمان .. صحفية بريطانية
٣. حسن المستكاوي .. صحفي.
٤. رنا حايك .. صحفية لبنانية.
٥. سلامة أحمد سلامة .. صحفي.
٦. عبد العليم الأبيض .. الوزير المفوض الإعلامي في واشنطن سابقاً.
فتح الله الشيخ .. أستاذ علم الطباعة بجامعة جنوب الوادي.
٧. محمد حسنين هيكل .. صحفي.
٨. محمود عبد الفضيل .. أستاذ الاقتصاد بجامعة القاهرة.
٩. محمود الورداني .. ورائي وصحفي.
١٠. يحيى الرخاوي .. أستاذ الطب النفسي بجامعة القاهرة.

رسوم العدد للفنانين :

محمد حجي - سعد الدين شحاتة - محمد حاكم



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعائم ورقية
أو غير الحاسبات لكل أو بعض المقالات المنشورة أو أجزاء
منها - بغیر این کتبسی مسبق من الناشر.



المراسلات :

الشركة المصرية للنشر العربي والدولي
٢ ميدان طلعت حرب - القاهرة - جمهورية مصر العربية
ت : ٢٣٠١٩٠ / ٢٣٠١٩٢ / ٢٣٠١٩٣ - فاكس ٢٣٠١٩٨ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني (التحرير) : info@alokotob.com - e
الموقع على الإنترنت : www.weghamazar.com

الاشتراكات :

السنة الواحدة (أشهر عشر عدداً) شاملة أجرة البريد : داخل مصر : ١٠٠ جنيه مصري -
اتحاد بريد غربي : ٦٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا وأفريقيا : ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا
وكندا : ٨٠ دولاراً أمريكياً - باقي دول العالم : ١٠٠ دولار أمريكي.
إدارة الاشتراكات : ٨ شارع سيويه المصري - ص. ب. ٢٢ المينوراما - مدينة نصر
هاتف : ٢٣٣٩٩٠ - فاكس ١٠٨٥١٠٤١ - e-mail : wegah @ alokotob . com

ضمن النسخة :

في مصر ١٠ جنيهات مصرية - السعودية ٢٠ ريالاً - الكويت ١.٥ دينار - الإمارات
٢٠ درهما - البحرين دينارين - قطر ١٥ ريالاً - عمان ريالان - لبنان ٥٠٠٠ ليرة - سوريا
١٥٠ ليرة - الأردن ديناران ونصف - ليبيا ديناران - الجزائر ٢٠٠ دينار - المغرب ٣٠ درهما
- تونس ٤ دينارين - اليمن ٢٠٠ ريال - فلسطين ٦ دولارات
Austria , France, Germany and Italy : EURO 6 - United Kingdom £ 3 - USA \$5.

طبع بطابع الشرق بالقاهرة

محتويات العدد :

- ٣ .. كلمة .. أمريكا ، العراق ، فلسطين ..
- ٤ .. محمد حسنين هيكل .. صناعة القرار الأمريكي .. الأن ..
- ١٨ .. يحيى الرخاوي .. عن التعليم .. والحريات .. والخصوصية .. والأمل .. قراءة فيما جرى ..
- ٢٦ .. أحمد يوسف أحمد .. بعد احتلال العراق .. مستقبل النظام العربي ..
- ٣٣ .. محمود عبد الفضيل .. الصراع على مستقبل العراق .. إعادة إعمار .. أم إعادة شك وتركيب ..
- ٣٦ .. رنا حايك .. أنت بيهوت أنت لي ..
- ذاكرة بيروت ، صور ، أيمن تراوي ، تأليف : أيمن تراوي
- ٤٤ .. عبد العليم الأبيض .. الديمقراطية جهاد المسلمين الأكبر .. رؤية أمريكية .
After Jihad : America and the Struggle for Islamic Democracy
- تأليف : نوح فيلدمان
- ٤٨ .. تيم لانج .. حروب السوبر ماركت ..
- ٥٠ .. جوانا بليتمان .. حمى السوبر ماركت .. أعراض جانبية ..
- ٥٢ .. حسن المستكاوي .. الأهلئ والزمالك .. ظاهرة رياضية واجتماعية وسياسية ..
- ٥٨ .. محمود الورداني .. منهج التاريخ الغربي .. هوية مصر .. ولحظاتها الكبرى ..
- كل رجال الباشا .. تأليف : خالد فهمي / الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة
عربي في مصر .. تأليف : جان كول .. وترجمة : عنان الشهاوي / الثقافة
الجماعية والحادثة في مصر .. تأليف : ولتر أرمبراست .. وترجمة : محمد
الشرقاوي
- ٦٤ .. فتح الله الشيخ .. الرهبيم .. سيرة حياة مرضى ..
- ٧٠ .. أيمن الصياد .. قراءة .. خريطة .. أمريكية وطريق .. إسرائيلي
- ٧٢ .. إصدارات جديدة ..
- ٧٣ .. رسائل ..
- ٨٢ .. سلامة أحمد سلامة .. ثون .. حوار الحضارات على أرض المغرب ..

أمريكا - العراق - فلسطين

الشان الأمريكي - العراقي - الفلسطيني.. الإسرائيلي، أو لنقل شجون العرب وهمومهم في بداية قرن جديد يعود بهم.. رغم أن الأرض تدور حول الشمس حكماً.. إلى تحديات ومشكلات منتصف القرن الماضي، لم يغب عن صفحات هذا العدد من وجهات نظر.

فالأستاذ هيكيل يختتم تشريحه للإمبراطورية الأمريكية (كيف ولماذا.. وإلى أين؟) والتي كان قد بدأها بمهمة تفتيش في الضمير الأمريكي، في عدد فبراير ٢٠١٣ (مجموعة المقالات تصدر قريباً في كتاب عن الشركة المصرية للنشر العربي والدولي الناضرة لهذه المجلة).

ودكتور يحيى الرخاوي، ينظر، فيما جرى، ويكتب عن «التعليم.. والحريات.. والخصوصية.. والأمل، مؤكداً ضرورة الإعداد النفسي لمواجهة من نوع آخر بعد أن فقدت الجيوش التقليدية قيمتها، ومحتزاً من شيوخ الإحساس بأنه «لا فائدة من مقاومة من أي نوع أمام تلك القوة الأسطورية الطاغية، ومعتبراً أن «الكارثة، إنما كانت أيضاً، كاشفة، لتحقيق ما نحن فيه، وما نحن ذاهبون إليه، إن لم نقف لننظر بحق».. وتذكّر بصدق.

ويكتب دكتور أحمد يوسف أحمد دراسة منهجية عن «مستقبل النظام العربي» الذي بدا أنه قد يكون بعناوينه ومنطلقاته وأطره أحد ضحايا.. إن لم يكن أهم ضحايا.. ما جرى.

وليس بعيداً عن الهجوم والتجسس.. والحال، العرض الذي يقدمه الدكتور عبد العليم الأبيض لكتاب «ما بعد الجهاد، للقانوني اليهودي الأمريكي الشاب نوح فيلدمان (٣٧ سنة) والذي كان قد أشار عند صدوره قبل أسابيع، كصاحبه. جدلاً واسعاً بين السياسيين والأكاديميين، والذي اعتبر بعضهم (إدوارد سعيد) اسمه، عنواناً، على نوع التخطيط الذي يقوم به الأمريكيون للعراق. إذ ذكرت الأنباء أن فيلدمان سيكون المسئول عن إعداد دستور عراقي جديد وأنه خبير لامع في القانون الإسلامي نشأ يهودياً محافظاً ودرس العربية منذ أن كان عمره ١٥ سنة. لكنه.. يقول سعيد.. لم يمارس القانون في أي بلد عربي، ولم يزر العراق (ذكرت الصحف أن زيارته للمنطقة اقتصرت على زيارات عائلية لأقربائه في إسرائيل) وبالنسبة إلى إهانة صريحة، ليس فقط للعراق، بل للأولف من القانونيين العرب والمسلمين الذين يمكنهم القيام بمهمة كهذه خدمة لمستقبل العراق بدلاً من هذا الشاب عديم الخبرة..، إنه وبالتأكيد احتقار ما بعده احتقار، والتعبير للمضكر الفلسطيني والأكاديمي الأمريكي.



وماذا عن الشان الفلسطيني المتفاعل.. دماً وسياسة.. يوماً بعد يوم؟ إل قراءة، هذا العدد هي لصورة صحفية مفعمة بالإنجازات، ترسم ظللاً لها ربما «الخريطة الأمريكية.. والطريق الإسرائيلي، أو إن شئت فقل أن تبدل مواقع الصفة والموصوف.. لا فرق.

وجهات نظر

■ ■ ■ سيقطل مثبّر ثلاثين عاماً ما تحرس الإدارة الأمريكية على ترديده في كل مناسبة من أن «الانتصار الأمريكي على العراق قد أوجد فرصة هائلة لإحلال السلام في الشرق الأوسط».. (كوندوليزا رايس ٥/١٥)، فحسب المتواتر من أخبار النصف الثاني من القرن العشرين لم يكن العراق يوماً عقبة «حقيقية» على طريق السلام «المفترض» هذا.. اللهم إلا إذا كان هناك من يريد أن يذكركم بأيام السادات وقمة بغداد (١٩٧٨) وكل هذا قد بات فعلياً في دمة التاريخ منذ زمن طويل.. ولم يبق منه غير ذكرى عنتريات جفوا بعد أن انشغلت بغداد.. أو شغلت.. وشغلت معها العرب جميعاً بحرب «الفرس» تارة وبالد.. المحافظة التاسعة عشرة، تارة أخرى قبل أن تدخل مكيبة بالديكتاتورية سجنًا أمريكيًا إضافيًا من الحصار والتجويع، لم يرحم طفلاً ولا مريضاً، لإثني عشر عاماً كاملة.

هل هذا هو العراق الذي يريد الأمريكيون أن يفهموا أنه كان العقبة في طريق السلام.. وعلينا أن نتفاهل الآن بعد أن سقطت تحت الاحتلال ودخل في دائرة المفوضى لعقد إضافي من الزمان والعذاب؟

تذكّر.. وتصصح لنا السيدة رايس.. أن الإسرائيلييين هم الذين قصفوا المفاعل العراقي في حين لم يمس العراقيون.. ولا غيرهم.. مفاعل ديمونة بأي أدنى (إذا استبعدنا المذكرات الدبلوماسية وحماس الفضائيات ورسوم الكارتون).

هل علينا إذن أن نصالح مستشارة الأمن القومي الأمريكي وننتخب بأن الطريق إلى السلام صار مفتوحاً ومهدداً بعد أن نجح الأمريكيون في إزالة «العقبة العراقية الكدوة»؟

إن ذلك يعني ببساطة أن ننسى حقائق الثلاثين عاماً الماضية (والعرب على أية حال ينسون) كما أن علينا أن ننسى (أو نتناسى) مبادرات السلام «الحقيقية» في السنوات الأخيرة.. وأن الذي رفضها أو التفت عليها كان الإسرائيليون.. وأن الذي تجاهلها أو أجهضها كان الأمريكيون.. وآخرها.. ولعلنا لم نُس بعد.. مبادرة الأمير عبد الله التي تبناها العرب.. بمن فيهم العراق الذي كان.. على مستوى القمة في بيروت قبل عامين.. ورد عليها شارون (فوراً) بما يتباح رام الله.

هل يمكننا إذن.. رغم كل ذلك.. أن نهم تصريحات السيدة رايس من ريمع بين الاحتلال الأمريكي للعراق والفرصة التاريخية للسلام في الشرق الأوسط، إلى أننا ما فقتت الصحف العربية على تكرارها، مطمئنة صومها ربما، أن الذي سيبلنا إلى الحصول على جائزة سقوط بغداد؟

نعم.. فالسيدة صادقة وتعرف ما تعنيه.. ويبقى أن نعرف نحن أيضاً.. فالعنى هنا ليس في بطن الشاعر.. بل في الأوراق الملونة الرسمية أو شبه الرسمية المذكرات وتقارير تحمل شعارات لجهات تابعة للإدارة الأمريكية أو لماركز استراتيجيية قريبة منها.. تشرع (أو يقرأ) ثم يترك.. وهم قليل للأسف) الصلة التي تتحدث عنها رايس ولا نريد أن نراها بين احتلال العراق والسلام/ التسوية في الشرق الأوسط (حسب المفهوم الأمريكي/ الإسرائيلي) وهو الأمر الذي بات واضحاً.. رغم غفلتنا أو حاجة بعضنا إلى تجاهله.. كما لم يعد فيه جديداً يقال (راجع قراءة الأستاذ هيكيل لأوراق الإدارة الأمريكية، في أكثر من عدد لدوهمات نظر.. وكذا عرض د. عزمى بشارة للمذكرة القديمة في يوليو ١٩٩٦ إلى رئيس الحكومة يتناهي من تنبئاهو من منظر السياسة الأمريكية الجدد ريتشارد بيرل ودوجلاس فيث وادفيس وإرمز.. وجهات نظر: يونيو ٢٠٠٣)

صناعة القرار الأمريكي الآن

محمد حسنين هيكل



ليس هناك وطن أو أمة
أو دولة تتنام في المساء وتستيقظ
في الصباح، فإذا هي قوة إمبراطورية
غالبية، قادرة على تطويع
غيرها وحكمه



أولاً:

إمبراطورية
قطاع خاص!

تظل الإمبراطورية الأمريكية قضية أساسية تستند إلى البحث والدرس، وبعدها فإن ما جرى ويجري في العراق طوال الأسابيع الأخيرة. عملية معارسة لقوة هذه الإمبراطورية تشير الألم والوجع، وسوف تظل كذلك حتى يجيء الألوان ويتمالك العالم أعصابه وإرادته. لكنه بدون البحث والدرس في القضية الأساسية فإن تناول للممارسات سطحي، وكل وصفة لعلاجها مهدى، يدارى عليها ولا يداويها!

وعليه فإن الوقوف أمام المشروع الإمبراطوري الأمريكي سواء في ذلك نظرياته المتطورة مع الوسائل الحديثة، أو رجاله المتفكرون مع العصور المستجدة - هو الذي يشرع ما جرى ويجري في العراق (وربما في غيره)، ويكشف كيف جاء رجال من أمثال «ريتشارد تشيني» (نائب الرئيس الأمريكي الحالي)، و«دونالد رامسفيلد» (وزير الدفاع ومهندس حملة العراق)، و«بول وولفويتز» (مساعد وزير الدفاع) و«ريتشارد بيرل» (رئيس لجنة سياسات الدفاع السابق) - فأمسكوا بمفاتيح القرار الأمريكي، ثم فتحو الأبواب على آخرها واحتلوا واحدة من أعلى العواصم، وأغناها إسهاما في الثقافة العربية الإسلامية، وأبرزها تأثيراً في المحيط الحضاري الإنساني الأوسع والأكثر.

وليس أشد إثارة لململ في الفكر العربي المعاصر من هؤلاء الذين ينسبون كل وقائع التاريخ إلى تدبير المؤامرة. غير أولئك الذين يتوهمون أن الإمبراطورية مبررة خيرية، وأن مطالب الهيمنة دعوة هادئة ورشيرة تشع من البيت الأبيض الأمريكي، أو من وزارة الدفاع (البنتاغون) أو من مفار الشركات العملاقة - أو من مراكز الأبحاث والدراسات الاستراتيجية ابتداء من مجلس العلاقات الخارجية، في نيويورك وحتى مؤسسة «راند» في كاليفورنيا.

وداعى الملل أن أصحاب نظرية التاريخ المتأمر، ومعهم أنصار نظرية الهيمنة العذراء - كلاهما يشير الخبار والدخان من حول واقع الحال، ومجمله أن العلاقات الدولية صراعات قوى، ومصالح تمارس فعلها بالنار، وتندفع إلى سياق الحياة بأقصى سرعة يسمح بها العقل والعلم، وهي تجرب فرض إرادتها بكل الوسائل. علنا وسرا - إقناعا وقسرا - حربا مكشوفة أو تريصا في الظلام. وهنا فإن التاريخ يصعب - جزأه - اعتباره مؤامرة مستمرة، لكنه في اللحظة نفسها يصعب - إطلاقا - اعتباره فردوسا للأطهار!



والواقع أن تاريخ الإمبراطوريات يكشف أشياء، كما أن تجربة هذه الإمبراطورية الأمريكية تضفي إلى الكشف القديم أشياء أكثر، لأن هذه الأخيرة ظاهرة مستجدة، كما أن صناعتها طراز مختلف عما سبقه على نفس الطريق، فلم يحدث من قبل أن اختلطت المشروعات الإمبراطورية الكبرى بالمصالح الشخصية المباشرة كما يحدث في حالة المشروع الإمبراطوري الأمريكي اليوم، وأول الأسباب أن التجسرة الإمبراطورية الأمريكية في الجانب الرئيسي منها - مشروع مالي (شبه خاص) - وهنا اختلاف عما سبقه. ومع التسليم بالعلاقة العضوية بين الإمبراطورية والثروة فإن المشروع الأمريكي غير ترتيب العلاقة ونيل تركيبها، وجاء بأحوال غير مسبوقة في نشأة الإمبراطوريات والقيامها.

وهذا يكون مناسباً طرح عدد من الابهيات قبل الاستطواد في الموضوع: ١. منها أن «الإمبراطورية» حلم لا يقوم على المزاج الشخصي لأيير أو ملك أو رئيس يستهويه أن يسمى نفسه إمبراطورا، (مثل «هيلانلاس»، الذي اتخذ لقب إمبراطور إتيوبيا) (لعموم إفريقيا) في أوائل القرن العشرين، أو مثل «بوكاسا» الذي قام بوضع تاج على رأسه في أواخر نفس القرن إمبراطورا على طريقة «نابليون»، فتلك وغيرها من

في الشروة فاق الحدود في بعض الأحيان . لكن نسق الحقائق يبقى جليا طول الوقت،

أى ظلت الإمبراطورية مشروعا وحافزا عاما لشعب أو أمة تعبر عنهما إمارة أو مملكة أو دولة تحصلت على أدوات التهمة والقوة.

وطلت خطوط الأفراد في الشروة . قالية للإمبراطورية (حتى وإن مشيت بعض اللطالع على مسئوليتها تشهد وتجس الأرض وتستكشف) - أي أن المكاسب الرأسمالية الطائلة كانت مثل الحرية تجيء وراء القاطرة وليس قبلها.

هـ. وظلت الإمبراطورية موقع القيادة، لا ترضى للقوة أن تشروط وراء الطمع بغير تدبير، ثم إنه بعد أن تؤدي القوة دورها الإمبراطوري المحسوب، يكون للفرصة أخشعية أن تبحث عما تريده حيث تجد!

[وعلى سبيل المثال تظلل الإمبراطورية الأسبانية في أمريكا اللاتينية في بعض جوانبها قصة نداء صياقتها وتستند روايتها في تجارب إمبراطورية متعددة، فقد اشتهرت بدايات ذلك العصر الإمبراطوري الأسباني بأهـ القرن الذهبي لأسبانيا، وعلى طول ذلك القرن فقد خصص الملوك الأسبان أقوى أساطيلهم في المحيط الأطلسي لجلب الذهب، وقد عرف هذا الأسطول باسم «أسطول الكنوز»، وكانت سفنه هي الأحدث والأسرع، والحاصلة لأقوى المدافع، وقادته أصبح أمراء البحر الأسبان.

وكانت كنوز ممالك «مونتزوما» في المكسيك، «الانكا» وسط جبال «الأنديز» هي نهر الذهب الذي سال وقاض، حتى أعيد صب قناطر منه، مرة على شكل سريمر من الذهب الخالص، تستقبل عليه الملكة «إيزابلا الثانية»، عشاقها في قصر الأنكوزين (ضاحية مدريد الجميلة).

أي أنه بصرف النظر عن سفاهات الملوك والباطرة، فإن قواد حملات جلب الذهب الأسبان مثل كورتيز، (الذي نهب كل ما عثر عليه من ذهب مملكة «مونتزوما»)، ومثل «بالبا»، (الذي نهب الذهب قبائل أمريكا الوسطى)، عملوا باسم الملوك ولحسابهم، حتى أن «بالبا» عندما عبر برزخ بنما كان في القرب إلى الشرق ورأى المحيط الهادي أمامه، قام بسرعة بتعطيل

محركات نظير



نزوات البشير) - بل يقوم الحليم الإمبراطوري على ضرورات أمن وطني، ومطالب صراع دولي، وحفاظ سباق نحو التوسع والثروة على اتساع القارات وعبر المحيطات، كما حدث في التاريخ الحديث مع إمبراطوريات البرتغال وهولندا وأسبانيا وبريطانيا وفرنسا (وغيرها).

٢. ومنها أن الإمبراطورية، لا تظهر وتكبر بطريقة عفوية وتلقائية، وإنما تنشأ وتكبر بدرجة من القصد والجهد تشوئ تصميم وهندسة المشروع الإمبراطوري، وتقوم على توجيه حركته، لأنه ليس هناك وطن أو أمة أو دولة تلام في المساء وتستيقظ في الصباح، فإذا هي قوة إمبراطورية غالبة، قادرة على تطويع غيرها وحكمه، وإنما يشكل أي مشروع إمبراطوري بضرورات، ومطالب، ووسائل، وأدوات وأصابع وفاعلة، وحتى إذا بدت نشأة المشروع الإمبراطوري حليما فإن ظهور الحليم - خلافا للوهم - سعية الدوب والمقتدر إلى تجاوز الحدود لتحقيق طلبه خطوة واقعة، بعد خطوة واقعة.

٣. ومنها أن الإمبراطورية في تلك الأحوال كانت مشروعات كبرى لشعوب وأمم ودول، تحصل بها الأمراء (مثل «هنري الرابع» في البرتغال)، والملوك (مثل «إليزابيث الأولى» في بريطانيا)، والوزراء (مثل «كولبير» وزير «لويس الرابع عشر» في فرنسا)، وكان هؤلاء الأمراء والملوك والوزراء هم الذين وجهوا رجالهم إلى ركوب البحر واجتياز البر (مثل «كريستوفر كولمبس» الذي اكتشف أمريكا لحساب ملوك أسبانيا - ومثل «فاسكو داجاما» الذي اكتشف طريق رأس الرجاء الصالح إلى الهند لصالح ملوك البرتغال، وأقام مستعمرة أنجولا على الشاطئ الغربي للشاطئ الإفريقية ومستعمرة موزمبيق على شاطئها الشرقي، ومثل «كاريك» غازي الهند ومؤسس حكومتها البريطانية في «كلكتا»، ثم في «دهلي»)، وألغى أن الإمبراطورية كانت دائما مشروعا عاما يحمل رمزا ملكيا، ويحمل راية وطنية، ويسمى مصلحة عليا، وهو بهذا التكليف يحرك الأساطيل ويوجه الجيوش، ويغزو البلدان، ويحكم الأقوام، ويستولى على الثروات.

٤. ومنها أن الإمبراطورية على طول الزحف الإمبراطوري من القرن الخامس عشر وحتى القرن العشرين كانت مجلبة للمنافع العائمة، كانت اقتصادية والاستراتيجية، وسيلة لتكديس تراكم

● كان بعضهم يرى أن قناة السويس مشروع فرديسي لا يصلح لبريطانيا أن يشارك فيه، لكن رئيس الوزراء «درايلاي» أجابهم قائلاً: «ذلك الذي كان في بالكم حينئذ هو أن ذلك الآن في بالنا». فصرح «درايلاي» بأن بريطانيا لا يتغير للمستوطنين منه في وقتنا، لأن قناة السويس العرب يطرق إلى الهند، وعلى بريطانيا أن ترضى الآن ما قالها بشراء حصة تقارب النصف من شركة قناة السويس (وهي حصة مصر).

(وكان بعضهم يتخوف من أن شركة قناة السويس اشتريت لكي تعطى حصة لخصوم مصر، أن تكون أسهمه صامتة ليس لها حق في التصويت في مجلس إدارة الشركة، أي أن المصالح الخبيثة هي التي تسيطر على الشركة).

● لكنهم حق الحضور دون حق الكلام، ورد «درايلاي» بالإنجليزية بأن الأعضاء المستعدين للإيجاز، «أشادوا» إلى أن الحصة التي حصلت عليها مصر هي حصة كبيرة.

ولعل محاضر مجلس الموم
البريطاني، بيانات مجموع يوم ١١ فبراير
سنة ١٩٦٨، تقدم نموذجاً دقيقاً لمعالجة
العام والخاص في الشروع الإمبراطوري،
كان اجتماع المجلس العموم يومها
مخصصاً لبحث نقاشات واحدة من
الخطبات الإمبراطورية المشهورة في
التاريخ البريطاني، هي سقفة كران
حصية مصر في شركة قناة السويس، وكان
مقررًا لمصير (إسماعيل باشا)، قد
عرضها للبيغ مقابل الملايين من
الجنهات الذهبية، ويامير رئيس الوزراء
البريطاني، وقتها، بنيامين دزرائيلي،
رواه اليهودي الوحيد الذي وصل لكراسية
الوزارة البريطانية حتى اليوم (١) في قول
العرض، وأن المجلس العموم البريطاني
كان في إجازة. ولأن الخزنة البريطانية
كانت تستعبد تدبير مقاسم، هذا المبلغ
سرا (٢) في لافرف به نقاش، من قبل
ولأن تدبير المبلغ كان لا يند (٣) يحصل
بسرعة (٤) من مبرر وتجنح وصول
النشوب (٥) إلى خديو - «بنينسيان»
دزرائيلي، قام بإقناع عائلة «روتشيد»،
المبلغ الخسوف لتكملة البريطانية
بمخيمه. في ط ٤٠ ساعة، ك تجمله

كان وزير الخزانة السيستانفورد بركوكوتو، هو الذي عرض مشروع القرار، ولكنه عندما تمحورت المناقشات وقف رئيس الوزراء «دزرايلي» بنفسه يرد على تساؤلات واعتراضات عدد من أعضاء المجلس انتقدوا الصفقة بما فيها «توسيل» -توسيل- متسايلين عن سبب الاستغالة بيت مالى، وتركز الكثير من سخطهم على حجم عوئلت

ولعللت أصوات المعارضين فى مجلس العموم ذلك اليوم.

أوربما يتذكر البعض أن شركة «فينيل»، التي وقع هجوم إرهابي في أوائل شهر مايو الماضي، على المجمع السكني المتميز لموظفيها في عاصمة السعودية، بدأت كشركة أعمال حراسة تتولى تأمين مقعد الرئاسة بالبلاد، فخلطت أنساب

لعدد الرابع والخمسون، يوليو ٢٠٠٣ م



هي الأقل بعداً أي أمريكا اللاتينية، وهكذا بدأت على سبيل المثال مغامرة «جون روكفلر» الكبيرة في البحث والتفكير، عن بترول «هنزويلا»، ثم في غيرها، حتى جاء الدور بعد ذلك على «العميد في آسيا وفي الشرق الأوسط». وفي «هنزويلا»، كان متوسط دخل «روكفلر» من مغامرته عشرة ملايين دولار سنوياً، وهو في ذلك الوقت مبلغ يوازي نسبة ستة في المائة من الدخل القومي الأمريكي، وعندما طلب «روكفلر» حماية الدولة الأمريكية فإنه كان يعتقد بحق مكفول له. كان «روكفلر» قد استعمل في تأمين مصالحه في «هنزويلا» وسائل مرمية، منها نقل قبائل كاملة من مواطنيها، وإياد مجتمعات بأسرها من وجه الأرض، وعندما تعرضت مصالحه للخطر، أصبحت حاجته ملحة إلى سلاح الدولة الأمريكية يلحق بشركته. وكانت تلك نقلة محورية على طريق الإمبراطورية.

ولم تكن مغامرة «روكفلر» قصة فريدة من نوعها، بل كانت نموذجاً تكرر عشرات المرات، ولم تقتصر المغامرات المالية على الزراعة والبترول، وإنما توسع النشاط ليشمل كافة مجالات استغلال الموارد الطبيعية ومصادر الثروة الظاهرة والكامنة إلى درجة الاستيلاء على البلدان والأسواق بكاملها بشكل أثار القلق.

وربما أدرك «روكفلر» وغيره، أن عملياتهم الماهرة تبدو لكثيرين فرصة عسوائية، وكان اجتذابهم أنها تحتاج إلى قناع، ويبدأ «روكفلر» وغيره، أن أفضل وسائل التخفي هو تحويل مصالحهم من شركات استغلال لمصادر ومكتشف، إلى بيوت مالية للاستثمار لدير أعمالها من قواعد بعيدة، وتستتر وراء واجهات واسلة تحمل لافتات أكثر احتراماً، وكذلك أنشأت أسرة «روكفلر» مجموعة بنوك اندمجت مع بعضها فيما بعد، والتحت أخرون بحشد هائل شهير أنشأته هو مجموعة «تيفيز مانهاتن باليك»، ومشى أخرون بحشد أسرة «روكفلر» على نفس الطريق.

وكذلك أصبح بنك الاستثمار واجهة للنشاط الرأسمالي الأمريكي، أكثر دكاءً وخصافة في تقسية المصالح من ناحية، وفي تدبير حمايتها من ناحية أخرى بتبليغ السياسة وتحضيرها لمهام شبه إمبراطورية، ثم إلى مجموعات بنوك الاستثمار أصبحت أهم «جماعات الضغط» التي حرضت على التدخل الأمريكي العسكري في الحرب العالمية

الأولى، وجرت الولايات المتحدة وإعما عبر المحيطات، ودفعتها لإرسال الجيوش عبر القارات تحمي مصالحها، وتعرض لها حقاً في شراكة حيوية مع المصالح الإمبراطورية الأوروبية المتسيدة وقتها (وارثها في الوقت المناسب). أي أن الإمبراطورية الأمريكية وراحت تتقدم خطوة بعد خطوة، رغم أن الدولة الأمريكية بقيت حتى تلك اللحظة بين إقدام وحجام، حائرة بين جموع الرغبة وبين محاذير الخطيئة.

وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى، قدر الرئيس الأمريكي وقتها «ودرو

ويدون» الدخول في تفاصيل متشعبة فقد كانت تلك هي اللحظة التي قررت فيها الرأسمالية الأمريكية أن توفر لنفسها قواعد «شبه السياسية»، وهيئاتها «شبه الحكومية»، ورؤاها «شبه الاستراتيجية»، وكان ذلك تطوراً بالغ الأهمية، شديد السياسية. فباعدة في التجارب الإمبراطورية السابقة أن السياسة (حربية وغير حربية) لا مجال لها خارج إطار الدولة (لأن ذلك تكليفها الأهم). كما كانت العادة أيضاً أن قرار الدولة واقع تحت المسؤولية الدستورية (الحكم). وكذلك كانت العادة أن التخطيط الاستراتيجي اختصاص الأمن القومي (إلا إذا دار البحث فيه داخل نطاق الجامعات وفي مجال فلسفة ودراسة علوم الصراع).

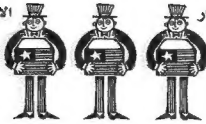
داخل أمريكا (وخارجها) لصلاته وإرثياتها، وفي الحقيقة فإن هذا المجلس كان ظاهرة مستحدثة تماماً في العلاقات الدولية، وقد استطاع إثبات وجوده بتصميم ومثابرة، وفي البداية كانت وسيلته «مجرة التفكير»، لكن مجرد التفكير ما لبث أن أعطى نفسه «إمكانية التأثير»، إلى حد أن هذا المجلس أصبح مجعاً لنشاط أبرز العناصر الضاغطة على حتمية دخول أمريكا ومشاركتها في الحرب العالمية الثانية لكي تضمن لنفسها كلمة مسموعة عند توزيع مناطق النفوذ، وتؤكد حقاً لها في رسم الخطوط المستجدة على خريطة عالم سوف يعاد تشكيله بعد أن تسكت المدافع.

وعندما شاركت الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية قائدة للمعسكر المنتصر، فإنه بهذه المكاية تولت إدارة المواجهة الكبرى التي وصفت بالحرب الباردة، وفي زمن هذه الحرب الباردة تواصل رأس المال الأمريكي، في مناخ طموحه، وقيل الدولة الأمريكية. إلى عدة نتائج:

• أولها، أن الحرب العالمية الثانية انتهت بتوازن جديد في القوى بين الولايات المتحدة (التي تعتبر أنها صاحبة الحق في إرث الإمبراطورية القديمة)، وبين الاتحاد السوفياتي (الذي يؤسس قوله على النظرية الشيوعية، وفي فكرة لها قوة جذب، خصوصاً بالنسبة للشعوب الفقيرة التي تتواجد على أراضيها معظم الثروات الطبيعية في العالم (وأهمها البترول، وبترول الشرق الأوسط)، وبالتالي فإن الصراع العالمي الجديد في أركان أسس منه. صراع أفكار اجتماعية وسياسية.

• وثانيها، أنه والحال كذلك فإن هذا الصراع أخطر من أن يترك لأجهزة الدولة الأمريكية وحدها، فهذه الأجهزة مهما بلغت كفاءتها، مؤسسات بيروقراطية، قد تحسن «تفكير» السياسات، لكنها لا تحسن «صنع الأفكار» القادرة على رسم سياساته، ثم إن الأجنحة العسكرية لهذه البيروقراطية شلكت أهلية استعمال السلاح، لكن المارز أن السلاح الجديد (الذي أصبح ذوقاً لم يعد قابلاً للاستعمال، إلى حين أن ذوقاً) الأفكار هي عدة الحرب الجديدة (الباردة)

وهذه تمارس دورها بدون عوائق أو وادع، والمحصلة أنه



للأمة الأمريكية. نوعاً من الوصية السياسية، تستحق الآن (ويعد كل ما جرى) دراسة بعمق، موضوعية، ورشيدة[.]

في الساعة السادسة من مساء يوم ١٧ يناير ١٩٦١ (بتوقيت واشنطن)، وجه الرئيس الأمريكي إلى الشعب الأمريكي ما أسماه «خطاب الدواع»، بادئاً بقوله: «بعد ثلاثة أيام من الآن، وبعد نصف قرن قضيتي في الخدمة العامة للأمة الأمريكية، سوف أقوم بتسليم مسئوليات منصبى إلى خلسى الذى وقع عليه اختياركم (بجون كينيدي).»

وهذا المساء فإننى جئت إليكم مودعاً ومستأذاً إلى الانصراف، وفى نفس الوقت فإن لدى بعض الهواجرس التى أريد أن أقضى بها لكم حتى تشاركوا فى فيها، وتحملوا أعبائنا إذا رآتم صوابها..

وبعد هذا الاستئذان دخل أيزنهاور، إلى الموضوع الذى ملئك عليه مشاعره، قبل مغادرة البيت الأبيض، فاستعرض: «أريد أن أقول لكم أشأ في الأوضاع الراهنة، خصوصاً في هذا الصراع العالمى الذى نخوضه ضد عقائد دولية معادية للقيم الأمريكية.. سوف أريد أن أذكر من صغيرة وكبيرة، لكنى أريد أن أحذر من غواية التوصل إلى حلين متسرعين واستعراضية للقوق، فذلك غواية مكثفة لأنه ببساطة لا يوجد حل سحري لآى مشكلة من المشاكل..»

ثم واصل «أيزنهاور، كلامه: «إن كل قرار نتخذه لابد أن يقاس بالمعايير اللازمة لحفظ التوازن بين الوطنى والدولى، وبين العام والخاص، وبين الحاجة والواجب، وأن يكون قرارنا فى كل الظروف يربهانا بحفظ السياسة الأمريكية من نزعات الجشع أو الإحباط..»

ثم مضى «أيزنهاور، يقول: «إن دورنا في حفظ السلام العالمى طرأت عليه بحكم مسئوليات الولايات المتحدة، زيادة غير مسبوقه في صناعة الملاح، فقد اضطررنا الطرف إلى توسع في صناعة القرار، فبات كل الحدود، حتى أننا الآن نملك جيشاً قوامه ثلاثة ملايين ونصف المليون رجلاً ونساء، كما يجب أن نوجه إلى الجانب المسمى في الاقتصاد ما يوازى دخل كل الشركات الأمريكية مجتمعة، وهذه ظاهرة خطيرة على حياتنا لأنها أدت إلى نشأة مجمع صناعات عسكرية اقتصادى سياسى يصل نفوذه إلى بعيدى ووطننا،

«نيكسون»، (من مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك)، و«رينجنيو بريجتسكى»، مستشار الأمن القومى للرئيس، «كارتر»، (من مؤسسة بروكينجز)، وحتى السيدة «كونداليزا رايس»، مستشار الأمن القومى للرئيس «جورج بوش»، (من جماعة المشورع الأمريكى).



كان التأثير السياسى المتنامى لرأس المال الأمريكى وتحالفاته ودوائه الطارئة، قد لفت نظرو واحد من أشهر الرؤساء الأمريكىين بعد الحرب العالمية الثانية وهو «دوايت أيزنهاور»، الذى قاد الجيوش الأمريكية (والجيوش الحليفة كلها) إلى النصر ضد الماديا النازية وإيطاليا الفاشية.

وعندما أصبح الرجل رئيساً للولايات المتحدة، فإنه بدأ يرى ويتابع الظاهرة الجديدة المتداخلة مع دور الدولة الأمريكية، والضاغطة عليها لدفعها دها على الطريق الإمبراطورى. وأحسن «أيزنهاور»، بالقلق يستبد به خشية عواقب خطيرة وغير محسوبة على الطريق الإمبراطورى.

وكان أكثر دواعى «أيزنهاور»، إلى الإحساس بالقلق من الانزلاق (بأسرع مما هو لازم)، «دور رأس المال الأمريكى»، ونفوذه المتزايد على السياسة الأمريكية، مستعينا في ذلك بدور مؤسسات الفكر وطاقاتها الممتعة المتوهجة.

ووجد «أيزنهاور، واجبا عليه مع انتهاء مدة رئاسته الثانية والأخيرة، أن يتبع ويحذر ويجعل من خطاب وداعه

وكذلك ثم عقد صلح تاريخى بين الرأسمالى وبين الفكر، وخفت بشكل ملحوظ حدة التوتر (الطبعيى) بين الطرفين عبر التاريخ»

ولنتيجة لهذا المخطط الذكى لرأس المال الأمريكى نشأت في أعقاب الحرب العالمية الثانية عشرات ومئات المؤسسات تحمل أسماء أصحاب أكبر المصالح («روكفلر»، «فورد»، «رايد»، «كارنجي»، وغيرهم وغيرهم)، وتمتعت حتى أصبحت كل واحدة منها شبه حكومة، تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتى وتمارس نشاطات غير محدودة في مجال التفكير الاستراتيجى، ورسم السياسات، ومتابعة الأزمات، وكتابة الأوراق، واقتراح الحلول، والتفاوض أحياناً، وقد وجد الجميع في صيغة «المؤسسة» تحقيقا شديد الكفاءة لهدفين واضحين:

١. اكتشاف ورصد وإدارة الفضاءات التى تريد المصالح الكبرى أن تعمل فيها وتوسع وتزيد أرباحها.

٢. تم القيام على علاقة صلة قرب من دوائر القرار السياسى وصناعة مداخلها ومخارجها، بما يحقق درجة من التوافق تسمح بتبادل المساعدة والمظلمة الفائدة.

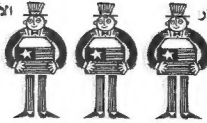
وبالفعل فإنه في أجواء هذه المراكز ظهر وتأنى ومارس الفعل الدولى عدد من أكبر نجوم الحرب الباردة، وبينهم على سبيل المثال معظم مستشارى الأمن القومى لرؤساء أمريكا في الزمن الجديد مثل «مالك جورج باندى»، مستشار الأمن القومى مع الرئيس «جون كينيدي»، (من مؤسسة روكفلر)، و«هنرى كيسنجر»، مستشار الأمن القومى للرئيس

«إد» كان السلاح النووى فى يد البيروقراطية العسكرية غير قابل للاستعمال، وكانت البيروقراطية السياسية بطبيعتها لا تقدر على صنع الأفكار، إن فإن الدولة الأمريكية سوف يتبدى عجزها وتضيق منها الفرصة، لأن جهاز الدولة مفيد عسكرياً، ومحدود فكراً، وعليه فإن المصالح الأمريكية لابد لها أن تأخذ في يدها زمام المبادرة وتكون هى ظل الإمبراطورية. حتى من قبل أن يتكون ويظهر جسم الإمبراطورية».

«وكان رأس المال الأمريكى يبتكاه المصالح والتجارب قد أدرك أن المفكرين عنصر قلق في مجتمعاتهم، وكان ذلك ملحوظاً في الولايات المتحدة نفسها فترد ما بين المخبرين العلمانيين الأولي والثانية) فمعظم المهتمين بشئون الفكر والمستقبل جنحوا لتلك الفترة، دون أن يتمدوا إلى اليسار، وكانت دلالة ذلك أن بعد الحرب العالمية الثانية، وفى وجود الاتحاد السوفيتى وتأثيره، فإن احتمال «جنح الفكر» في أمريكا، لابد من التحسب له، أى لابد من احتوائه في مرحلة، ثم إعادة توجيهه في مرحلة ثانية، وكانت المعضلة في هذه اللحظة الفارقة في البحث من إطار مقبول ومحترم يحوى الفكر المستعد للجنوح، ثم بعد توجيه طلائفه وجوئيته بحيث يضيف ولا يخضع، على حد تعبير آرثر شلزنجر، «المزج الأمريكى الأشهر الذى أصبح فيما بعد أهم مستشارى الرئيس «جون كينيدي» فى البيت الأبيض سنة (١٩٦١)».

«وكان الإطراء الأمثل هو إطار «المؤسسة» (على مثال مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك)، بحيث يكون هذا الإطار جاهزاً لاستقبال وتوظيف مئات وآلاف من المؤهلين لصناعة التفكير، يحصلون فيه على أعلى المكافآت لكن ينطلقوا، ثم تكون أفعارهم من الداخل قابلة للتأثير على الخارج. وليس من الخارج نازلة على الداخل، وذلك وضع وصفه أيزنهاور، «أيزنهاور»، (وكانت التجربة ما زالت تتشكل) بأن هؤلاء الناس «دوى الشعر المتكشش يستحسن أن يكونوا في الداخل وتوجهه أبحارهم إلى الخارج بدلاً من أن يكونوا في الخارج وتوجهه أبحارهم إلى الداخل..»

ومن ذلك التحليل يبدو أن «ترومان» لم يكن قد رأى بعد غير ظاهر التجربة، ولكن نجاحها.. عندما ظهر.. تجاوز تقديراته، وبين الدواعى أن المؤسسة، أحست مكافأة الفكر، وسأوته بمدير الشركة اعترافاً بدوره في الزمن الجديد،



وأن الكل يفتى بمنطق الحل السريع للمشكلة الطارئة، بغير نظر كاف إلى عواقبه.

وأن الكل يفتى وليست أمامه غير خرائط وصور أو معلومات وإحصائيات، أو تفاصيل وأرقام بدون الحس السياسي والمسئولية المترتبة عليه. في الغالب مضللة.

وأن الكل يفتى بادعاء ولايات عامة، بينما واقع الحال أن الولاء لمصالح وضعت أرياب الفكر حيث هم، ومنحتهم تأثيرا غير محدود.

وأن الكل يفتى وله دخل مضمون من مؤسسات مصالح مباشرة وعملية، وفي أحسن الأحوال فإنها الفتوى بالمحاب الباردة محجوبة عن حس الصبر.

ومن سوء الحظ أن الرئيس الأمريكي الذي لح الخطر وأشار إليه سنة ١٩٦١، لم يكن في السلطة، وإنما في القبر عندما تحققت أسوأ مخاوفه بعد أربعين سنة. أي سنة ٢٠٠١. [١]

.....

[يزيد على ذلك أن «دوايت أيزنهاور، كان رجلا قابلا للتصديق، فلو أن غيره قال ما قاله (وهو العسكري المحافظ اليميني الجمهوري) لاتهم بالافتكار السبائية، أو بالعداء لأمریکا، أو بالتطرف الديني، والحقيقة أن «دوايت أيزنهاور، كان نافذ البصيرة إلى درجة لافتة، في توصيفه لأحوال هذه المؤسسات وثوبعية رجالها، وكانت وصيته في خطاب الدواع شبه نبوءة ثبت بالتجربة صدقها حين

بان وأتأكد، أن الكل في هذه المؤسسات يفتى في غير مسؤولية دستورية أو قانونية، لكن قريهم في السلطة يوحى لهم بقوة لا تسك بها ضوابط، وتلك مدعاة إلى الاندفاع.

وأن الكل يفتى في «النظرية، دون ممارسة كافية في «التطبيق».

وأن الكل يفتى بمنطق يوحى بالعلم، لكنه علم يفرض قوانينه دون اختبار، وإذا وقع الاختيار فقد سبق العمل مؤثر على الناس وعلى التاريخ؟

وأن الكل يفتى بمنطق السجدة على القوة والمأخوذ بسطوتها دون إحساس بمأساة الحياة والموت.

والموت، وبذلك فإن الطابع البشري للحرب شحب وغاب لأن قيادات الجيوش راحت تصارع القتل من بُعد مئات الأميال والألاف.

يضاف إلى ذلك أن «أيزنهاور، كان قائد أكبر جيش متحالف في التاريخ، وذلك فرض عليه أن يقوم. إلى جانب دور الجنرال، بدور السياسي الذي يدير علاقات إنسانية متعددة الأطراف وتتعدد فيها الثقافات.

ومعنى ذلك أن «أيزنهاور، عاش التجربة الإنسانية العميقة للحرب في ميدان القتال، في حين يعمشها الجنرالات الجدد على شاشات الصوري مقر معزولة. كما أن «أيزنهاور، تواجد وسط الناس في الحقائق، وانشغل بسياسات فرضتها ظروف تحالف واسع جمعت في إطاره جيوش جاءت من خلفيات ثقافية متنوعة وسط عواصف النار.

وهنا الفارق بين قادة يعيشون البعد الإنساني للصراعات وآخرين تكفيهم لسات أزرار على شاشات».

.....

ثالثا:

السياسة تنام والتلفزيون يصحوف في أمريكا

والإنتاج، وتغييرا في أساليب العيش والراحة أضاف متعا إلى حياة كل يوم، ودرجة من الديمقراطية يصعب إنكارها (على الأقل حتى عهد قريب). لكنه في المقابل استخدم أدوات القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية والمعنوية على نحو مكثف ويتكاثف باهظة على الآخرين وعلى نفسه، لأنه على الطريق إلى ما يريد، جرب السلاح حتى يتفقد وحيث لا يتفقد، وجرب الضغوط الاقتصادية حين يلزم وحين لا يلزم، وجرب العمل الخفي عندما وجد الظروف مواتية للانقلاب أو هيأها بحيث تصبح مواتية.

لكن المشروع الأمريكي وهو يفعل ذلك

■ ■ ■ على مدى أربعين سنة، بعد انتهاء رئاسة «أيزنهاور، أوائل سنة ١٩٦١. وحتى انتهاء رئاسة «بيل كلينتون، أوائل القرن الحادي والعشرين. اختلف العالم وطالت الخلافات حقائق الأشياء كما طالت حركتها.

ففي مواجهة منافسة عسكرية قطع الأنفاس بين الولايات المتحدة وبين الاتحاد السوفيتي، ومنافسة اقتصادية. خطيرة. بين الولايات المتحدة واليابان، ومنافسة سياسية. حساسة. بين الولايات المتحدة وأوروبا. كان المشروع الإمبراطوري الأمريكي يترك، أنه يخوض معركة جسم ومصير، وقد نجح دون شك في تحقيق اختراقات علمية في مجالات العلم

ويؤثر على بيئته الاجتماعية كما يؤثر على اتجاهه.

وذلك يجعلني أشعر بالقلق الشديد، وكذلك جئت اعرض الأمر أمامكم.

ووعلى أن أقول صراحة أن هناك الآن

مجموعة مناصبة عسكرية، مالية، سياسية، وفكرية، تمارس نفوذا غير مسبق في التجربة الأمريكية، ومع أننا

نتفهم الظروف التي أدت لنشأة هذه المجموعة، فإننا لا بد أن نحذر من

وصولها إلى موقع التأثير المعنوي والسياسي والعملي على القرار الأمريكي، لأن ذلك خطر شديد على المجتمع

الأمريكي قبل أن يكون خطرا على غيره. إن مواقع القرار الأمريكي في الدولة

الأمريكية لا بد من حمايتها ضد النفوذ غير المطلوب، وغير المتوازن لهذا المجتمع

العسكري، الصناعي، ولا تكون العواقب كارثية، لأننا بذلك نضع سلطة القرار في

أيدي غير مسئولة لأنها غير مفوضة، وبالتالي لا يصح أن تؤثّر عليه.

وأود أن ألقت النظر إلى أنه إذا وقع القرار الأمريكي رغبة مثل هذا المجتمع

الصناعي والعسكري وأطرافه، فإن الخطر سوف يصيب حريتنا وديمقراطيتنا

الديمقراطية، كما أنه قد يصل إلى حيث يملك

الأمريكيين، والخطط ما بين أمن الشعب الأمريكي وحريته. وبين أهداف أطراف

هذا المجتمع ومصالحهم.

ومن سوء الحظ أن السنورة التكنولوجية التي تتدفق تتلحها على

تأثير اليوم. تساعد أطراف هذا المجتمع الخطر وتزيد من قدراتهم وتكهنهم من

السيطرة على برامج الإدارة ومخصصات إنفاقها، خصوصا أن قوة أموالهم توفر

لهم تأثيرا هاددا التكاليف على مؤسسات الفكر والعلم، على أن أملي معلق بوحي

الامة الأمريكية بالخطر، لأن ذلك الوحي هو الذي يحصر أطراف هذا المجتمع

ويمنع سيطرتهم على الضمير العام وعلى السياسة العامة معاء.

.....

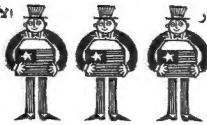
[وكان «دوايت أيزنهاور، قادرا على هذا المستوى من الإدراك السياسي، لأنه كان

آخر الجنرالات الكبار الذين قادوا حروب بشرى في مواجهة بشر، على مستوى

التعبئة الشاملة لأمم وشعوب. وفيما بعد وعندما دخلت

الإلكترونيات مجال السلاح وأحدثت ثورتها في استعماله، فإن الحرب أصبحت

ومضات وإشارات على الشاشات تضئ وتترك دون أن تظهر للعيان مأساة الحياة



هل أصبح التلفزيون صناعات السياسة، وبأية كتابات على الوص، وعلى فرصة الاختيار الحر. وعلى الحقيقة (١٩).

[وكان الزعيم السوفيتي إيليشيف لنيين، يقول، «إن واجب السياسة أن تنهب إلى مواقع تجمع الجماهير لكي تظل على اتصال بها، مؤثرة على فكرها، متصلة إلى عقيدتها. وفي زمانه كانت الجماهير تتجمع في المصانع والتفانيات وفي المدارس والجامعات والقاعات المفتوحة والتظاهرات. وكذلك كان الشيوعيون ينهبون إلى هذه المواقع لممارسة التأثير والتعبية، لكن الزمن الجديد جاء بما لم يتوقعه «ليني»].

والشاهد أن الجماهير الآن لا تجمع إلا لأداء في مكان. والواقع أنها موزعة بين شواغل عملها في الصباح وبين راحة بيتها في المساء، وفي أغلب الأحيان فإنها مشغولة معظم الوقت تطل على الشاشات حيث لا تصل إلا حوار، وإنما مشاهد تتوالى في تحليل فيها الانطباع بعيدا عن الإقناع.

وهنا فإن السياسة سقطت ضحية للتلفزيون لأسباب متعددة، ١. فيها أن التلفزيون يغلب الصورة على الفكرة، وأسقية الانطباع على الإقناع، نقل السياسة إلى عالم المسرح، وفيه المواقع والمنظر والضوء والحوار المرسوم والخروج الموجه، وكذلك يتحول السياسي إلى ممثل مشغول بالآداء في حد ذاته. أولا وأخيرا،

٢. ومعنى ذلك أن الرسالة السياسية مصنوعة على مواصفات يتبعها أكبر قدر من التأثير وليس أكبر قدر من الحقيقة، ومع تواصل الأيام حدثت عملية تضخم سياسي يشابه التضخم النقدي، إلا أن تواضع التأثير، بحكم التثود، يوما بعد يوم جرى إلى تموضف نفسه بالزيادة في العرض، (وبذلك أكثر حشوا في العالم الثالث بالذات، حيث تتضخم الرسالة بالتكرار حتى تبلغ حالة الإفلاس بالكل). ٣. ونتيجة ذلك فإن السياسة ومعها العملية الانتخابية على كافة المستويات الرئاسية أو السياسية أو التنفيذية، بل وحتى انتخابية هيئات المجتمع المدني، وفيها الكونجرس وشيوخ ونواب وحكام الولايات، وأعضاء المجالس المحلية التشريعية، والقنابر والمهنية والعامة وحتى الأندية الرياضية. تحولت إلى عمليات مكلفة تحتاج إلى تمويل كثيف

المؤسسات بحسبون ويراغون الجبهات (الخطوط). ٢. ومع كوابح الحرب بين الكبار وتزايد أسباب الاحتكاك بينهم، فإن الصراعات، خشفة أو نامعة، احتاجت لأعمال المخابرات بأكثر من أي ظرف مضى، وشاط المخابرات مايفدان في العادة، ميدان لجمع وتحليل المعلومات وإعداد التقارير ثم ميدان لتدبير وتنفيذ العملية (بالعنف الدموي أو بالتطويع النفسي)، (وكان ميدان المعلومات أقرب ما يكون إلى طبيعة عمل المؤسسات، وفي ذات الوقت فإن ميدان العملية لم يكن بعيدا).

٤. وعندما أصبحت الأقمار الصناعية الفضل وأسرع وسيلة لنقل الصور والكلمات، فإن التلفزيون والكمبيوتر والإنترنت ومعها التلفزيون المحمول. ساعدت جميعا في ضبط حركة التاريخ على لحظة واحدة وتوقيت جامع يحدث فيه كل شيء في كل مكان في نفس اللحظة، وقد أحدثت هذه المستجدات تأثيرها شاملا واصل إلى كل محيط كوكب الأرض، (وكانت المؤسسات سابقة، العمل أصبح القطايب أهم الهجوم من المراجع السياسية، وأكبر المساهمين في المشروع الضخم لشبكة الإنترنت وأقرب الأولين على عوالم الصور وكان التأثير فادحا، وفي بعض المرات فاضحا).

٥. ويوقع أن التلفزيون في هذه الأزمنة صنع لنفسه صغرا باكمه، وكان هذا العصر التلفزيوني، الحاضر في كل بيت وكل ملتقى، هو الأداة التي اغتالت العمل أصبح بأساليب العرفية منذ بدأت عهد الديمقراطية بعد الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية وأوائل القرن التاسع عشر، (زواج كثيرون يديرون بجد

(برجينسكي، وكونداليزا رايس مثلا)، ووصلت العموى إلى المراتب الوسطى للإدارة الأمريكية، ومن الممارقات أن مدير قسم الشرق الأوسط في معهد بروكينجز كان هو السفير ديتشارد هاس، (مدير التخطيط الاستراتيجي لوزارة الخارجية الآن، ثم إن سلفه في الوزارة «دين روس» يجلس الآن على مقعده السابق في مركز بروكينجز، وأكثر من ذلك فإن «ديتشارد هاس» مرة أخرى، سوف يترك وزارة الخارجية هذا الشهر إلى مجلس العلاقات الخارجية).

في هذه الأربعين سنة (من نهاية رئاسة «ايزنهاور» (١٩٦١)، إلى مداخل القرن الحادي والعشرين)، طرأت أحوال لم يكن للعالم عهد بها، وعلها فالت أحلامه وتمعت خياله، وكان السبب الرئيسي أن ظروف الحرب الباردة وضغوطها، فتحت أبوابا واتاحت فرصا: ١. لأنه بسبب الثورة الإلكترونية ودخولها إلى وسائل المواصلات والاتصالات والمعلومات، فإن كوكب الأرض ومحيطه وفضاءه أصبح ساحة واحدة مفتوحة للتقاربين على السبق بالفكر والمبادرة بالعمل والتعزيز بالقوة.

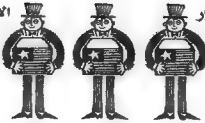
٢. ونتيجة مباشرة لاستحالة الحرب مع وجود موازين الردع النووي، فإن الصراعات عبرت عن نفسها في معظم الأحيان بعيدا عن وسائل النار، التي اقتصر استعمالها، أو اختيار. وسألها الجديدة على العالم المتخلف، لأن بلدانه كانت المواقع الأنسب للتجريب دون تكاليف باغظة على الكبار (وكان خبراء

فقد حدث في إدارة «ايزنهاور» نفسه أن وزير خزانته «تشارلز ويلسون» الذي كان في الأصل رئيسا لمجلس إدارة شركة جنرال إلكتريك، «انزلق على شفرة ميز» وهو واقف أمام إحدى لجان الكونجرس يعرض حثيثا مشروعا قانونا، فقد سئل: أليس صحيحا أن هذا القانون ينفع شركة «جنرال موتورز»؟ وكان رده على سائله بعد تردد لم يطل، لا أظن أن ما أن يكون في مصالح الولايات المتحدة كذلك، وأعدت الانزلاق إلى الاعتراف درجة من الصدمة بمقاييس تلك الأيام، واضطر «ايزنهاور» أن يخصص بوزير خزانته، لكن المقاييس تغيرت كثيرا على مدى الأربعين سنة، لأنه عند بداية القرن الحادي والعشرين كانت العلاقة بين القصر السياسي ورأس المال مسافة «عادية» تعرض نفسها على المساحة في جسارة، وفي بعض الأحيان في استعلاء.

والشاهد أن «المؤسسات» أصبحت الساحة التي تتلاقى عليها كافة عناصر القوة المستجدة: رأس المال والفكر في الساحة، لأن فلاح المصانع التقليدية الجديدة (وفيها البنوك والتأمين والنقل والصناعات المدنية وصناعات السلاح والبترون والفضاء والطيران والإلكترونيات وغيرها)، كانت في حاجة إلى خدمات الخبراء والمخبرين والدارسين للاستراتيجية العالمية والسياسة الدولية ممن يملكون كفاءة التحليل والتقييم والرؤية المبكرة لاحتمالات المستقبل على اتساع القاليم العالم ويلدانه.

ثم إن الحاجة في إطار المؤسسة، استبدعت الطرف الثالث، وهو العسكريين. وكذلك وقع أن كل رئيس سابق لهبة أركان الحرب المشتركة، قائد مبرز من قواد الأسطول والطيران والصواريخ، أو باحثا مجيدا له في استخدام القوة اجتهدات وروى. ترك الخدمة العسكرية ليجد لنفسه مكانا جازما في مؤسسة تفكير أو تخطيط أو فريق عمل ينصح ويشير.

كأن رأس المال يشترى ويرتب، وكان أساندة الفكر يكتفون وينهبون، وكان خبراء الحرب يضعون التقديرات ويحسبون الاحتمالات، ثم كان أن هذه المؤسسات أصبحت حضانة تقريخ وزراء الخارجية (كيسنجر، وشولتز مثلا)، ووزراء الدفاع (براون ورامسفيلد مثلا)، ومستشاري الرؤساء للأمن القومي



يكفى لشراء وقت كاف لوضع الرسالة السياسية على الشاشة الأوسع انتشاراً، وبالتالي الأعلى، ويقدر على توفير الخبراء الأقدر بين المنتخبين والمخرجين وخبراء الضوء والصوت إلى جانب الإنفاق على جيش جرار من مؤلفي القصص إلى كتاب السيناريوهات إلى المديرين إلى المخرجين إلى مهندسي المآظر وخبراء التجميل.

وهذه الأحوال جعلت العملية السياسية منهوكة باستمرار على المزيد من المال، وذلك يدفعها، برضاها أو مكرها إلى حيث توجد مصادره، وهناك يكون عليها أن تبني أو ترهن قرارها على المنابع.

4. ويهذه الأوضاع الطارئة على التلاعب السياسي، حدث تغير نوعي فادح في مواصفات المؤهلين للاندخاط في صفوفه؛

فهم إما أن يكونوا جاهزين أصلاً لأداء المطلوب منهم (كما حدث مع الرئيس روزالد ريجان، وهو الممثل بالحرفة).

أو يكونوا جاهزين للتعاقد مع هذا المطلوب بحكم استعداد كائن لديهم (كما حدث مع الرئيس بيل كلينتون).

أو يكونوا على استعداد لتأشّر بالأقرب إليهم والأعزف منهم بالطلوب (كما يحدث الآن مع الرئيس «جورج بوش»).

على أن الأهم من ذلك، وفي مطلق الأحوال، أن يكونوا ممن تتوافر لهم وسائل وقدرات جمع التبرعات والهبات والمخ ممتلئة أو مكتومة لأن تكلفة حملة الرئاسة بالنسبة لأي مرشح (حسب الانتخابات الأخيرة بين «بوش، وجورج») فاقت ٢ بلايين دولار لكل واحد منهم. وتلك جميعاً مواصفات وأعباء لا يقدر عليها كل الناس، خصوصاً إذا أضف، ما اقتضاه عالم الصور في المنافسة بين المرشحين من تفتيش في حياتهم الخاصة ماضياً وحاضراً، بحثاً عن ما هو مثير وملوث ينشئ في لعبة الصور (وبالذات ما يبيعه من عالم الفضيحة الدونية أو الجنس المثرا).

5. ومن عواقب ذلك أن الرجا والنساء الأكثر وعياً وحرصاً بقوا في الشركات الصناعية والاستثمار، وفي قلاع المال من بنوك الاستثمار والتجارة الدولية، وبالتقرب من حقول وآبار البترول وموانئه ومعاصيفه. كما ظل الباحثون الدارسون الخبراء في مؤسسات الفكر الاستراتيجي والسياسي المختلفة المتعددة، يصفون بالعقول ويستبرون، ويكتبون الأوراق والتقديرات والمخابرات

والفتحات بما يكفل عمله وما لا يجب. ثم إن أصحاب العلم العسكري والتجربة الحية في ميادين القتال، وجدوا لأنفسهم مراكز قيادة بديلة، ترسم الخرائط وتولتها، وتحدد عليها مواقع وخطوط الهجوم والدفاع، وتناص مع الآخرين معها داخل المؤسسات مهام الدعوة والتشهير والضغط.

وأما العملية الانتخابية. جوهر الديمقراطية والديموقراطية، فقد تركت للمستعدين لألقائها، وأهمها المسمى لتجمع التبرعات بكل الوسائل وما يترتب على ذلك من تبعات، وإتقابلين لأعبائها وفيها تحمل البقاء طول الوقت تحت الأضواء وأمام العدسات. مهما قلنا المستوى وترخص الأداة



وفي هذه الأجواء التي اختلط فيها الجوهر مع المظهر، والمخير مع المنظر. ولقت نقلة طالت صميم الشأن الوطني في الولايات المتحدة ولم يسجل أحد تاريخ هذه النقلة بالضبط، والغالب أنها حدثت تدريجياً (وبسرعة أيضاً) فإذا هي تأتي بتغيير جوهرى يمس قضية الحرية

في موضع القلب.

فهي لك الأحوال وفي هذا المناخ لم تعد الأحزاب الأمريكية الكبرى. وفي مقدمتها الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري. مواقع تطرح فيها الأفكار وتناقش البدائل، وتتكامل البرامج لتعرض على الناخبين.

بل إن مرشحي الأحزاب في السنوات

الأخيرة (مثل ريجان، كلينتون، وبوش، وجورج أو غيرهم) أصبحوا هم الذين يعرضون أنفسهم على أحزابهم، وهم الذين يتولون تدبير التمويل لحملاتهم، وهم الذين يتقدمون الصفوف إلى عوالم الصور، وعليهم هم وليس على الحزب خلق الانطباعات الكفيلة بفتح الطرق إلى البيت الأبيض وكذلك حمل الذي يمتنون له إلى القاعد النائية على تل الكابيتول.

ومعنى ذلك ببساطة أن المرشح يجيء معه ببرنامجه الانتخابي يقنع به الحزب، ويكون الحزب على استعداد لأن ينتقن يصلحية أى مرشح بمقدار ما لديه من إمكانيات الفوز يوم الاقتراع.

[والمواقع أن النظام الانتخابي الأمريكي يساعد هذه الأحوال، فالقاعدة أن المرشحين يخوضون الانتخابات أولية يتقدمون فيها بأسمائهم ويفتكرهم دون مساعدة من الحزب، لأن الحزب لا يستطيع تحمل الجهد إزاء أعداد من المرشحين المتنافسين حتى وإن نسبوا أنفسهم جميعاً إليه، لكنه عندما يحصل أحدهم في الانتخابات الأولية على عدد من الأصوات يفوق غيره ويتأهل كي يكون مرشحاً معتمدا قادراً على جذب وجلب الدوائر الانتخابية. فإن مؤثر الحزب الذي يختار المرشح الرسمي، يبدأ من لحظةها فقط، في تحمل المسؤولية، وفي العادة فإن أى مرشح يصل إلى هذا المدى يجيء إلى الحزب حاملاً معه ما يكفيه ويزيد من السياسات والبرامج، أو من اعتمادات التمويل التي تكفي وتفيض.

إن مرشحي الأحزاب في السنوات الأخيرة أصبحوا هم الذين يعرضون أنفسهم على أحزابهم، وهم الذين يتولون تدبير التمويل لحملاتهم، وهم الذين يتقدمون الصفوف إلى عوالم الصور، وعليهم هم وليس على الحزب خلق الانطباعات الكفيلة بفتح الطرق إلى البيت الأبيض

يترتب على ذلك أن الكوادر النشطة في الحياة السياسية لا تلزم مسار الأحزاب، وإنما تلحق نفسها بقوافل المرشحين، لأن الحركة هناك على الطريق وليست هنا في مسار الأحزاب، ثم إن المكافآت وفيها المناصب الكبرى في الإدارة الفائزة تدخل في اختصاص الرئيس المنتخب، المستعد للمكتب البيضاوي، ولا تدخل في اختصاص الحزب الذي يهجره الكل بعد العملية الانتخابية وتتركه علقاً بين الأرض والسماء حتى يحين موعد أول انتخابات قادمة!

[وفي التقاليد المستقرة أن المناصب العليا للدولة اختصاص الرئيس الذي يملك الحق في أربعة آلاف وظيفة يعين فيها من يثق بهم من الرجال، النساء، من داخل حزبه أو من خارجها.]

ومع هذه النقطة الخطيرة في الشأن الوطني وفي جوهر العملية الديمقراطية، فإن مؤسسة الدراسات السياسية والامستراتيجية، وهي المركز الجامع بالأفكار والرجال، تكون بطابع الأمور وسطاً مناسباً تظهر فيه أو تتقدم منه أكتف العناصر المرشحة لأهم المناصب في الإدارة الجديدة، وبالتالي فهي تنوب عن الحزب، وتتفكّل بدله بخدمة أركان إدارته.

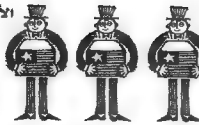
• إن الأحزاب الكبرى تتحول إلى مجرد لافتات موسمية.

• والبرامج الجاهزة للتنفيذ تكون من إصدار مؤسسات ممزولة عن عامة الناس، حتى وإن حاول رجالها إنشاء صياغة البرامج أن يزينوها لأوسع درجة من القبول العام.

• والتنفيذ يبيت موكلاً بجاهزة دولة تنتظر توجيهات الإدارة الجديدة ورجالها لتتحرّك وفق ما يرسم الخطابها ويوجهون.

• وأخيراً يكون الكونجرس متشوقاً ليسأل ويسأل، لكن الكثير من عناصر صنع القرار محجوبة، رغم جهود هائلة تبذلها هيئة مستشارية.

ومعنى ذلك أن مجرى الحوادث يواصل مسيرته دون مسؤولية دستورية، ودون رقابة شعبية، وفي حضور اعلام تراجم الكلمة فيه لحساب الصورة، وإكفر من ذلك فقد أصبح معها للناخبين عليه



الثراء، [انضمت منذ ثلاثين سنة)، ومركز مانهاتن للدراسات (أنشئ من ٢٥ سنة)، والمشروع الأمريكي (أنشئ من ٢٥ سنة)، ومركز هوفر (أنشئ من ٢٥ سنة). أصبحت كلها تمارس نفوذاً تعدى دائرة الفكر، ووصل إلى دائرة رسم السياسات وصنع القرار.

وتستطرد الأيكولوجيست:

«إن النفوذ في بدايته فكرة، وفي الواقع إن الأفكار المحركة للقرار الأمريكي الآن هي ذلك السيل المتدفق من مؤسسات ومراكز الدراسات الاستراتيجية، وعلى سبيل المثال فإن أحد هذه المراكز وهو مركز «دراسات Enterprise Institute هو الذي صك وأشاع للتداول تغيير «النول المارقة، وهو تمثيل أدبي لم يلبث أن تحول إلى استراتيجية حرب.

اسباب قُرب واهتمام مشترك بأمن الشرق الأوسط، ويمكن له وجود يهودي كثيف في أوساط المال والفكر والإعلام، ومصميم المآزر أن معظم الوجود اليهودي في المؤسسات كان من غلالة المتعصبين للمشروع الإمبراطوري الذين اختلط في فكرهم حاسس الولايات المتحدة للهيمنة على العالم وعلى البترول، مع هاجس أمن إسرائيل، بمعنى ضمان وحماية توسعها (وكان «ريتشارد بيرل، داعية حملة العراق، يهودي صهيونياً).

[وتجنى لمزاق التعميم فإنه لا يصح لأحد أن يمتسئ أن صحفياً من أهم الذين تصدوا لأصمبار المشروع الإمبراطوري الأمريكي واستمداداته الإسرائيلية. كان «سيمور هيرش، وهو. أيضاً، يهودي].»

إن خطوة القضية تظهر إذا تذكر من يهنيهم الأمان دونالد رامسفيلد، وزير الدفاع الحالي لجورج بوش) وكونداليزا رايس، (مستشارة الأمن القومي للرئيس) كلاهما من نجوم مركز «هوفر» للدراسات الاستراتيجية، وأن «ريتشارد شميس»، (نائب الرئيس الحالي)، وكذلك زوجته، كلاهما من نجوم مركز «دراسات المشروع الأمريكي»، كما أن «ريتشارد بيرل، (الذي كان رئيساً لمجلس الدفاع القومي في وزارة الدفاع والمعروف بوصف «أمير الظلام)، هو أكبر داعية لإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط بدءاً من الحرب على العراق!

إن أحد أهم يدي في مقبوره أن يناقش أنه هذه المراكز أصبحت بذاتها حكومة الظل في أمريكا، بل وتؤكد أنها الحكومة الخفية الحقيقية التي تصوغ القرار السياسي وتكتريه، ثم تترك مهمة التوقيع عليه للرئيس ومعاونيه الكبار في الإدارة، وهذا وضع يسره إلى الفكر في قيمته، ويسره إلى الإدارة في قرارها!.

وتستطرد الأيكولوجيست تقول:

«إن علو دور هذه المراكز ومطولها ونفوذها في عملية صنع القرار السياسي ليس له تضمير إلا ذلك «العلم، الذي أصاب الأحزاب السياسية الكبرى في أمريكا، وترك للامال دور صانع الأفكار وصانع السياسات في

العدد الرابع والخمسون - يوليو ٢٠٠٢ م

تصبح. يتدافع التيارات نحوها ومن حولها. دوامة حركة تلف فيها وتدور جماعات ضغط ومصالح لها قوة جذب وشدة لا تتوقف عن الفعل والتأثير.

وثالثاً، لأن الحركة الدوارة في هذه المؤسسات تستطيع ممارسة تأثيرات على الرأي العام ومشاعره وعواطفه، خصوصاً إذا استثير داعي الأمن ومعه جسي الوطنية!

ورابعاً، وعليه فإن هذه المؤسسات عندما تحولت في جزء من نشاطها إلى جماعات ضغط، فتحت المجال في الوقت نفسه لجماعات أخرى غيرهما تتوافق معها على نفس المصالح أو قريباً منها في الداخل والخارج.

[وفي هذا الشقاق وقع النضال الصهيوني الإسرائيلي إلى قلب العملية السياسية في الولايات المتحدة، وساعدته

تحسين علاقاتهم مع المصادر المتحكمة في مناصب الإدارة العليا لأنها العارفة بالأسرار والأخبار، وحتى الأفكار!



ورغم ما قد يُخال من هذا المزيج الفوار من الخاص والعام، والفكر والعقل، والظاهر والخفي، والمدني والعسكري، والصورة والكلمة، والثروة والمال، والبحث والتدريس وفي إطار مؤسسات تضجج بالحيوية، إلا أن ذلك واصل بالضرورة إلى حافة الخطر لأسباب،

أولها، على حد تعبير «ايزنهاور»، بأن نمو هذه المؤسسات ينطوي على تفويض لم يصوت عليه أحد، وسلطة لا تخضع لحساب.

وثانيها، لأن المؤسسات على هذا النحو بعيدة عن المساءلة والمسئولية، وهي

رابعاً:

الأفكار تحرك

بالبدايات!!

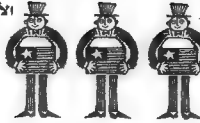
مهمة يوم ١٥ فبراير الأخير (٢٠٠٣)

بعنوان «هجمة دبابات الفكر». وتصنع اقتتامية الأيكولوجيست هجمة دبابات الفكر، سنة ٢٠٠٣. أن تكون تكملة طبيعية تلحق بتحصين «ايزنهاور» من خطر الجميع المصناعات العسكرية (والفكري) يوم ١٧ يناير ١٩٦١، والناشد أن التحذير القديم، وكذلك التحذير الجديد، يلتقيان على نفس الموجة. بدأت الأيكولوجيست افتتاحيتها قائلا بالنص:

«كثيرون في العالم الخارجي يتمنون لو أن الولايات المتحدة ضبكت أعصابها ولو قليلاً. إن هناك ضرورة الآن للجميع كلاب الحرب التي أطلقتها الرأسمالية الأمريكية، (بالنافذة) (Jet Capitalism)، بحيث تتصرف الإدارة الأمريكية بمنطق أقرب إلى «جيمي كارتر» الرئيس السابق الحاصل على جائزة نوبل للسلام، وليس

❑ ولقد أطلق على هذه المؤسسات المفعلة بأفكر الاستراتيجية، والمعنية بتحويله إلى خطط وخرايط. وصف Think Tank، وكلمة Tank تعني التكمير، وكلمة Tank كلمة تتحمل أكثر من ترجمة، فهي الوعاء أو الحاوية، وهي «البداية الحربية، أيضاً، ولعل الوصف أن يكون رمزاً بالصادفة، توافق مع كون المؤسسة السياسية والاستراتيجية الحديثة مهتمة بفلسفات القوة، ومشغولة كذلك باستثمارات السلاح.

ولعل خطوة التحالف الجديد بين المعز والسلاح، في طرفه عالية طارئة. هي التي دعت مجلة الأيكولوجيست وهي المجلة الرأسمالية المحافظة (والتي تملك أسرة روثشيلد، معظم أسهمها، وكان الثور «إيلين روثشيلد، موجه سياساتها حتى وقت قريب. إلى أن تنشر الافتتاحية



**اضطر «ريتشارد بيرل» بعد ما نشره
«سيمور هيرش»، ووقفه، أن يقدم استقالته
من رئاسة مجلس سياسات الدفاع، لكنه
احتفظ بموقعه في مركز «دراسات المشروع»،
واصل منه نشاطه، وأصراره على الدعوة
إلى رسم خريطة جديدة للشرق الأوسط
مدخلها «احتلال العراق»!**



الصالح، محالف للأخلاق وفي الجانب
مخالف للقانون أيضا.

ولم يكن هناك مجال للطمع في
التهمة، لأن البرهانين التي أودعها «سيمور
هيرش» كافية وإقناعية كذلك لم يكن هناك
مجال للطمع في الرجل الذي وجه
التهمة إلى «بيرل»، لأنه من أكثر
الصحفيين احتراما في واشنطن
واقدمهم مهدا بالهنة وأكثرهم شهرة
(وفوق ذلك فإنه يهودي مثل «ريتشارد
بيرل»، ومن ثم فلا يمكن أن تلحقه تهمة
«معاداة اليهود» (إنكار الهولوكست). كما
كان يمكن أن يحدث لو أن اتهام «بيرل»
جاء من غيره.

واضطر «ريتشارد بيرل» بعد ما نشره
«سيمور هيرش»، ووقفه، أن يقدم استقالته
من رئاسة مجلس سياسات الدفاع إلى
«دونالد رامسفيلد»، وزير الدفاع، لكنه
احتفظ بموقعه في مركز «دراسات
المشروع»، وواصل منه نشاطه، وأصراره
على الدعوة إلى رسم خريطة جديدة
للشرق الأوسط مدخلها «احتلال
العراق»!



كانت قضية «ريتشارد بيرل»
واستقالته كشفت أهم موانع القوة في
السياسة الأمريكية، وإظهارا لشخصيات
سبعين رجلا وأمرأة يؤثرون على القرار
الأمريكي ويتكبرون بصمتهم عليه في
زمن تسمى فيه الولايات المتحدة إلى
التدرب بالسيطرة على العالم واليت في
مصانره، ومن ناحية أخرى فقد كانت
تلك القضية تذكر حجة بالكابوس الذي
حدث منه «إيزنهاور» قبل أربعين سنة، وهو
السيطرة على الملوية وغير الشرعية
لجميع مالى. صناعات، عسكري، فكري
على سلطة القرار والابتعاد به كثيرا
(وكثيرا جدا) عن أي رقابة تشريعية وأي
مراجعة ديمقراطية (مع أنه لابد أن
يحسب للديمقراطية الأمريكية أن رجلا
مثل «سيمور هيرش» أطلق رصاصة
التحذير الأولى في قضية «ريتشارد
بيرل»).

والخبر أن «ريتشارد بيرل» وجه
خطاب استقالته إلى «دونالد رامسفيلد»
مصحوبا بحجيات تكاد أن تكون توثيقا
للصلة بين أطراف المجمع الصناعي.
المسكري، «الغزير»، الذي
حدث منه «إيزنهاور» الذي

الحرب والسلام في البيت الأبيض، أو
على رأس إدارات الحكومة الفيدرالية،
هذا إذا لم يقدر لهم أن يجلسوا
بأنفسهم على القمة من هذه الإدارات
(كما حدث مع «كينسجور» و«رامسفيلد»
و«بيرل» وعشرات غيرهم).
ولم يكن كثيرون يعرفون ما فيه
الكفاية عن جهاز يسمى مجلس سياسات
الدفاع القومي للولايات المتحدة ولا عن
تركيبه، ولا عن دوره في صنع القرار
الأمريكي إلا عندما انفجرت قضية
«ريتشارد بيرل» الذي كان هو وزميله «بول
وولفويتز» الحرب الناس إلى أقوى رجلين
في إدارة «جورج بوش»، وهما «ريتشارد
تشيني» (نائبه) و«دونالد رامسفيلد»
(وزير دفاعه).

وكان «ريتشارد بيرل» العقل المفكر
للاستراتيجية الأمن القومي الأمريكي
منذ بداية رئاسة «جورج بوش»، وكان
المشروع الأمريكي، ومديرا لبرنامج
«الشرق الأمريكي الجديد» وهو البرنامج
الرئيسي لتلك المؤسسة، والذي كان دعائه
ورعااته أكبر المحسمين لرسم خريطة
شرق الأوسط يكون مفتاحها احتلال
العراق!

وقد انفجرت قضية «ريتشارد بيرل»
عندما كشف الصحفي الأشهر «سيمور
هيرش» تحقيقات في مجلة «النيويوركر»
واسعة النفوذ يقول ويثبت فيه «أن
ريتشارد بيرل تقاضى مكالات من موريدي
سلاح، فيما هو يمارس عمله كرئيس
لجنة سياسات الدفاع. تزيد على ثلاثة
أرباع المليون دولار سنة ٢٠٠١، وأن تصرفه
في تلك الواقعة الطوى على استغلال
للنفوذ، أو على الأقل على «تضارب في

الرياسية والتشريعية في الولايات
المتحدة، وفي الأكبر إسهاما في تحويل
نشاط مؤسسات ومراكز التفكير
السياسي والإستراتيجي».

وفي صدد الحرب على العراق، فإن
شركة «هالبيترون» لمقاولات النفط بدأت
قبل أكثر من عام قبل حرب العراق، ترتب
وتتعاقد مع آخرين على عقود لإعادة
إصلاح وتحديث مرافق النفط العراقي
في حدود ٨.٧ مليارات دولارا
وبعد ما كان شركة «اكسون» هي التي
بدأت تضع يدها على عمليات استغلال
النفط العراقي وتخطط لإنتاج
يصل إلى ٧ أ و ٨ ملايين برميل يوميا،
كما أن شركة «بكتيل» هي التي حصلت
على أهم عقود الإعمار بعد الحرب،
مستعينة بالثنين وعشرات ألف شركة
للمقاولات دعنها للعمل معها من
الباطن!

وفي نفس الوقت فإن خبراء مراكز
الأبحاث والدراسات السياسية
والإستراتيجية وصلوا موجات إلى
العراق بعد الغزو يدرسون على الطبيعة
مستقبل هذا البلد، وكيف يمكن منسدة
مستقبله في المنطقة. وكان وصول
الباحثين السياسيين مع الجنرالات
المقاتلين مع مدبري الشركات، موكبا
واحدا، والنتيجة زحفا كاسحا من الفكر
والمال والسلام كوجه مؤسسات
الدراسات السياسية والإستراتيجية.
التي أصبحت حكومة ظل تحولت
صحتها بالإدارات المقابية في واشنطن
(جمهورية وديمقراطية) إلى شيء أصبح
باباب الدوار دخل ويخرج منه رجال
ونساء الصوفة الأعلى صيتا والأعلى كفاء
والأقرب مباشرة إلى وضع الخيارات
والبدائل أمام المسؤولين عن قرارات

الدولة الأمريكية العظمى. وكان المال هو
الذي وضع الجامعات الأمريكية
العريقة في خدمة هذه المؤسسات، فإذا
القطاع أكاديمي علمي، وإذا الواقع
سياسي عسكري، يمكن أقلية صغيرة
خفية من التحكم في مصائر العالم
وشعوبه.

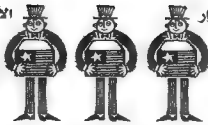
وكان يقال دائما أن المال هو صانع
«الحرب والسلام»، وأنه الأرجل والأقدام
التي تمشي، وتجرى، بها السياسة،
وعليه فإن النظر إلى «مواقع المال»
لا بد منه قبل النظر إلى «مواقع
الصراع»، كما أن البحث عن الرجال
مقدمة ضرورية للبحث في واقع ما
جرى ويجري..!



وكان ما قالته الأيكونوميست دقيقا
في وصف الحال، وإن تأخر بقدر ما
كان تحذير «إيزنهاور» صادقا في لفت
النظر إلى «الصالح المبكر»
وهنا فإن نظرة سريعة إلى مواقع
المال (فيما يتصل بموضوع القرار
الأمريكي الزاهن والمؤثرات الواقعة
عليه) لابد لها أن تتوقف أمام الشركات
الأمريكية العملاقة، وحجم مبيعاتها
التي يمثل ٢٥% من الناتج العالمي.
ويطرح الاقتصاد الأمريكي الكبير
«كينيث جالبرايث»، مجموعة أرقام
لتفريب الصورة وتبسيطها فيذكر:
«أن مبيعات خمس شركات أمريكية
هي (جنرال موتورز، ووال مارت، و«اكسون»
مويل، والفورد، وديملر كرايسلر)
تتجاوز الناتج القومي ١٨٢ دولة في
العالم.

«أن دخل شركة «اكسون» للبترول
يقود دخل دول «الأوكرانيا» (مجموعة)
الدول الحربية المصدرة للبترول)
مجتمعة.
«أن شركة «جنرال موتورز» أكبر من
«الناتك»؛ وأن شركة «ديملر كرايسلر»
أكبر من «بوندا»؛ وأن شركة «بكتيل»
للمقاولات أكبر من «اسبانيا»؛ وأن شركة
«شل» أكبر من «هزولولا»؛ وأن شركة
«سوني» أكبر من «باكستان».

.....
.....
[والملحظة الأهم أن هذه الشركات
الكبرى، وهي القوى الصاعدة للثروة،
هي الأنهي تفرعها لخصى الانتخابات
المعد الرابع والخمسون. يوليو ٢٠٠٢ م



مبكرا إلى خطره على سلامة القرار الأمريكي.

وفي خطاب استقالته وحيثياتها كتب «بيرل» إلى «راسفيلد» يقول:

عزيزي اللوري،

«لن أتقدم إليك باستقالتي ليس نتيجة لإحساساتي أنني اقترفت خطأ لأنني مازلت مقتنعا ببرائتي مما نسب إلي وسوف أدافع عن نفسي في هذا الأمر بكل الوسائل.

لكن مبادرتي بالاستقالة دافعها رغبتني في عدم إحراجك، وكذلك تجنب التنويع على سياسة الولايات المتحدة في طرف ترتب عليها فيه مسؤوليات دقيقة، ولست أريد أن يثار حولي أن يفتى الالتزام ولو للحظة واحدة من الحدايات الكبرى التي يقع عليكم مسئولية التعامل معها.

ثم يواصل «ريتشارد بيرل» يقول في خطاب استقالته:

«إن المسؤولين الكبار عن إدارة الدولة يجدون أنفسهم دائما في حاجة إلى طلب النصيحة والرأي من جهات خارجية مستقلة عن إدارتهم، ذلك أن إدارات الدولة في العادة محكومة برؤى تقليدية تكرر نفسها، في حين أن المسئوليات الجديدة التي لتحملها الولايات المتحدة لم تعد تفكيها تلك الرؤى التقليدية. والهيئات التي يقع عليها واجب تقديم مثل هذه النصائح والأراء لابد أن تكون بعيدة عن رؤى الإدارة التقليدية، ولا يكفل لها مثل هذا الاستقلال أكثر من اتصالها بالمصالح الكبرى للولايات المتحدة.

ولابد من ملاحظة أن التنصيب الأكبر من المعرفة والتجربة فيما يخص المصالح الحقيقية المتصلة بمستقبل الولايات المتحدة، متصلة في الواقع بنشاط رأس المال الحر الأمريكي، وعليه فلا مفر من وجود صلات بين النصيحة والرأي، وبين المعرفة والتجربة، وهذا يخلق مجالا لعلاقة ملتبسة وتلك علاقة يمكن التغلب عليها بضمانتين، العلانية في التصرف (Disclosure)، والجرأة في الموقف (Recusal).

ثم يعمل «ريتشارد بيرل» إلى القول: «إن ذلك هو الذي دعا إلى إنشاء مجلس سياسات الدفاع الذي تشرفت برؤاسته طول السنتين الأخيرتين، والذي ناقشنا فيه بـ «علانية» وجرأة موضوعات مثل سياسة الولايات المتحدة إزاء العراق وتدمير ما يملكه من أسلحة الدمار الشامل، ومشاكل العلاقات

الأمريكية الأوروبية، والحرب على الإرهاب وغيرها، وكانت تلك كلها مناقشات غنية ومفيدة وقابلة للتفديد. لأنكم وكما تعرفون فإن مسئولية الخبرة لهذا المجلس يضمم عددا من وزراء الخارجية السابقين، ووزراء الدفاع والطاقة، ومديرين تولوا إدارة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وعدد من زعماء الأغلبية والأقلية في مجلسي الكونجرس، ومجموعة من الخبيرة من الجامعات المهتمين بالسياسة، إلى جانب عدد من الفاليزين بجائزة نوبل في الاقتصاد، ومع هؤلاء جميعا عدد من الضباط المتقاعدين الذين خيروا مطالب القوة المسلحة واستعمالها في ميادين مختلفة».



كان «ريتشارد بيرل» نموذجا لنوعية الرجال والمصالح التي تحميم بمجلس سياسات الدفاع الذي ظل يرأسه حتى شهر مارس الأخير (٢٠٠٣)، واللائق للنظر أن «بيرل» زيادة على كل مناصبه كان في نفس الوقت عضوا في مجلس إدارة شركة «هوليبرجر» وهي دار صحفية تملكها شركة قابضة يملكها «هوليبرجر» كولراد بلاك، لكي تشرع على جرائده ومجلات، وفيها مجموعة التلجراف (الدليلي لتجرافة، والصنداي لتجرافة) المصدرة في لندن، وفيها عدد من الصحف الكندية الكبرى، ومن الغريب أن فيها أيضا جريدة «الجيوروليم بوست» التي تصدر في إسرائيل!



مجلس السياسات

لا يتكلم كثيرا عن أعماله،

ولا ينشر شيئا من مداولاته،

ولا يصدر بيانات عن توصياته،

وكل ما هو متاح عن نشاطه ورقة

أو ورقتان في سجلات

البناتجون لإجراء التسجيل



وقد حدث بعد ذلك أن «ريتشارد بيرل» بدأ في نوفمبر سنة ٢٠٠١ في تأسيس شركة لخدمات الأمن الداخلي، وكان ضمن شركائه فيها زميل له في مجلس سياسات الدفاع هو «هنري كيسنجر» وزير الخارجية الأسطوري من أيام «ريتشارد نيكسون» و«جيرالد فورد» (في النصف الأول من سبعينيات القرن العشرين)، وكان «بيرل» هو الذي رشع «هنري كيسنجر» لكي يرأس لجنة خاصة للتحقيق في وقائع يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١، بما في ذلك تحديد المسئولية، والبحث عن أسباب القصور الأمني، وكانت تلك لجنة من خارج الكونجرس، أنشئت بعد أن اعترفت لجنته الأصلية ذات الصفة الشرعية (الدستورية) بجهزها من مواصلة التحقيق، لأن السلطات المعنية. وضمنها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، ووكالة التحقيقات الفيدرالية (مستقلة)، تمتنع عن التعاون معها وتحجب عنها الوثائق والمعلومات والشهود. وعندما أعلن الرئيس «بوش» عن ترشيح «كيسنجر» لرئاسة لجنة تحقيق (مستقلة)، تعالت أصوات تتساءل عن طابع العلاقات والأزيابات والمصالح، ووجد «كيسنجر» نفسه في غيى في مساءة والتحقيقات تتعرض له ونشاطاته وأزياباته، ولذلك قر أن يعتذر من المهمة.



وكذلك فإن مجلس سياسات الدفاع هية تستحق نظرة سريعة، ففي داخل

هذا المجلس سبعون رجلا وامرأة. كلهم له دور وإسهام بارز في السياسة الأمريكية، وكلهم له مصالح طائلة في فلاح المال والأعمال من البنوك إلى البترول إلى السلاح، وكلهم مدنيون وعسكريون أصحاب تواجد كثيف في المؤسسات الاستراتيجية (مواقع حشد ديابات الفكر)، وكلهم له جدول أعمال ذاتي وعام تختلط فيه المافع المباشرة بأمن الأوطان وسياساتها!

ومجلس السياسات لا يتكلم كثيرا عن أعماله، ولا ينشر شيئا من مداولاته، ولا يصدر بيانات عن توصياته، وكل ما هو متاح عن نشاطه ورقة أو ورقتان في سجلات البناتجون لحد التسجيل.

وعلى سبيل المثال فإن آخر ورقة متاحة عن اجتماعات مجلس سياسات الدفاع، تجيء على النص التالي:

مجلس سياسات الدفاع

جدول أعمال

جلسة الخميس: ٢٧ فبراير ٢٠٠٣

٩.٣٠ - بوفيه الإفطار خفيف في البناتجون، غرفة الاجتماعات رقم ٨٩٩.

٩.٣٠ - ١٠.٣٠ مناقشة في الدور المركزي للنشاطات

١٠.٣٠ - ١١.٣٠ مناقشة عن الغيش الإعلامية الشاملة

١١.٣٠ - ١٢.٠٠ استراحة

١٢.٠٠ - ١٢.٣٠ غداء في القاعة النهمية ٨٩٩.

٢٠.٠٠ - تقرير محادثات عن

المستجدات (١)

٢.٠٠ - ٣.١٥ كوريا الشمالية: تقرير

معلومات

٣.١٥ - ٤.١٥ مناقشة (كوريا الشمالية)

٤.١٥ - ٤.٣٠ استراحة

٤.٣٠ - ٥.٣٠ إيران: مناقشة

٥.٣٠ - ٦.٣٠ جلسة عمل مفتوح

اليوم التالي: الجمعة ٢٨ فبراير ٢٠٠٣

٣.٠٠ - ٩.٣٠ بوفيه الإفطار خفيف القاعة

النهمية في البناتجون، الغرفة رقم ٨٩٩.

٩.٣٠ - ١٠.٣٠ تقرير مركز دراسات

حفظ السلام

١٠.٣٠ - ١١.٣٠ تقرير نائب رئيس

أركان الحرب البريطاني

١١.٣٠ - ١٢.٣٠ مناقشة

مفتوحة مع «تيت باجيت» (وزير الدفاع

العدد الرابع والخمسون - يوليو ٢٠٠٣



تشتون السياسات) القاعة الذهبية (٨٥٩).

١٠٠، ١٠٠، ١٠٠ مناقشة مفتوحة
٤، ٣٠، ٣٠ عرض من وزير الدفاع
«دونالد رامسفيلد» ومن نائبه بول
وولفويتز.

[وفيما عُرِف لاحقا عن المناقشات التي جرت ذلك اليوم بصدد الخطر الذي تشكّله كوريا الشمالية، فقد تبين أن مجلس سياسات الدفاع بحث تقريرا أعده «ريتشاردسون» (حاكم تكساس الحالي والمفاوض الرئيسي في مشكلة كوريا الشمالية)، ونتيجة للمداولة خرج بأن الخيار العسكري غير وارد في الوقت الحالي (بالنسبة لكوريا الشمالية)، كما هو الحال في شأن العراق لثلاثة أسباب، أولها: أن حربا ضد كوريا الشمالية سوف تكون عملا عسكريا خطرا ضد قوة تشكل رادعا قويا حقيقيا، حتى وإن كان محسوبا في حجمه.

وفي حين أن العمل ضد العراق يمكن أن يكون سهلا، لأنه بدو استنزفته حرب الخليج الأولى ثماني سنوات، وأدركته حرب الخليج الثانية بضربة صاروخية قاسية، ثم طوقه حصار اقتصادي ونفسي دام اثنتي عشرة سنة. فإن كوريا الشمالية طرف مختلف إلى حد كبير. ثانيا: إن الجوار العراقي يساعد الخيار العسكري الأمريكي ويجعله قابلا للتحقيق، في حين أن الجوار الكوري الشمالي وفيه (الصين واليابان وكوريا الجنوبية) لا يرغب في ترك القوة العسكرية الأمريكية مطلقة العنان، ويفضل معالجة الشأن الإقليمي. أولا. في إطار الإقليم وليس من خارجه، وهذا يقيد العمل الأمريكي (إلى حد قد يكون مؤثرا.

وأخيرا: فإن كوريا الشمالية، على عكس الحال في العراق، ليست فيها جوافر اقتصادية لتماوى المخاطرة.

[ومن المثير أن الوفد الكوري الشمالي الذي اجتمع مع ممثلين لوزارة الخارجية الأمريكية في «بيكين»، في شهر مارس الماضي، وقد أقل من أسبوعين على مناقشات مجلس الدفاع كان هو الذي أبلغ الجانب الأمريكي رسميا بأنهم بدأوا بالفعل في تخصيب اليورانيوم، وأعلن أنهم الآن على

الطريق السريع إلى أسلحة نووية، وكانت الريمالة مباشرة بما مؤده أن الولايات المتحدة لا بد لها أن تتكلم وأن تتفاوض مع كوريا الشمالية، لأنها ليست غنيمة سهلة].

وتكرر اجتماعات مجلس الدفاع مرة كل شهر أو شهرين حينما تقطعه ممرات الحوادث، وتتلاقى وتتفاعل الأفكار وتوجهات وتداخلت معها رغبات المال والسلح والسياسة، وتُخَدَّ توصيات تتحول في البيت الأبيض ووزارات الدفاع والخارجية ووكالة المخابرات المركزية إلى قرارات بعضها يمس قضائيا الحرب والسلام، وتعرض أمة وشعب للعواصف والأعاصير. لكن أمير الظلام وأصحابه في منأى عن الحساب ويصعبنا عن المسؤولية، يصاحبهم على ذلك أن الإمبراطورية الأمريكية مشروع خاص يتقدم ويصحب الدولة وراءه، ويتصرف دائما من وراء حجاب بغير تفويض شرعي، ويدون مسؤولية دستورية، ويدون رقابة أو متابعة، وهذا بالضبط ما نحن منه «إيزنهاور» أوائل الستينيات، وكذلك نقلته الأليكونوميست أخيرا، وكان التحذير السابق ولفت النظر اللاحق خدمة لروح الديمقراطية في الولايات المتحدة، وليس، بالتأكيد، رغبة في التشهير بها.

[ولإنصاف فإن التجربة الأمريكية حافلة بكثير يصنع الإعجاب (ابتداء من روح المبادرة إلى روح الحرية)، وبالتالي فإنه من مأسى التاريخ الكبري أن يتمكن عدد من الرجال والنساء لا يزيد عددهم عن مائة إلى مائتين. بينهم سبعون عضوا في مجلس سياسات الدفاع. من الاستيلاء على العراق الأمريكي والاندفاع به إلى «مشروع مخيف وشبه مستحيل، في طلب الهيمية على العالم، بعير مناس، وإلى الأبد].

ويستحق النظر أن كل واحد أو واحدة من هؤلاء الرجال والنساء الذين استولوا على القرار الأمريكي مبروطين بهذه العلاقة الثلاثية غير المقدسة للمال والسلح والفكر إلى درجة تكاد أن تضع نموذجا واحدا متكررا عثرات المرات:

كل واحد منهم رئيس مجلس إدارة أو العضو المنتدب لشركة من أهم شركات السلاح أو البترول أو الاستثمار المالي، ويحصلون أموالا على ما لا يقل في المتوسط عن عشرة ملايين دولار. وكل واحد منهم له مقعد في قائمة اجتماعات مجلس السياسات التابع لوزارة الدفاع، أو له صلة وثيقة به عن طريق واحدة من مؤسسات التفكير السياسي والاستراتيجي، وهي بالعثرات.

وكل واحد منهم يعرف طريقه إلى الباب المنوار أمام معالق السلطة في الشركات الكبرى، أو من مؤسسات الفكر

من مأسى التاريخ الكبري أن يتمكن

عدد من الرجال والنساء لا يزيد عددهم

عن مائة إلى مائتين. بينهم سبعون عضوا في

مجلس سياسات الدفاع. من الاستيلاء على القرار

الأمريكي والاندفاع به إلى «مشروع مخيف

وشبه مستحيل» في طلب الهيمية على

العالم، بغير مناس، وإلى الأبد

إلى أعلى مواقع الإدارة الحكومية، ليقتضى مدة في الممارسة العملية تنفيذ القرار، ثم يعود من الباب المنوار إلى الشركة الكبيرة أو إلى مؤسسة الدراسات السياسية والاستراتيجية صاحبة النفوذ. وهكذا.

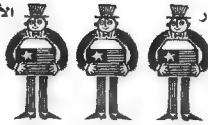


وهناك سؤال يفرض نفسه: كيف حدث أن قلعة من الرجال والنساء تمكنوا من الاستيلاء على سلطة القرار في بلد بحجم الولايات المتحدة، ووقت، وحيويته؟ وهذا سؤال سوف يتوقف التاريخ أمامه منهشا ومبدقا، وفي الغالب، ويدون استباق للنتائج، فإن ما يمكن تسميته بـ «سياسات الخوف» قد يكون الداعى والسبب، خصوصا إذا جرى قياس الحاضر الذي لم يكتمل، على ماضٍ ثمت قصوره وأطلوت صفحته.

وفي هذا الصدد فإنه يمكن استعادة ظروف الحقبة الكبرى التي كانت آن تحقن روح الفكرة والإبداع في الولايات المتحدة، ولت حكمه التفتيش التي نصبتها السناتور «جوزيف ماكارثي» في أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية (وأخر الأربعينيات. أوائل الخمسينيات، حين بدا حلمته (التي أشهرت في التاريخ اسمه وحملت وصف المكارثية) بدعوى التصدي، للنشاط الخارج من وكالة أمريكا، وفي هذه الحملة راح «ماكارثي» يستدعي أمام لجنته وحساب ويحاسب كل من تصور أنهم جنحوا إلى اليسار في أفكارهم، ومن ثم انحاروا للشيوعية، وأصبح نشاطهم غير أمريكي Un American أو معاديا للولايات المتحدة بصريح العبارة.

وقد استطاعت هذه الحملة أن تعطي الحياة السياسية والأدبية في أمريكا بضياب كثيف ضالت فيه مساحة الحرية، وشاع الشك، وتعمق الخوف، راح إلح الفنانين والأدباء وإيريز نجوم المسرح والسينما وأكفا أساتذة الجامعات في العلوم الاجتماعية والطبيعية يتساقطون كل يوم تحت مطارق الاتهامات المرسة بوجهها إليهم السناتور «ماكارثي» ولجنته.

ثم جاء الوقت وتخلصت الولايات المتحدة من كابوس الخوف، وراحت تلتفت وزاما وتتساءل كيف جرى ما جرى؟



لفهمهم معهم، وعليه فهي ضرورة حيوية لقيام تحالف ضد الإرهاب، لا يقل صلاية وحزما عن التحالف ضد النازية والصيوعية.

.....

.....

[وعندما انقضت صواعق النار على نيويورك وواشنطن، في 11 سبتمبر 2001، فإن ذلك الحدث المروع جاء هدية من السماء (وربما من غيرها) إلى المشتوقين للخوف والتخويف، وظنهم أنها الفرصة المناسبة لاستيقاظ بل وتكثيف التعميلة الداخلية (المادية والسياسية والنفسية)، وللمحافظة على التحالف الدولي، وفي التقدم بما يكفي من الدلائل الأخلاقية على طريق التوسع والتشيز الإمبراطوري. وكانت صبيحة أطراف المشروع الإمبراطوري (الصناعي، العسكري، والفكري). أن الخطر هناك في الشرق الأوسط، وفي العالم العربي وعلى أطرافه، وليس أمام الولايات المتحدة غير أن تواجه وأن تنتصر. وبدأت الحرب على أفغانستان، بدعى ضرب قواعد الإرهاب العالي، ثم توجهت الأسلحة إلى العراق بدعى نزع أسلحة الدمار الشامل. واشتعلت حرب في أفغانستان غريبة، وتلتها حرب في العراق غريبا ■

يحملة الانفراط السريع من اختلالات بعيدة المدى، وعواقب وخيمة على المصالح الكبرى لأطراف المشروع الإمبراطوري الأمريكي (وغيرهم من الممارسين من العاملين في مجالات المال والصناعة والبتترول والأسلحة والفضاء والطيران إلى آخره). ولم يكن يحفظ البقطة ويمسك بدرجة التعميلة إلا العودة مرة أخرى إلى سياسات الخوف، مع ملاحظة أن التجربة الأمريكية بطبيعتها تنشر المجتمع أفرادا متنافسين في حالة الطمأنينة، حيث ينصرف كل منهم إلى مشروعه الخاص، تكن الخوف، وتلك مرة ثانية طبيعة التجربة. يعيد جمع الشاردين لكي يواجهوا معا مخاوف الخطر.

٣. وفي المرة السابقة، على عهد «الخوف الماكاري الكبير»، كان الخطر هو الصيوعية، ولأن هناك خطر مستجد يستعيد الخوف ويسترجعه، وهو «الإرهاب الدولي»، وأسامة بن لادن، و«جماعته الإسلامية»، و«هندام حسين، وأسلحته الدمار الشامل».

وكان ضحك أصحاب المشروع الإمبراطوري أن هذه المخاطر المستجدة لا تقل ضراوة عن المخاطر السابقة، وكذلك علت نبرة التخويف، وهو ليس تخويفا للأمريكيين وحدهم، وإنما

العدو يحدث، وحشة، أكثر من وحشة يحدتها غياب الحليف.

فالقوى المعنية بالصراعات تكون قد عبات إمكاناتها المادية، ورتبت استعدادها السياسي والمعنوي على مواجهة عدو ما، فإذا ما اختفى ذلك العدو فجأة فإن حالة التعميلة تظهر وكأنها فقدت توازنها، وضعت مير وجودها ذاته، وفي أحوال اقتصادية واجتماعية ونفسية متداخلة كما هو الحال في الولايات المتحدة، فإن فقدان التوازن وضباب مبرر الوجود قاصر على إحداث خلخلة بعيدة الأثر.

خطيرة في تداعياتها.

٢. وأصاحب المشروع الإمبراطوري لا يريدون شيئا من ذلك كله، بل يجدون في هذه اللحظة بالتحديد فرصة سانحة لهم، لأن الاتحاد السوفيتي الذي سقط في الحرب الباردة كان القوى منافس وأخطر عدو، فإذا وقع اختفاؤه فهذه هي اللحظة المناسبة تماما للمشروع الإمبراطوري يمسك بالقمة الدولية، ويكرس وجوده وجمعه عليها، ويمنع ظهور قوى أخرى تنافس أو تتحدى.

لكن المشروع الإمبراطوري يحتاج إلى استمرار التعميلة ضد «عدو»، حتى تظل القدرات الأمريكية. الحادية والسياسية والنفسية. على يخطتها، فلا تنفرط بغياب المنافس أو العدو، ولا يلحق بها ما

وفي هذه المرة يتكرر الكابوس وإن اختلف شكله عن الكابوس السابق، كما أن نهايته يصمم رؤيتها في الزمن القريب، ذلك أنه مع التسليم بأن قلة من الناس (في محور المال والفكر والسلاح) حققوا القرار السياسي للولايات المتحدة الأمريكية، فليس هناك شك في أن هذه القلة نجحت حتى الآن في اللعب على مشاعر كتل واسعة في الولايات المتحدة، وبالأخص فإن هناك أغلبية أمريكية أخذتها حمى الوطنية (المدماة)، وراحت تزعم بما تراه من حملة القوة (المتوافرة).



ومرة أخرى فإن سياسات الخوف تواصل فرض نفسها رغم اختلاف الظروف وبينها:

١. العدو الذي صرفته الولايات المتحدة طوال النصف الثاني من القرن العشرين، اختفى فجأة من أمامها، مع ملاحظة أن الناس يعرفون أنفسهم بالعدو الذي يواجهونه، أكثر مما يعرفون أنفسهم بالصديق الذي يقف معهم.

والغريب في مطالب القوى أن غياب



كاريير.. أول تكييف تكلمه بالتليفون



Platinum



N2

- الآن مع أجهزة تكييف كاريير سبليت الجديدة يمكنك:
- التحكم في التشغيل والإغلاق من خارج المنزل بالتليفون من خلال تلى كاريير.
 - الاتصال عن طريق التليفون العادي أو المحمول.
 - التحكم في أكثر من جهاز تكييف كاريير في وقت واحد.

كاريير .. خبرة بتطور

كاريير ... أول تكييف فى مصر
تشغله وتقفله من بره البيت بالتليفون



لاشئ يفوق الخبرة ... لاشئ يفوق كاريير

لخدمة العملاء والمبيعات فى القاهرة الكبرى اتصل ب: ١٩١١١ بسمو الكفاءة المادية
ولدى كل الموزعين المعتمدين ..



شركة مصر لصناعة التبريد والتكييف ش.م.م

المركز الرئيسى : ١٥ شارع مكة المكرمة - خلف نادى الصيد - المهندسين - مصر الجديدة ، ٢٠٤١ شارع البحار - مدينة نصر ، ١٨ شارع عبد الله العيسى - إمتداد شارع الطيراني - القاهرة ، شبرا ٢٠٠٤ شارع شبرا - القاهرة ، المعادى ٢/١١١ شارع النصر - المعادى الجديدة - الهرم ، ١٨ شارع الملك فيصل - تقاطع الملك فيصل مع المروحية - الهرم - الإسكندرية ، ٥ شارع الهوت الأول - بجوار كوبري كيبوترا - سوحة ت. ٢٢٧٢٠٠٥ (٢٣) الفرقة ٤ شارع المحكمة ت. ٥٤٩١٥٥ (٦٥) الأقصر شارع الروضة الفرقة - الواسطية ت. ٢٢٧٢٤١ (٩٥)

ماتنى الف رطل. وأن «من الحق مناطقة الصخور»
وأن «الأقوى فى تلك الأيام.. لا الأكثر عدلاً.. هو المنتصر دائماً».

انتشرت مشاعر الإحباط واليأس.. والانسحاب والاكئاب.. وزاد عدد المترددين على دور العبادة.. وحنانات الخمور.. وعيادات الطب النفسى.. وبدأ أن الهزيمة «النفسية» ربما تكون أعمق أثراً، وأطول أمداً من تلك العسكرية أو السياسية.

واتضح أنه بعد أن فقدت الجيوش التقليدية قيمتها أصبح ضرورياً الإعداد النفسى لمواجهة «من نوع آخر».. «وجهات نظره» طلبت من الدكتور يحيى الرخاوى أن يكتب لنا فى «سيكولوجيا ما جرى» وما يجرى

بعد كل ما جرى.. ألا توجد فائدة حقاً؟ وهل البديل الوحيد أمامنا هو الانتحار.. بعد «سقوطه» فنداد! العاصمة العربية.. وبعد «اعتقال» زعيم «عربى» حصل يوماً على جائزة نوبل للسلام، فى مقره.. لما يقرب من عامين.. أمام انظار العالم أجمع.. وبعد المشاهد «الفضائية» للمقابر الجماعية.. وبعد أن تمت إذابة أجساد آلاف العراقيين، بالقنابل الحارقة، والدكية.. والميكرويف، وغيرها من الأوصاف العلمية البراقة.. وبعد ما بدأ.. على السطح على الأقل.. وفى كثير من الكتابات والتعليقات «أن لا فائدة لمقاومة من أى نوع أمام تلك القوة الأسطورية» الطاغية.. وأن لا مكان هذه الأيام للشجاعة والإيمان والوطنية.. أمام الصواريخ الموجهة بالليزر، والقنابل زنة

عن التعليم.. والحريات.. والخصوصية.. والأمل

قراءة فيما جرى!

يحيى الرخاوى

مادم الأمر أصبح كذلك، والاستعمار أصبح مشروعاً بكل هذه الحكمة الخولية، ليس من صميم العقل أن نتعلم ونسمع الكلام بدوننا، ونمشي بجوار الحائط، ونحن على يقين - إن شاء الله - أن تقوم الديمقراطية الأمريكية، الموصى عليها من مجلس الأمن، بالتواجب؟

يبدو أن ذلك هو ما يساور كثيراً منا أفراداً وجماعات، حتى لو أعلن غير ذلك، إن ما وصلت إليه حالنا، وحال نظم حكمتنا، وحال تدهور أوضاعنا، ونمادى كسلنا، وتفاقم كذبنا، واحتمال الجرائم التى يمكن أن يرتكبها بعض حكامنا، لحد استمرارهم على الكرسي، إن كل ذلك يمكن أن يبرر أى حل حتى لو كان عودة لإباحة تجارة العبيد. يبدو أن الحرية الحقيقية لنا هى حرية اختيار السيد، لنا كامل الحق أن نختر أن يكون السيد الشارى فى سوق التناسه هو خواجه المديق الكذب ويلقى إلينا من هالض مولده ما يقيم الأود أشهى والذ، أو أن يكون سيدنا الشارى وحشا آدمي يهدننا أحياء بعد النذل والرعب والكذب

الأساسية. وايضا أولئكهم بالسلامة- للتصرف فى بترول المراق ومعادنه، وكذلك بالنابة بأمر ناسه من تعليم وتدين وثقافة وعمل وزواج، حتى يمشوا فى التيات والنبات، وينجبوا صبيانا وينات. لم يبق إلا أن يفوض المجلس الموقر الخزانة فى التحكم فى أحلام هؤلاء المظالمين، وربما أيضا فى موقعهم فى الجنة دون النذر. لم ينس المجلس الموقر أن يعطى دوراً للألم المتحملة فى أن تتابع ما يجرى من باب العلم بالشئ، دون اتخاذ الملازم. قرار مجلس الأمن هذا أخطر من الاستعمار ذاته. إن اختراق القانون يطل اختراقاً للقانون مهما بدت نتائجه حسنة، وهو لا يسقط بالتقادم. الجريمة تمت علانية، ومقرتها هو اقوى دولة فى العالم وأغناها وأغلبها. ومع ذلك فإن الأمر بدا وكأن ضابطاً مصرياً نوبتجياً يقفل المحضر بتأثيره مصرية واقعية تقول: «يستمز الحال على ما هو عليه، والمتظلم يلجأ إلى القضاء».. أى قضاء يمكن أن نلجأ إليه متظلمين بعد ما حدث.

هذا حق، ولكن إذا صادفنا فى استعمار هذا الحق (العقائير للتهنئة الدالمة) لصالح شركات الدواء أساساً، دون النظر فى المضاعفات التى تلحق بالمريض ونحن نقضى على أى حركة رافضة أو محتجة مع محاولتنا القضاء على المرض، يصبح الدواء فى هذه الحالة داء جديداً، ربما أخطر.

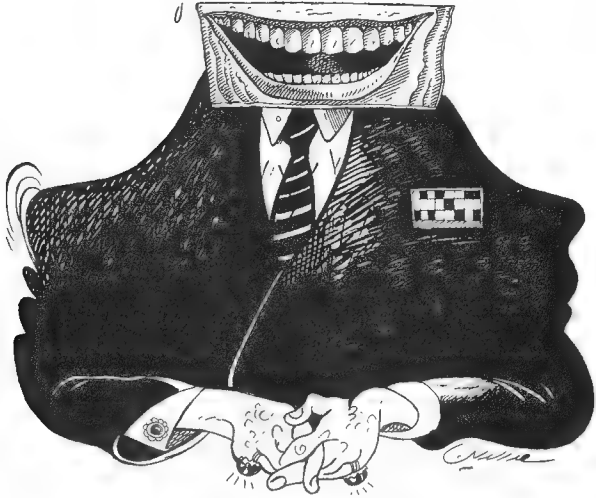


قرر مجلس الأمن قبل شهر، ربما بعد أن هزته -مثلنا- مناسخ المقابر الجماعية، أن أى شرفى الدنيا (حتى لو كان شر الاستعمار) هو أفضل من هذا الذى يراه، فتورط وأعطى ما حدث من جريمة، شرعية ما (برغم تحفظات وتعقيبات السيد دوفيلبان، وزير خارجية فرنسا). أولئك المجلس الموقر الأمركلة لأصحاب الفضل فى الاستعمار التحريرى الديمقراطى المبارك، وقد أوصاهم خيراً بناس العراق وبنيتته

من واقع ما مارسه فى مهنتى، يعتبر المرض النفسى (العقلى) هزيمة وتنادراً وتراجعاً وانكساراً، وأحياناً يؤدي إلى الجريمة أو الانحراف أو الانتحار. لا أحد يمكن أن يدافع عن المرض لدرجة استبقائه، حتى لو كانت بداياته (بدايات المرض) تشير إلى معنى الاحتجاج والثورة

لكن شمة قريباً بين التخلص من المرض وبين التخلص من المريض بالمرء. صدام كان مريضاً خطيراً، متأصلاً وحقيقياً فى إن، ثم يضادى إلى أن أصبح سرطاناً شائهاً مشوهاً، ينبغي استئصاله، لكن الذى جرى ويجرى هو محاولة استئصال المريض مع المرض. إن الذى يجرى - بموافقة العالم الآن، ولو بآثر رجعى - أنه يتم القضاء على شعب العراق وما يمثله (من تاريخ ووعود) ضمن استئصال سرطان صدام ومضاعفاته. فكرة الحق الذى يرا به باطل فكرة قديمة وجبهة. التهنة بالعقائير المهنة الجسمية علاج ناجع لحالات الهياج المرضى والدهان النشتم،

يصبح ضرورياً الإعداد «النفسي» لمواجهة من نوع آخر!



إلى بعض الخير فيما ثم رغم سوء النية وسوء المأل الأرحم. أخطر الخطر هو أن تتصور أن النصر الظاهر هو دليل أن صاحبه هو من أهل الخير والرؤية الأسبق، لأنه قضى على شر أكيد، ثم هاهو مجلس الأمن يقره، مع همهمة محدودة، وهما هي المظاهرات لتتوقف متقززة من الذهب والمقابر الجماعية. يمكن أيضاً أن يستتبع ذلك تصورات الديموقراطية بالصورة التي وعد بها العازي نكل عيوبها ومزايها وخداعها والاعبيها، هي نهاية الأنظمة السياسية بلا بديل. إن تعميم قيم المختصر على العالم، لحد أنه انصهر قد تنتهي بنا - خصوصاً ونحن بهذا الكسل والاعتمادية - إلى اعتبار هذه الديموقراطية المشبوهة بالذات نهاية الأيديولوجيات، (بيل والحصارات والديانات بامرة)، ليس هذا هو ما حدث بعد انهيار الاتحاد السوفيتي حين راح هذا المختصر نفسه يعلن نهاية التاريخ وهو يرفع يده على حلقة ملاكمة الحرب الباردة، باعتبار أنه لم يبق في الدنيا إلا هنا المختصر الذي هزم بطل العالم الأسبق.

كما عليه أن يسلم من عنده من القادريين على إبداع أي شيء أو فكر يمكن أن يهدد هذا السيد الخاص السموح له بالتدمير دون غيره باعتباره المحتكر لحق التدمير وإيادته، الشر، بحسب ما يرى هو. رابعاً: لم يكن الصراع بين فيقيذين بل هما وجهان لعملة واحدة، الوجه الأضعف اختفى مؤلفاً على الأقل، والوجه الأقوى افترى ناقشاً ريشه ليس قوانين جديدة تحدد معالم الحقوق، والواجبات، والأخلاق، والتشريع، والجنة، والذات، والديمقراطية، وحقوق الإنسان، وذلك باعتبار أن أي مختصر على أمين مخازن المقابر الجماعية هو على درجة من الأخلاق والندرية بحيث يقدر على نفعنا أكثر من انفسنا، حتى لو كنا الضحايا في الحالين.

مخاطر التسطيع والاختزال

نعرف أن ما نتصوره قد يكون أهم من الواقع ذاته، وعليه فإن أخطر الخطر ليس فيما حدث، فالتأمل يمكن أن ينتبه

والحق عليه (ولو بأثر رجعي) مجلس الأمن بالسلمة، ثم إن قارئ قرار مجلس الأمن هذا يمكن أن يطمئن لشرط خفى وضع بين السطوط، شرط، يسمح باستعمال أسلحة الدمار الشامل لناس دون ناس. شرط مكتوب بالحبر السري لمن يحسن فك رموزه. يسمح بممارسة التدمير الشامل دون تمييز لكل من يقسم أنه لا يدمر إلا الأشرار وضحاياهم بامرة (الشيء لزوم الشيء)، على شرط أن يكون هذا الدمار الشامل أقوى وأغنى وأقدر على الكذب والمثاقرة، وأن يثبت أنه امتلك أسلحة الدمار لأكثر من نصف قرن، وأنه سبق له تدمير البشر والأمل والحرية دون أن يؤاخذ، وأنه رغم كل ذلك ما زال سيد العالم قوة وجبروتاً وظلماً وتشويهاً.



أما من لا يتمتع بهذه الميزات الإنسانية الخاصة فعليه أن يسلم ما عنده من أسلحة وتوايا عدوان من أصله،

والتجوع. بل إنه قد خيل إلى أنه لم يعد أمامنا حتى هذا الاختيار بين الدفء أحياء أو برصاصة واحدة في هذه المقابر الجماعية، وبين أن نكون تابعين مستعمرين لأسباب أرقي وأرق، هم الذين يترون لنا هو أصح لنا. هل الأمر كذلك فعلاً، أم أن ثمة بعداً أعمق للمسألة؟ قبل الإجابة، نعيد صياغة ما حدث بإيجاز شديد. أولاً: لم يكن فيما حدث مفاجأة، بل تعرية للجاري على الجانبين منذ سنين. لم تكن كارثة، بل كاشفة. ثانياً: لم تكن حرباً أصلاً، بل قرصنة لص محترف، للتخلص من قاطع طريق قاتل، للاستيلاء على أسلحته، وإيضاحاً على ما تبقى من هريسته. (ثم تم تعيين هذا القرصان نفسه حاكماً للجزيرة التي بها الكثر المرسوم في الخريطة التي تركها جنى مجهول بين انقاض مركز التجارة العالمي يوم القبض على الأمل والعدل والحياء!) ثالثاً: لم تكن المسألة أسلحة دمار شامل، فالدمار الشامل الحقيقي قد

فمن ذا الذي يجرؤ على نزاله بعد ذلك، إلا الصحافي ورسامو الكاريكاتير؟ ما المطلوب إذن؟

قبول التحدي

أي فرد منا يستقبل خبراً أو يعيش مسألة عامة أو يعلمه رقم رسمي أو علمي أو شبه علمي، سرعان ما يعود لقياس ما وصله بالنظر في حاله، وحال من حوله، وحال ما حوله، ثم هو يتخذ موقفه غالباً من موقع مهنته ولغته، وحاجاته، وتحييزات، ودرجة تضخيمه، ومساحة حريته، مع احتمالات الاختلال أو التعميم.

اعتبر أنني لم أجد طريقة لقراءة الأحداث وقبول التحدي إلا «قياساً» من واقع مهنتي. هو مدخل شخصي، لكنه واقع يمكن تطبيقه على سائر التخصصات، وعامل الخرسانة، وعامل الذرة، ومصمم الأزياء، كل منا يقرأ الأحداث من زوايته، ويقيس - نوعاً أو بغير نوع - مجرياتها الأمور كما يفهمها من واقع مرجعيته المعرفية العملية، ومصلحته المباشرة كما تتبدى له في نفسه، وفيهم حوله أولاً ولعل كل شيء. (كان سام ماسح الأديبة يصنف نزاله الخان في رواية مستر بكويك، تشارلز كنكز، من واقع أحذيتهم). الثرت مهنتي في قراءتي لنفسني والناس والأحداث على مستويات مختلفة، فمن ناحية أنا أقرأ أخبار الاقتصاد المحلي من قدرة مرضاه على التداوي، كما أقرأ أخبار الاقتصاد العالمي ومناورات الاحتكار وضم الشركات العارية القارات من خلال ما تقوم به هذه الشركات من شراء العلماء وتسطيح الأبحاث وفصيل مع الأطباء والمفسرين والمؤتمرات الشكولية وأوهام المعلومات العروضة في جداول ومقارنات بعيدا عن العصر إلى الأعمق. ثم إنني أشتعر الخطر على الجنس البشري كله من نفسية مستهزئة مشجونة واحد، ضبخت نفسها استلهم من تدهور مرضاه إلى عبود سخيطة من الحياة، رسالة لقول... إن الجاري، ثم الاستسلام لنتائج لا يهدد العراق ولطيفين وسوريا والعرب حسب بل هو تهديد لبقاء النوع الإنساني نفسه.



إن الحديث عن دالة ما حدث من تهديد بالقضاء الشامل (الانقراض) لا ينبغي أن يؤخذ باعتباره هراء. إنه التدخل الذي ربما يؤدي بنا إلى محاولة التدمير دورنا جماعة ثم فرداً فرداً. لقد وصلت، من خلال قراءة صديقي المجنون وهو

ينسحب، من كل إنجازاته، وأغلب إنسانيته إلى ما يلي.
أولاً: نقرأ لسنا إلا نوعاً من الأحياء، صحيح أننا نتصور أننا على قمة الهرم الحيوي الذي نعرفه، لكننا نفلت ننتهي إلى الأحياء الذين تحكمهم قوانين البقاء عامة.

ثانياً: إن بقاء نوعنا لا يرتبط بالتصارع في معركة حربية، أو انحراف مجرد قاتل حاكم، بل هو يرتبط بمدى التعامل مع الزمن والمحيط (البيئة) الوسط. (الكون) ثم التعامل مع بعضنا البعض، ثم التعامل مع سائر الأحياء والحياة.

ثالثاً: كان ذلك التعامل يتم تلقائياً دون حاجة إلى وعي ظاهر، أو عقل مضطرب، لكن أزمة الإنسان هي أنه أصبح يمتلك هذا ذلك (الإرادة الواعية) والعقل (المسيطر)، وبالتالي زادت مسؤوليته، وزادت فرصه، وزادت الخطأ.

من هذا المنطلق

رحبت بعيد قراءة موقفنا الخاص لأرى كيف تعلمنا من الدرس الجاري، وماذا يمكن أن نعدله، وماذا يمكن أن نتراجع عنه، وماذا يمكن أن نضيفه. إن الحياة وقت وعمل. يتحدد مصيرنا وأحقيتنا بإنسانيتنا بما نفعل به الوقت، وبما يتوجه إليه العمل. إن الوعي البشري - محطة ما انتهى إليه النوع البشري - هو الذي يسمح باختيار ما يفعله، وما يتوجه إليه عمله. لا بد أن يعاد النظر في هذه البهديات بعد كل مازق وجودي يمر به البشر وينتدب بالفضاء من خلال طروف الطبيعة أو أخطاء ومفاسدات إبداع الإنسان منها ولتسعين (من الحرب العالمية الأولى حتى تقنيات الذرة، ومن الهندسة الوراثية حتى المقابر الجماعية).

من هذا المنطلق، على كل واحد منا



عبر العالم، دون استثناء، أن يعيد النظر في موقفه وموقعه من خلال ما حدث. إن تحديد مسئوليتنا عما حدث ليس كافياً بقدر ما هو لازم تحديد دورنا فيما يحدث. علينا أن نبادر بطرح أسئلة قديمة، نتحلى إلى اتجاهات جديدة، ومن ذلك.

أولاً: أين نحن تحديدًا مما جرى ويجري؟

ثانياً: ما المقاييس التي نقيس بها ما هو نحن، وما نساهم به، وما نتجهز؟ ثالثاً: ما القضايا التي نتفلسف، وهل هي من اختياراتنا أساماً أو أننا نناقش ورا ما لم نختر؟

رابعاً: ما تقرب أولويات هذه القضايا؟

لا يمكن في مداخله محدودة المساحة، أن نجد إجابات وافية على أي من هذه الأسئلة حتى بإجمال مختزل. إذاً دعنا مسولاً هذه الأسئلة التي تبدو له بعيدة لا مدنى لطرحها أصلاً، قد ينير مشكوك بإجابات حاسمة وأبعاد متفائلة مجاصلة. بل إن الأصعب والأخطر أنك لو قارنت إجابات هذا المسؤل عن نفس الأسئلة قبل وبعد ما

حدث مؤخرًا في العراق ثم في مجلس الأمن، فإليك سوف تنقل نفس الإجابات دون أن تتغير فيه شعرة. الأغرب من ذلك (الذي لم يعد غريباً) هو ذلك لو طرحت نفس الأسئلة على مثل هذا المسؤول أو ذلك، مع العهد السابقة مع اختلاف نظام الحكم والحكام، فسوف تجد نفس الإجابات.

هذه هي أولى علامات الخطر. إننا لا نتغير؟!

مسوولنا يجيبون جناً، بصره، وسلاسل وينفس تعبيري الوجه، ٩٦ مثل بعدها، ولعل ٦٧ مثل بعدها، ولعل ٧٣ مثل بعدها، ولعل ٢٠٠١ مثل بعده، ولعل ٢٠٠٣ مثل الآن. (مع اختلافات وأسماوات وأسما الأشخاص). إن ما؟

موجز إجابات هؤلاء المسؤولين على اختلاف العصور يمكن إيجازها في: «أنا نكويسون» في جميع الأحوال، وأنها مهمات تفاقم، فإنها تقترب من الانقراض، وأن التقدير العلمي أقر بأننا على الخط الصحيح للتصحيح، وأن التعليم وصل إلى الصوة الحسنة، وأن البحث العلمي في أروع مراحله بأماره إن الدكتور زويل أخذ نوبل، وإن إبداءنا الأديب وصل إلى أعلى مستوياته بدليل نجيب محفوظ، وأن عتق الزجاجة لم يعد عتق زجاجة، بل أصبح بطن بقرة.

قضايا زائفة، وأهمية

إن ضياع الوقت في محاولة معرفة أين صدام، وماذا من الصحافي، وهل حدثت خيانة، وهل لم اخترع، وهل يتولى الأمر الولايات المتحدة أم الأمم المتحدة، إن ضياع الوقت فيما أشتدج إليه هكنا، هو أولي علامات أننا لم نتعلم بالقدر الكافي. إن أول ما ينبغي تعلمه هو ألا نستدرج إلى مناهل لا تعطينا، أو قد نصيب من نخرها، ثم نصدق أولوياتها. بعد ما حدث، علينا أن نعيد النظر في كل قضائنا مهما بلغت قدسيته أو تصونها لإطلاق مفعليها. علينا قبل أن نستدرج إلى الخوض في تفاصيل فرعية لأي قضية مهما بدت عاجلة وملحة، أن نتوقف لننظر في الأساس، في رأس الموضوع وحقيقة اختيارنا له قبل الاندراج لا تحته، هل هي قضيتنا نحن أم أنها مفرضة علينا من واقع الشروع والتمتيد؟ بل ينبغي أحياناً أن نتراجع خطوة سابعة لتسامل قبلاً، هل هي قضية أصلاً؟

إن ثمة قضايا كثيرة تلقى في وعينا فتندور فيها وهوام من أنها - لو أعينا النظر - ليست بقضايا أصلاً. قضائنا أحراراً تستغرقنا جملة وتفصيلاً ما أنه قد انكثى عمرها الافتراضي، قضائنا ثالثة

هي مَمْرُوةٌ لِبَنَاتِنَا لِنَشْفِلُنَّ عَنْ قَضَايَا
أَسَاسِيَةِ أَمَمِ قَضَايَا رَابِعَةً انْتَهَتْ بِمَوْتِ
أَحَدِ أَطْرَافِ النِّزَاعِ، قَضَايَا خَامِسَةً
وَعِظْفُهَا اللَّعِبُ فِي الْهَوَاسِ بَعِيدًا مِنْ
الْحَاتِنِ لَكُلِّ الْوَقْتِ، وَهَكَذَا كَثِيرٌ.



بَاجْتِهَادِ مَتَوَاضِعِ رَحَتِ أَنْظُرْ - بِصَفَةِ
مَامَةٍ - فِي الْقَضَايَا الْمَطْرُوحَةِ عَلَى وَعِينَا
وَالْمُسْتَنْدَفَةِ لَوَقَاتِنَا وَمَقَالَتَانَا، وَالَّتِي لَمْ
تَقْتَرِفْ لَهَا فِي وَلَا تَرْتِيبِ أَوَّلِيَّاتِهَا قَبْلَ بَعْدِ
مَا حَدَثَ، تَبَيَّنَتْ أَوَّلُ مَا عَلَيْنَا عَمَلُهُ
لِنَجْتَنِبَ الْإِلْهَاءَ وَالْإِسْتِدْرَاجَ، وَهُوَ أَنْ نُبْدَأَ
بِمُتَمَيِّزِ الْعَمَلِ مِنَ الْمُسَمَّنِ، الزَّالِفِ مِنْ
الْجَانِبَيْنِ، لِيَسَّ فِيمَا يَتَقَلَّبُ بَيْنَا حَدَثٌ،
وَلَكِنْ بِصَفَةِ عَامَةٍ، لِأَنَّ مَحْصِيَّتَنَا عَامَةٌ،
بِرْغَمِ أَنْ مَسْئُولِيَّتُنَا فَرِيضَةٌ وَعَامَةٌ مَعًا.

تَحْصِيلُ حَاصِلِ

أَعْلَبُ قَضَايَانَا هِيَ مِنْ قَبِيلِ تَحْصِيلِ
الْحَاصِلِ، نَعْمَ نَهَاتَيْهَا مَسْبِقًا قَبْلَ أَنْ
نُبْدَأَهَا، وَمَعَ ذَلِكَ نَضَعُ وَقَاتِنَا وَجْهَنَا
فِيهَا لِنَسِيرَ أَثْنًا حَسَمًا نَهَاتَيْهَا مِنْ قَبْلِ
تَظْهَرُ مِثْلُ هَذِهِ الْقَضَايَا فِي أَهَمِّ مَجَالَيْنِ
مَحْصُورَيْنِ كَانِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَا هُمَا الْفُتْرَانِ
لَا نَحْنُ فِيهِمَا، إِلَّا وَهْمًا، الْبَحْثُ الْعِلْمِيُّ،
وَالْمُتَاوَى الدِّينِيَّةِ، إِنْ كَثُرَا مَا نَسْمِيهِ
الْبَحْثَ الْعِلْمِيَّ هُوَ تَحْصِيلُ حَاصِلِ، نُبْدَأُ
مِنْ حَيْثُ بَدَأُوا أَوْ انْتَهَوْا، لِنُكْشِرَ مَا فَهَلُوا،
وَنُصَلِّحَ إِلَى مَا أَوْصَوْا بِهِ، وَقَدْ نَضِيفُ، وَنَعُدُّ
الْمَحْصُرَيْنِ، قَضَايَا تَحْصِيلِ الْحَاصِلِ
الْمُتَاوَى الدِّينِيَّةِ (لَيْسَتْ بِالْمُتَوَاضِعَةِ
رَسْمِيَّةٍ) هِيَ بَلَا حَصَرٍ، مِثْلُ الْمُنَاقَشَةِ، إِنَّهُ لَا
تَنَارُ قَضِيَّةٍ دِينِيَّةٍ لَا وَيَكُونُ الْحُكْمُ فِيهَا
فِي نَهَايَةِ النِّهَايَةِ هُوَ مَا أَقْبَى بِهِ السَّلَفُ
تَحْدِيدَهُ، هِيَ قَضِيَّةُ الْحَوَارِيِّينَ الْأَدْيَانِ
لَنْتَهَى حَيْثُ تَبَيَّنَ ضَامًا، (لَيْسَ الْبَحْثُ الْإِبْرَاقِي
شَوْذُوذٌ مُخْلَصًا صَادِقًا أَنَّهُ لَا حَوَارِيَيْنِ
الْأَدْيَانِ وَنَامَا بَيْنَ الْمُتَدِينِينَ، بَلْ لَيْتُنَا هَذَا
أَفْضَلُ مِنَ الْكَلْبِ الْإِبْرَاقِيِّ)، مِنْ أَشْهُرِ
الْقَضَايَا حَسَنَةُ السَّمْعَةِ بِأَلْفَايَةِ
مَسْأَلَةِ بَقُولِ الْأُخْرَى، إِنْ أَعْلَبُ مَا يَجْرَى
حَسَبَ هَذِهِ الْخُطَّةِ، هُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّضَالُّعِ
قَصِيرِ الْعُمُرِ (وَالَّتِي فِي الْقَلْبِ فِي
الطَّبْلِ)، إِنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ لَا تَتِمُّ بِقَبُولِ
حُكْمِ هَذِهِ الْخُطَّةِ، هُوَ تَحْصِيلُ بِحَالَةٍ، فَضْ
الْإِشْتِيَاءِ، لَا بَاسَ، وَلَكِنْ أَيْسَ الْأَوَّلَى
أَنْ تُسَمَّى بِسَمَائِهِا، لَحْنُ وَتَعَالَمُ الْيَوْمِ فِي
حَاجَةِ إِلَى الْإِتِّحَامِ بِالْأَخْرِافِ الْخُطَابِ
لِتَخْلُقَ مَا يَخْرُجُ مِمَّا مَعًا، مَجْرَدُ فَضْ
الْإِشْتِيَاءِ بِسَمْعِ إِشْتِمَالِ الْفُرَانِ مِنْ أَوَّلِ
شَرَارَةٍ.

ثُمَّ قَضَايَا لَيْسَتْ تَحْصِيلُ حَاصِلِ،
لَكِنَّا سَبْهَلِيَّتُكَ حَتَّى انْتَهَى عَمْرُهَا
الْإِفْرَاقِيَّاتِ، قَدْ تَكُونُ قَدْ أَهْنَكْتَ حَتَّى

شَاخَتْ دُونَ حِلِّ، أَوْ تَكُونُ قَدْ سُوِّيتِ
بِطَرِيقَةٍ تَلْفِيفِيَّةٍ لَا تَحْمِلُ مَقْصُودًا
بِقَالَتِهَا، أَوْ تَكُونُ غَيْرَ قَابِلَةٍ لِلْحِلِّ أَصْلًا.
وَمَعَ ذَلِكَ فَتَحْنُ لَا نَضْعَلُ شَيْئًا إِلَّا أَنْ نَعُودَ
إِلَيْهَا، أَوْ لَا نَغَادِرَهَا إِتْبَادَهُ، هِيَ حِجَابُ
مَا هُوَ أَوْلَى، خَذَ مَثَلًا قَضِيَّةَ الْأَصَالَةِ
وَالْعَامَرَةِ، (أَوْ الْفَرَاتِ وَالْحَالَةِ)، (إِلَاحَ) لَا
جَدِيدِ.

ثُمَّ قَضَايَا أُخْرَى سَقَطَتْ بِالتَّقَادُمِ
أَوْ بِمَوْتِ أَحَدِ أَطْرَافِ النِّزَاعِ مَثَلًا سَقَطَتْ
قَضِيَّةُ الْحَرْبِ الْبَارِدَةِ بِوَفْقِ الْإِتِّحَادِ
الْمُسَوِّتِيَّ إِثْرَ حَادَثِ الْيَمِّ، لَكِنَّا مَارِلُنَا
نَسْتَرْجِعُ بَوَاسِ أَوْ غَيْرِ وَصِي إِلَيْهَا، أَوْ إِلَى
مَا يَعَادِلُهَا، يَبْدُو أَثْنًا مَارِلُنَا لَا نَضْعَلُ مَا
حَدَثَ، مَارِلًا فَرِيقٍ مِمَّا يَؤْوِلُ تَطْهِيرِ
الْجَوِبِ مِنْ مَعْدٍ مَسْهُولٍ عَلَى أَحَدِ
الْجَانِبَيْنِ، وَكَانَ أَوْرُوبَا الْأُفْرَاقِيَّةِ مَارِلَاتِ
شَرْقِيَّةٍ، وَكَانَ بَلِيرُ مَارِلَ رُضْمِيَا لِحَزْبِ
اشْتِرَاكِي يُسَمَّى حَزْبُ الْعَمَالِ (تَقْصِيرُ).
الْقَضَايَا الزَّالِفَةُ هِيَ نَوْعٌ آخَرُ مِمَّا
نُسْتَدْرِكُ إِلَيْهَا، وَهِيَ قَضَايَا مُبْتَدِعَةٌ عَلَى

هَذَاكَ غَرِبَ لَكَاوْفٍ وَغَرِبَ تَشْوَمَسْكَ، كَمَا
أَنْ هَذَاكَ غَرِبَ دِيلِيو بُوَشْ، وَغَرِبَ تَشْنِي،
ثُمَّ غَرِبَ شَارُونِ، وَغَرِبَ بِيرِيَزْ، وَغَرِبَ
الْيُونَانِ، وَحَتَّى غَرِبَ تَرْكِيَا!!
نَفْسُ الْحَاكِيَةِ لِلنَّسَبَةِ لِلْإِسْلَامِ:
إِسْلَامُ جَاوَرِي غَيْرِ إِسْلَامِ الشَّيْخِ
الشَّارَوِيِّ، وَإِسْلَامُ وَكُولَمِ إِسْلَامِ غَيْرِ
إِسْلَامِ الْقُرْصَاوِي، وَإِسْلَامُ إِيرَانَ غَيْرِ إِسْلَامِ
الْغَرَبِ، وَإِسْلَامُ ابْنِ عَرَبِي غَيْرِ إِسْلَامِ
رُضْمِ، فَالْيَمِّ الْقَضِيَّةُ؟ وَمَنْ هُمْ
التَّصَارُوعُونَ؟



هَذَاكَ أَيْضًا قَضَايَا خَادِمَةٌ مَغْطُوعَةٌ
إِذَا نَظَرْتَ فِي مَعْنَاهَا قَبْلَ أَنْ نُسْتَدْرِكُ إِلَيْهَا
تَلَاثَتْ تَحْتَ الْفَحْصِ، إِنْ سَوَّفَ تَكْتَشِفُ
أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ، خَذَ مَثَلًا بَيْنَ
الْمَرْكَبِيَّةِ وَالْأُخْرَى، وَالْأُخْرَى يُمَثِّلُ الْأُصُولِيَّةِ



الرَّسْمِيَّةِ، وَلَا فَرْقَ إِلَّا فِي الْوَسِيلَةِ، لَا فَرْقَ
بَيْنَ مَدَامِ، وَدِيلِيو بُوَشْ، فِي عَمَلِ الْإِلْهَاءِ
الْأُخْرَى، وَخِثْرَاقِ الْقَانُونِ وَقَلَّتِ الْأُفْرَاقِيَّةُ بَلَا
حُكْمَاةٍ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ وَيَسِينِ
شَارُونِ، فَالْيَمِّ الْقَضِيَّةُ؟
نَتَنَكَّرُ أَيْضًا إِحْتِمَالُ خِصْمَةِ الْمَوَاجِهَةِ
بَيْنَ الصَّيْنِ وَالْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ، لَوْ أَنَّكَ
نَظَرْتَ أَعْمَقَ (مَعَ الْاِعْتَارَافِ لِلدُّكْتُورِ أَنْوَرِ
عُزْزِ الْمَلِكِ وَأَهْلِهِ هِيَ طَرِيقُ الْحَرِيرِ،
وَعِلَاقَةُ كُونْفُوشْيُوسِ بِالْإِسْلَامِ!!)، ثُمَّ
تَأَمَّلْتَ الصِّقَاقَ الْمَعْلَنَةَ وَالْخَصِيَّةَ بَيْنَ
أَمْرِيكََا وَالصَّيْنِ، وَكَذَلِكَ نَمُودُجِ التَّنَمِيَّةِ
وَالْحَيَاةِ الْكَمِيَّةِ عِنْدَ كُلِّ فَرْسَعَانِ مَا
نَسْتَبِينُ إِنَّمَا وَاحِدٌ، وَلَيْسَا عَلَى طَرَفِي
تَقْصُرُ.

كَذَلِكَ عَلَيْنَا أَنْ نَنْتَبِهَ إِلَى التَّوْحِيدِ
الظَّاهِرِ وَالْخَفِيِّ بَيْنَ رُوسِيَا وَالْوَلَايَاتِ
الْمُتَّحِدَةِ، خُصُوصًا فِي مَوَاقِفِ الشَّيْشَانِ
عَلَى تَاجِيَّةٍ، وَالْقَاعَادَةِ وَالْفَلَسْطِينِيِّينَ
عَلَى التَّاجِيَّةِ الْأُخْرَى.
ثُمَّ قَضَايَا مَرْفُوعَةٌ مَالَعَةٌ (خَادِعَةٌ)
أَيْضًا، مِثْلُ تَصَوُّرِ الْمُسْتَضْعِفِينَ لِمُفْتَرَةٍ
مُشْرِقَةٍ أَمَلَةٍ أَثْنًا حُدَّةِ الْأُزْمَةِ أَنْ أَوْرُوبَا
تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْتَلِفَ مَعَ أَمْرِيكََا حَتَّى

الْمَوَاجِهَةِ، لَكِنِ الْمُتَقَبِّحُ لِلْإِسْلَامِ الْآخِرِ
الْمُكَارَّةَةِ لَا يَدُ أَنْ يَتَبَيَّنَ أَنَّهُ كَانَ اخْتِلَافًا
الْقَرِيبَ إِلَى عَنَابِ الشَّرْكَاءِ مِنْهُ إِلَى اخْتِلَافِ
مَوَاقِفِ وَجُودِيَّةٍ جَوْهَرِيَّةٍ يُمْكِنُ أَنْ تَتَفَرَّقَ
جَدَلًا حَقِيقِيًّا.

نَوْعٌ آخَرُ حِيلَةٍ خَيْرٌ، مَا زِلْنَا نَسْتَدْرِكُ
إِلَيْهَا، وَنَدُورُ حَوْلَهُ مِثْلُ الْمُسْتَرْجِعِينَ،
السَّائِرِينَ نِيَامًا، ثُمَّ لَا نَذْفِقُ إِلَّا بَعْدَ
الْانْتِهَاءِ الْوَقْتُ الْأَصْلِي لِدَوْرِنَا فِي الْحَيَاةِ،
مَعَ أَثْنَا لَمْ نُدْرِكْ حَتَّى فِي قَالَمَتِهِ
الْإِحْتَاطِي، إِنَّهَا الْقَضَايَا الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ
تَسْمَى قَضَايَا الْإِلْهَاءِ، وَهِيَ تَتِمُّ إِذَا
بِالْإِرَاقَةِ، أَوْ بِالنَهْمِيَّةِ، أَوْ بِالْإِفْرَاقِ فِي
التَّفَاصِيلِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا نَهَايَةٌ، إِنْ الْمَتَابِعِ
لِمَتَابُوتِ التَّقَاوُضِ بَيْنَ مَعْدَةٍ ١٩٤٠ وَحَتَّى
خَارِطَةِ الطَّرِيقِ، يُمْكِنُ أَنْ يَدْرِكَ كَمْ لَيْسَ
الْجَوَابُ لِلْإِلْهَاءِ مِنَ الْأَصْلِ، وَعَنِ الْاِثْنِ، وَعَنِ
الْحَقِّ، وَعَنِ الْعَدْلِ، كُلُّ الْمَقَاضِيَاتِ تَقْرِيْبًا
كَانَ هَذَاكَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، كَسْبِ الْوَقْتُ
لَا حُلَّ الْقَضِيَّةِ، كُلُّ الْمَقَاضِيَاتِ تَقْرِيْبًا لَمْ
تَخْرُجْ عَنْ أَحَدِ هَذِهِ الْأَصْبَابِ الثَّلَاثَةِ
(الْإِرَاقَةِ، وَالنَهْمِيَّةِ، وَالتَّفَاصِيلِ الَّتِي
لَا تَقْدَمُ وَلَا تَخُورُ).



هَذَاكَ الْأَصْبَابِ أُخْرَى، نَعْمَ فِيهَا
بِحُضْرِ غَائِبَاتِنَا، فَهِنْتَلَمُّهُ عَنْ أَصْلِ
الْمَوَاجِهَةِ، وَذَلِكَ حِينَ تَلْقَى إِلَيْنَا مَعْدِيَّةُ
إِحْيَاءِ الْفُتْرَانِ التَّكْصِيبِيَّةِ بِظَاهِرِهَا
الدِّينِيَّةِ، الظَّكَرِيَّةِ وَضَعُومًا، فَوْضَمًا،
الدِّينِ الْيَهُودِيِّ (وَلَيْسَ شَارُونِ)، فِي مَقَابِلِ
الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ (وَلَيْسَ حَسَابِ)، وَكَانَ
الْخِلَافُ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ بِوَفْقِ الْإِلْهَاءِ
وَأَيْهَمَا يَدْخُلُ الشَّلَا، ثُمَّ يَحْدُثُ الْإِفْرَاقُ
بِالتَّكْصِيبِ فَوَسَّجَ الْفَسْنَا فِي قَضِيَّةِ أُخْرَى
عَلَى مَسْتَوَى أُنْجِدَ حَتَّى يَصْهَرُونَ دِينِ
الْإِسْلَامِ (لَا الْمُسْلِمِينَ) فِي مَوَاجِهَةِ
الْأُصُولِيَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ الْجَدِيدَةِ فِي أَمْرِيكََا،
وَهِيَ تَتَلَوُّ أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ.

هَذِهِ قَضَايَا تَشْمَلُ التَّارِيفَ السَّوِيَّةَ، مَعَ
أَنَّا قَدِيمَةُ حَادِثَةِ التَّارِيخِ، إِنْ إِحْيَاءَهَا سَرَا
عَلَى عِلَالَتِيَّةٍ، مَرَادُهَا أَنْ نُوَازِ سِتَارَهُ
أَيْضًا مِنْ قَبْلِ الْإِلْهَاءِ.
عِنْدَ الْأَزْمَةِ الْمُنَاقَشَةِ، أَوْ الْكَاشِفَةِ،
تَقْصُرُ فُرْصَةُ هَذِهِ الْقَضَايَا الْفَرْصِيَّةِ أَوْ
الدِّيمِيَّةِ، كَثُورَةُ مِنَ التَّسْكِينِ لِلتَّجَالِجِ إِلَى
مَا لَا نَهَايَةَ، إِنْ إِثَارَةً مِثْلُ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ
يَعِيدُ إِحْيَاءَ الْقَضَايَا الْقَضِيَّةِ لِنَتَلَمَّسُ
بِالْيَمْنِ عَنْ مَوَاجِهَةِ الْخَاصِرِ وَصَانَعَةٍ
الْمُسْتَقْبَلِ، بَعْدَ هَزِيمَةِ ١٩٦٧ ظَهَرَ شَارِ
يَقُولُ (أَنْ دَارُجُوعَ إِلَى الدِّينِ) هُوَ الْحَلُّ
الْمُنَاقِشِ مَوْزَأَهُ خِلَافُ كُلِّ مَنْ مَدَامِ
وَدِيلِيو بُوَشْ أَثْنًا حُدَّةِ الْمَوَاجِهَةِ (وَلَوْ لَا يَأْمِ
الْقَضِيَّةِ) لَمْ يَخْفُضْ عَلَى الْمَقْتَدِي الدِّينِيَّةِ
لِلْخِلَافِ عَلَى الْجَانِبَيْنِ، لَيْسَ فَقَطْ
الْحَادِثِ مِنْ مَحْوَرِ الشَّرَفِ
نَاجِيَّةٍ، وَعَنِ الْإِفْرَاقِ

والاستشهاد هي الناحية الأخرى، ولكن في كثير مما ظهر في السطور، وأكثر فيما غاب بين السطور.

نهاية، و، بداية،

ما علاقة كل ذلك ما آل إليه امرنا بعد حرب العراق، وتوقيع العالم، ممثلاً في مجلس الأمن - على الأمر الواقع (قرار ١٤٨٣) إذا كنا حقاً نريد أن نتحمل مسؤولية مواجهة، علينا أن نبداً بانفسنا(ولو فُردي)، في كل مجال، بما يلي، كما يلي:

أولاً: مسؤولية ما حدث، بدلاً من إلقاء اللوم. ثانياً: إعادة النظر في واقعنا حالاً بمفاهيم أخرى. ثالثاً: تحديد مبادئنا لوقفنا مما يمثلها كل من صدام وبوش مما (باعتبارنا وجهين لعملة واحدة). رابعاً: تحديد حجم شروئنا الحقيقية، عمق الوعى ومساحته، مضروب في حجم الوقت وحركيته، مضروب في طريقة الأداء (والأدوات). هذه ليست مسائل نظرية.

حاشاً: قياس هذه الشروة مقارنة بواقع الناتج اليومي، نوفاً وكماً، تحديد الفاقد الفعلي لوجودنا البشرى. سادساً: تعجب القضايا الزائفة لمواجهة هيماننا الحقيقية. سابعاً: تحديد أولويات هذه القضايا الحقيقية.

ثامناً: إشراك كل الناس عبر العالم فيما هو مشترك.

تاسماً: الاستعداد لتحمل مزيد من الهزائم والتعلم منها. كيف السبيل إلى تحقيق بعض ذلك، أو البدء في مثل ذلك، لا يكفي أن نعدد الأسباب أو نفسر الأحداث أو نرصد السبلات أو نتبادل الآراء - الأمر أصبح أخطر من كل ذلك.

أولى بنا أن نتوقف عن الكلام والتفسير والتبرير إذا لم يكن لدينا إلا تكرار ما سبق أن فُردناه بحسن نية أو بمثالية عاجزة. أو بنا أن نعلل لنا قبلنا أن نتبع الأقوى جملةً وتفضيلاً، من أن ندعى أن الله هو الحق، ثم لا نفعل شيئاً إلا أن نمارس نفس قيمهم التتموية، ونسعى وراء السعى إلى مجتمع الرغابية، سواء في الحياة الدنيا أو في الآخرة. ولا تنتبه إلى أن النموذج الذي يطرعه هذا الفكر قد يكون هو نموذج التتموية الكمية دون الأخلاق لا نرفعه إلا في اتجاه القبلة وشكل الصلاة.

إذا كنا نختلف لاختلاف، ونتمتع ونتمتع - وإذا كنا نتفق لجهنمتهم، ونتمتع ونتمتع. وهي الحالين لن يتكرر ما حدث. أما أن نخطئ في موقفنا، نكراناً لنا لن ننع،

ونحن لا نفعل شيئاً إلا أن نتبع تحت لافتة أخرى، فحسن لا نفعل شيئاً إلا أن نبرأ لهم ما فعلوا، وما سوف يفعلونه.

القضايا الحقيقية

القضايا الحقيقية ليست ثابتة ولا متغلفة. إنها قضايا تتجدد من واقع إعادة التقييم على أرض الواقع المتغير، حتى لو حملت نفس الاسم. لا بد من إعادة التقييم. ليس من فوق المكاتب أو بالنظر في الأرقام دون الشارع ودخل البيوت. الجديد أيضاً في تناول قضايا هيماء هو المشاركة فيما لم تعد مسؤولية على مكان جغرافي بعينه. إن الناس الآن قد انتهت إلى خطر مشترك. هذا هو الذي سوف يخلق شبكة من الناس تتكاتف وهي تشعر بحظر تهديد البقاء بأسلحة الدمار من قادة الدمار العميان الأقوى. إن هذا الوعي المشترك بالخوف من



الفناء هو الذي يمكن أن يدفع الناس من واقع الفعل اليومي إلى العمل على درء هذا الخطر للحفاظ على النوع، متمماً بتكاتف الفعل لجر قالب السكر إلى محزن البليات الشؤوى، أو حتى مثل هجرة الطيور معاً سعياً إلى التلاؤم مع احتمالات التغير الحامى.

وتسبقتان

حتى لا يكون الكلام نظرياً تماماً، أشر، بكل الاحتمال، إلى وشيقتين اعتبرتهما مدخيلين لا أريد توصيله. وقد كتبنا قبل ما حدث، وقيل في إحداهما أنها تليها ما حدث جداً، وقيل في الأخرى أنها لم ينتبه إليها أحد برغم بالغ خطورتها. لن أتناول أيها منهما بالتفصيل أو بالتفصيل، فقط سوف أورد بعض إشارات يمكن أن تكون النطلق للمنهج الذي أريد التنبيه إليه. التنبيه، وهو مسئول كبير في موقع التنفيذ، ماسم «مفتقر الطرق»، وهو

كتاب حتى يتقريب معظم (إن لم يكن كل) الذين علقوا عليه، وقد وقفت من الكتاب موقفاً حاداً حتى قبل أن أقرأه لعدة أسباب، منها أنني أعرف كاتبه طبيبياً حاداً، وأستاذاً جامعياً مرموقاً، ولا أعرفه بالقدر الكافي وزيرا أو سياسياً، ومنها أنني قرأت كتابه السابق ولم أجد فيه جديداً، ومنها أن الكاتب في موقع التنفيذ، ومنها أنني في ممارستي مهنتي طبيبياً نفسياً، وأستاذاً جامعيّاً، أتابع مستوى التعليم (الرسمى خاصة) وقد وصل إلى أدنى مراتبه، سواء من الناحية الخلقية (الفشى الفردى والجماعى)، أو من الناحية الإبداعية (التسجيع) والانحلال داخل النظام المقرر أو من الناحية المنهجية (العجز عن الإتيان والمصلحة والتقريب وفساد اللغة وغياب الحبيبة). ثم قرأت الكتاب والأرقام، والاستشهادات بالشر، والتفكير الأملى، ولم أغير رأيي. بل زدت حزناً وتوقفاً للكوارث، خاصة بعد تصريح لا حق



للمؤلف منذ أيام يقول فيه إن التعليم عندما أصبح قدوة للبلاد من حولنا، وإن قيم الحرية والديمقراطية تمارس وتدرس في كل المراحل باستقلال كامل دون توجيه من أمريكا... إلخ. الوثيقة الثانية هي التقرير الذي قدمه الدكتور جودت الملقر لرئيس الجهاز المركزى للمحاسبات إلى مجلس الشعب حول ملاحظات الجهاز عن الحسابات الوطنية للسنة المالية ٢٠٠٠ - ٢٠٠١. وهذه الوثيقة ملاحظات رسمية، اقتصادية شديدة الخطورة، خلاصتها أن البنية الأساسية الاقتصادية، حتى منذ سنتين (فما بالك الآن)، قد وصلت إلى درجة متدرة لا تقصر أى مير لا لاستبداد حجارة رصيف لم تتكامل حجارتها، أو إعادة تأثيث مكتب مسئول ما، الأخطر من كل ذلك أن هذا التقرير لم يئل أى عناية لا من السلطة التشريعية، ولا من وسائل الإعلام، ولا من الشارع من أصحاب الصلحة الذين يدفعون ثمن ما جاء فيه، ونحن ما يرتب عنه، ونحن اغفله. قدرت بينى وبين نفسى، وقد أكون مخطفاً، أن عدم التعلم من هاتين

الوثيقتين لا يقل عن عدم التعلم من كارثة كاشفة العراق، ثم قدرت، وأنا أكثر أنا أنه لو حدث أن دخلنا امتحاناً مثل هذا الامتحان العراقى، فسوف يظهر مغزى عدم التعلم من الوثيقتين بما يفسر ما سوف يجرى، لا قدر الله، دون حاجة لاتهامنا بامتلاك أسلحة الدمار التامل.

يخش القضايا الجوهرية،

لإعادة النظر،

(١) قضية التعليم انطلاقاً من الملاحظات العابرة على «مفتقر الطرق» الذى لا تنفى من كاتبه، الفاضل حسن النية وبوفرة الاحساس، نقول: إن التعليم هو المدخل الأول لأي تغيير، حتى الإعلام بجبروته وإثارته، لا يمكن التوفى من أضراره أو مواجهته بما ينبغي إلا من خلال التعليم الصحيح. لكن علينا ألا نندفع في مجرد التكرار. المطلوب هو التوقف الموضوعى المسئول عند كل ما يبدو بديهياً، أو ما يلوح لنا الملمن.

خذ مثلاً محو الأمية، إنها تفتح لن يقترأ ويكتب أن يحصل على معلومات مربية بدلاً من اقتصره على المعلومات السطحية، ثم إنها تفتح له التعبير عما يريد، وإعادة تشكيل ما وصل إليه بشكل مكتوب. يمكن للأخر أن يصله حتى لو لم يلق صاحبه أو يسمعه.

لكى نقيم قيمة «محو الأمية» في الحيلولة دون كارثة مثل كارثة العراق، علينا أن نسال أنفسنا من تحريف «الأمية» وجنوى محوها من حيث مدى إفادة من تخلص منها في تحقيق الهدف من تعلمه القراءة والكتابة. هل تعلم طالب الجامعة (المفروض أنه أصبحت أميته) كيف يقرأ صحيفة يومية قراءة نافذة؟ هل تفعله إذا هو فى قراءة مضغمة من كتاب «مفتقر الطرق»، مثلاً: (الجدول ٣) ٢١٨ بحثون العلماء والمهندسين في البحث العلمي، (لاحظ، المهندسين، لا: المهندسون) بحيث أتاحت له القراءة المرة تلو المرة أن يتسلم ما يجمع العلماء من المهندسين تحديداً، ومن مع العالم في البحث والتنمية؟ وماذا يعمل المهندس في البحث والتنمية؟ وهل المهندس يعتبر عالماً ما حرقاً؟ ولماذا لم يرتب الجدول الأرقام ترتيباً تنازلياً أو تصاعدياً أو يرتب الدول أجيادياً؟ إذ لم يتسلم القارئ العادى (النايك عن الناقد الأريب) مثل هذه التساؤلات حول جدول عابر في كتاب لسؤال كبير، فما فائدة أنه تعلم القراءة والكتابة؟ بنفس القياس، إذا لم يستفد القارئ من قراءة تقرير الدكتور الملق (الجهاز المدد الرابع والخمسون - يوليو ٢٠٠٢ م

المركزي للمحاضرات) المرة تلو المرة. فما فائدة تعلمه القراءة والكتابة؟

هذا من محو الأمية. فإذا انتقلنا إلى أعلى الهرم لننظر في ما آل إليه حال ما يسمى شهادة درجة الدكتوراه، فكل أمين متابع لبعض ذلك يمكن أن يعرف مدى الانفصال الذي تم بين هذه الدرجة الأكاديمية أو الحقوقي وبين التطبيق المنيح لمجتمع الحاصل عليها من جهة أخرى. ثم إذا نظرنا في الخلفية المشتركة لكل من محو الأمية والحصول على درجة الدكتوراه فيما يتعلق بأميرين، الإثقان، والأخلاق، فإن لوجيئنا أن الفاعل في محو الأمية (تعليم القراءة والكتابة) في عدم الإثقان، وعلى من لا يستطيع أن يقوم بعمل بحث من واقع أوراق إجابة طلبة كلية الآداب أو الحقوقي غير مخرج من مديري عند الساعات المفتوحة المعرض أن تكون مبرومة وبالعكس. ثم يتساءل، هل هؤلاء هم الذين سوف يخرجون مديري أو أساتذة أو قضاة وهل أمنت أمنيته أصلاً، الإثقان في أبحاث الدكتوراه أصيب في مقتل خاصة بعد إسهام ما يسمى بالبحث عبر الإنترنت في الاختزال، والتسطيح، والتقليق، والتكدب جميعاً.



أما ما آلت إليه الأخلاق باعتبارها البنية الأساسية التي ينبغي عليها التعليم والبحث العلمي، فالنقصان أصبحت هي الغش الفردي والجماعي، بالظول والممرض. ثم يعد يجري أي امتحان (تقريباً) لا على خلفية من العشر المباح من السنة الثانية الابتدائية حتى درجة الدكتوراه. صرت حين أحول أن أقيم درجة ذكاء بعض مرضاي من خلال تحصيلهم المدرسي لا أكتفى بالأسئلة من تقديريهم المولي في هذه الشهادات العامة (دم جانباً سنوات النقل) بل لا بد أن الحق ذلك بسؤال إضافي يستفسر عن ظروف أداء المتاح من هذه الشهادة أو تلك... كان غشّي أو دون غشّي، الغروب في الأمر أن العالمة، أو أهله لا يستمرون السؤال بل إليهم يصلون إلى درجة من الأمانة، تجعلهم يجهلون بصديق أن ذلك كان «غش طبعاً» وبعضهم يغش قائلًا «ما سيأيدك عارف» وقد أسلم من بعض الحاصلين على الإحصائية أن يقرأ صحيفة يتصادف وجودها على مكتبه، فلا يستطيع إحصاء العناوين الكبيرة، وقد أُطلب من حاصل على الإحصائية أن يكتب اسمه فلا يستطيع (راجع بعض ما جاء في كتاب مفتاح الطرق من روعة ما وصل إلى حال التعليم من إحاطة وإيجابية ومهيمنة، وإبداعاً) على الفئران أن يظفر في بعض ذلك،

ويربطه بأبحاث العراق، وما يمكن أن يصيبنا مثله حين يشتعل الحريق من «مستنصر الشر».

(٢) قضية الحرية يبدو أنه لم تقس كلمة في تاريخ البشرية مثلاً، فتمت كلمة الحرية، كلمة أخرى كادت تكتسب نفس القضية، هي الديمقراطية، لنفص الأسباب، ما أنها ليست مرادفة للحرية، ورغم كل ذلك، فنحن- عبر العالم- أبعد ما نكون عن الحرية، حتى في تجليها السياسي فيما هو ديمقراطية.

كل الاستطلاعات، والتصريحات، والهجوم، والدفاع، والقتل، والسحب، والإدلال، تم ويتم تحت نفس الالتمة الديمقراطية. التهمة الأولى في جرائم صدام هي أنه انتهك الديمقراطية، والتجاوز الأكبر الذي قامت به أمريكا وهي تضرب برأي أغلبية مجلس الأمن، وأغلبية محاضرات الشوارع عرض الحائط هو ضرب الديمقراطية في الصميم.



عندنا: ما إن انتهت الإغارة الكارثة حتى راح كل الناس، والنصح والمقنوع خاصة، يتهاون في إلبات أن غياب الديمقراطية هو المثلون عن كل ما حدث، كل ما يحتاج مراجعة متأنية، علينا أولاً: ألا نتصور أن الديمقراطية هي المرافد للحرية، وثانياً، ألا نجعل نقداً ما يسمى الديمقراطية يساوي رفضنا لها، وثالثاً، ألا يصفنا بقيننا من أنه ليس ثم بديل لها إلى التسليم بها بلا شروط، وبلا وعي، وبلا مراجعة، وبلا نقد. وربما: أننا إذا فصرنا بحق، فليكن أن نسند لتحمل نتائجها مهما كانت، وأول من يستعد لذلك هو من نادى بها وألح في النداء باعتبارها الحل الأمثل.

إن قردها شعاراً الديمقراطية هي الحرة، دون قبول كل التحفظات والشروط (التي كثيراً ما تصطبغت شعاراً أن «الإسلام هو الحل» دون تفصيل كافٍ يشير إلى كل «ما داء» وكيفية.

إذا كنا نريد أن نطمح معاً حدث، علينا أن نأمر بفتح ملف الحرية، وليس فقط الديمقراطية، وأن نسمى جاهدنا إلى إبداع ما يتجاوز تقليد ما كان سبباً

في إلالاتنا سواء بالاستعمال الزائف من صدام أم بالتسويق المشوш.

(٣) قضية المنهج والفقه: قضية المنهج ليست قضية أكاديمية بحتة، ولا هي منفصلة عن قضية التعليم أو الحرية. لا توجد معرفة بدون منهج، ولا تستمر حياة بدون منهج، حتى قبول الحياة بدون منهج هو منهج في ذاته. إن طرح قضية المنهج في هذه اللحظة لا يعني الدعوة إلى اتباع منهج محدد، أو تعصيل منهج على منهج، وإنما هو للتذكير بأن المنطق البسيط، والمنطق العام هو منهج في ذاته، وإننا نفكر إلى هذا المنطق بشكل لا جدال فيه.

لا بد- خاصة بعد ما حدث- أن تعود إلى النظر في منهج كل شيء، وأن نقس جولي أي منهج ليس بدون رضاه عنه، أو شيوخ موضوعيته (للحكمة بقايسيم) ولكن بحقيقة جدواه لنا الآن وبعد. إن مجرد إحياء المنطق البسيط، والحرص على تنويع المناهج، وتعلم حسن مراعاتها،

يمكن أن يعرفنا كيف كتب تقرير الدكتور المثل، وكيف قراءه.

أما قضية اللغة فهي أكبر من أن تحتويها هذه المداخل في هذا الحيز. اللغة العربية بوجه خاص هي التاريخ الحي الحضاري لجمالية اللغة العربية، وأما حركتها ومرونتها وفترتها على الإبداع. لا يمكن أن تكون هذه اللغة قد تخلخت لئلا صارت بكل هذا الحضور من قوم لا يتشتمون إليها. العرب الذين اتسجروا العرب حين تجلت بصورتها الحالية هم أقبر الناس على إعادة إنتاج حياتهم من واقع الآن مهما كان عظيماً أو مراً. ليس مطلوبنا لتعليم جمال اللغة العربية أو الفوضى للمعز على لآلهة، وإنما المطلوب والمأمول هو أن نجسنا هذه اللغة مسلوياً، لا فخر، وإبداعاً لا تفسيراً. حتى اللهجات العامية، المخروص أن نحترمها لتفهم الاختلاف ثم لننتقي من رحاب النقص دون استهانة بغيره.

لن يجمع العرب إلا لنهضم واقتصادهم وإبداعهم، قبل أسلحتهم وخطيبهم وجامعتهم، اللغة منهج حياة،

ونفيض وجود بقدر ما هي أداة تواصل. إن ما لحق بلقننا العربية ولهجاتنا العامية هو اختلال قدر على مسئوليتنا عن ما وصلنا إليه من مشاشة وتراجع عما نحن عليه. إن لم نستطع أن ندافع عن لغتنا، الكيان، الأصل، فلن نستطيع أن ندافع عن أرضنا ولا عن كرامتنا مهما أمكننا من أسلحة أو يتروّل أو أموال.

ضيق شعباً في السلاسل، جردهم من ملاسهم سيد أفواههم، لكنهم مازالوا أحراراً.

خذ منهم أعمالهم، وجوزات سفرهم والموالد التي ياكلون عليها والأسرة التي ينامون عليها، لكنهم مازالوا أغنياء. إن الشعب يتفكر ويتسبب وعندها يسلب المصالح الذي تركه له الأجداد يضعه إذاً لنيل، المصالح الصنصني (إنجازهم بوتيماً من قضية لغة وحوار) التفات عبد السلام المسدي (٤) قضية الدين والإيمان العودة إلى الدين هي حقيقة جارية عبر العالم، من أول قراءة معنى الشعار الناس للكنائس بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، حتى انتشار الحجاب عندنا، مروراً بالحركة الأصولية الإسلامية في الولايات المتحدة، بل إنه حين لا نقي الأديان التقليدية في صورتها الكلاسيكية الثابتة بطلبات هذه العودة نُحترق ملل صغيرة جديدة هنا وهناك، بنين يقول بيهبوط وحى ما عليه، أو حتى دون ذلك.



المراسم البيولوجية التطورية الأحدث لا ترى الدين اختراعاً اخترعه الإنسان ليسد به حاجته (كما يزعم فرويد) بل هي تتناول الدين والشين والإيمان والله سبحانه وتعالى كحقائق بيولوجية كونية تجلت عبر تطور الأحياء حتى وصلت إلى الإنسان في صورتها الراهنة. إن ذلك لا يرجع الأديان للطبيعة، ولكنه يؤكد غور الحقائق الأزلية التي جاءت بها الأديان لتعقم إنسانية الإنسان وتطلق إبداعه.

إن إنكار هذه الحقيقة الكونية الإلهية كضرب أساسي ليكون البشر بشراً قد ترتبت على معصائب متنوعة ترجع من الضيق الفردي إلى الانهيار الاقتصادي والحروب، يتم هذا الإنكار بطرق مختلفة، إما بنسى سريع مثلاً حدث هو أن ازدهار الشيوعية بين اعتبر الدين مخدراً للشعوب، وإما بتمريس الإلحاد في المدارس لتقوية ما أي نخبر، وإما بتزييف حقائق الإيمان بفشور دينية بواسطة سلطة كهنوتية لصالح السلطة السياسية، أو الطبقة البرجوازية، وما باختزال وجهات نظرم

والحرص على عدم التقديس ببعض ما سبقت الإشارة إليه في فقرة العلم مع اختلاف المحتوى والشكل. إن دور المثقف (والثقوي) لا بد أن يعاد النظر فيه بعد ما كان، حتى لا يصبح عبئاً على تطور ناسنا في اتجاه ما هم، وما تعد به طبيعتهم. إن لم يتغير دور المثقف بعد ما حدث ليحمل مسؤولية مباشرة في الإسهام في التصحيح والإبداع، فنحن لم نشهد شيئا.

إنشا أحوج ما نكون في كل هذه القضايا إلى أن نعيد النظر في دور المثقف المكتبي لحساب المثقف المبدع المنغم بالأساس المختبر لمشاكل (خصوصا المشاكل المستعجلة، والتي تصوب دلا لحل) نحن ملاقا قضائية الديمقراطية، نحن في حاجة إلى ديمقراطية أخرى حتى لا يكون البديل هو الشمولية. أخذ قضية الدين والإبداع والإيمان، لا أقول إلى في حاجة إلى بديل جديد، ولكننا في حاجة إلى إبداع يوصل الأديان ببعضها البعض في توجه ضام، وهو ما كان على مدى تاريخنا كله، بين الأزر، المصري، والكينية، والوطنية، لا يبعدهما من بعضهما البعض بما أسميته فض الاشتباك، ولا يعمق تفصيل بعضهما على بعض. من الذي يستطيع أن يقياس بعمل ذلك إلا مثقف مسؤول بالمعنى الإبداعي، وليس بالمعنى الموسوعي أو الشكلي من أعلى.

خلاصة هذه الفقرة هي التثنية على ضرورة إعادة النظر في خدمة تصور حثي الشكل دون حقيقة الجدوى وصواب التوجه. يمكن أن يوصف بعضنا بأنه مبدع مجرد حملته على جائزة أو أن نضاً أن تمت ترجمته إلى لغة قوم أخرى من وأسبق. كل هذا على العين والراس، ولكن بغير أن تتجاوز المرحلة بالمظهر إلى الإسهام في جوهر قضائنا الملحة فإننا نضل لهم مهمة استمالتنا طوعا أو كرها. ومن ثم تكرار ما حدث.

(٦) قضية الحروب التقليدية تبوؤ هذه القضية أقل شمولا من القضايا السابقة، لكن أكثر ارتباطا بها. يمكن بشكل أو بآخر يكون مباشرة. الكارثة التي سميت حرباً قد حسمت أمر نتيجة الحرب الأهلية لصالح القوى الشرعية بالمرة شمولا. لا لها جعلت هذه القوى أكثر غرورا وباحاة. إ ما حدث، خصوصا بعد أن اكتسب نوعا من الشرعية بأثر رجعي (قرار مجلس الأمن رقم ١٤٨٣)، يجعل حسابات الحرب والسلام تنقل من سيايات قوة محلية مقابل قوة عالمية (كذا ملطرة كذا دبابا مقابل كذا طائرة ودبابا عند العدو) إلى حسابات التوازنات عالمية، وتجاوزات إجرامية مستحقة. التصورات الانشائية الحقيقية المباشرة التي ينبغي أن تتوقعها (إذا ما أحسننا قراءة ما حدث)، أن علينا

القبائل القاتلة بالذكاء مرة، وبالإبداع مرة، وبالقدرات الخارقة مرات. إن إعادة النظر في استعمالات مصطلحات العلم والتكنولوجيا لصالح البشر ضدهم لا يكفى بحددها حدث. لا بد أن تمتد المراجعة إلى الانتباه إلى خطورة اختزال المعرفة إلى العلم، وإيضا إلى خطورة تقسيم العلم وجعله وصيا على منظومات أخرى موازية، أقدم، ربما أكثر فائدة. بعدما حدث علينا أن نقيم موقفنا من العلم فقط من حيث إننا نقده حتى نسمحه إلى ما ليس هو، ولكن من حيث إننا لا نعرفه ولا نمارسه بما يلازم (مع لندقه). إن الناظر الأمين في ما يجري في مجال البحث العلمي غننا لا بد أن ينتبه إلى أكثر من ذلك لا يمت إلى البحث بمصلة، بل لا يمت إلى العلم بمصلة. إعادة النظر في هذه الجزئية من هذه القضية يحتاج منا إلى دراسة جدوى الأموال والوقت والمقاول التي تستهلك

أو وصاية فرائية أو سلطوية إن إغفال هذه القضية أو تهملها لا تسليما لغير أهلها سوف يؤدي إلى مثل ما جرى وأكثر. (٥) من الإعلام، والمعلومات، والعلم، والثقافة، والتثوير

هل كل هذا قضية واحدة؟ نعم، من المطلق الذي أوردته هذه المداخل. إن الذي يجمع هذه المجموعات في قضية واحدة هو أنها جميعا تمثل إنجازات مصرية لها فاعلية يومية زائلة متلاحقة وملاحقة، كذلك فإنها جميعا تشترك في أنها تستعمل من باب التباهي بالتقدم بحيث إن من يتصف بها يعتبر معاصرا، أو عصرياً، أو مستمدا، أو متحضرا، ثم إن علاقتها بالإنسان التكنولوجية الأحدث، وثيقة بحيث يصعب فصلها. الأمل الحقيقي بالنسبة لدور الإعلام الحديث هو أن تزايد فرص الإعلام خارج السلطات، أي الإعلام المتجاوز للسلول والمال، لا بد أن نحصر على الترويج لحق

المين إلى جزء منه دون كلية حضوره، وإما وابتداء أديان مستحدثة تحل محل الحقيقة الأصلية المتفرسة في الوجود، وإما بالجمود عند تصورات نظمية ساكنة، وإما بخسر ما تنصرونه الدين في قالب لم يمس له أصلا تحت مزامم التفسير العلمي للنصوص الإلهية.

لا حظا أثناء هذه الأزمة وقبلها، وتبريرا لها، وضدنا، إن خبرة الخطاب المبني قد ارتفعت من الجانبين، وهما واحد، لكنها ارتفعت لتستعمل الدين لا لتطلق عن إبداعاته.

إذا كان لنا أن نتعلم من ذلك، فنسرك أولا أن كل التنسج والتزييف والاختزال الذي لحق بالدين الحقيقي لم ينبع أن يملأوى الناس. إن علينا فتح هذا الملف من واقع ما تجلى لنا في هذا المشهد الكارثي الأخير بأسلوب آخر لهدف آخر. لهم -على الجانبين- استعملوا الدين تبريرا للظلم، والظلم، والانتحار، علينا نحن أن نتحمل مسؤولية إحياء الدين والإيمان بالإبداع الحقيقي، إذا كنا نحترم جدور المسألة حقا، ونسعى لتعلم من المعنى الجهنري للكارثة.

إن جارودي دخل إلى الإسلام من باب الإبداع سميا إلى تجاوز القيم التي يمثلها العرب الغريب، وهو يصير على فتح باب الاجتهاد والجدل بين المبتدئين حتى لا يكون الحوار في النهاية من قبيل، قمص الاشتباه ما ذكرنا. أو كما وصف في الحوار بين الإسلام المطلق، والمسيحية المقلقة بأنه «حوار بين صريحين». إن إسلام جارودي يتغيرنا بضرورة النهل من ابن عربي والسهوردي والفارابي أكثر من الاقتصار على ما سجننا فيه العرب من بعض إن رشد باعتبار أنها بعضنا مهم ردت إليهم، لا أكثر.



في هذا المجال، وأن نكف عن الممارزات مع الأعداء (إسرائيل بالذات) بالأعداد، وبراءات الاختراع، وما ينشر من أبحاث بشكل كمي إجمالي ننتهي منه إلى الضور بالنقص الذي لا يترتب عليه إلا مزيد من التقديس دون الفعل، ومزيد من التسليم دون حقيقة تطبيقية.

حقيقية. إذا كان لنا أن نتعلم ما حدث فعلينا أن نضع العلم في موقعه التسيبي بين وسائل المعرفة الأخرى التي يمكن أن تتميز بها أكثر (من حيث إن الدين، والإيمان، والحق، والكل، والوعي الضعير، والتراث، الشيعي، والفرن والتجربة اليومية كلها مصادر موازية ومتكاملة مع العلم لتحقيق المعرفة). لعل في ذلك نقطة انطلاق إلى ما يميزنا. ولو على مستوى يبيد بدائيا أو كلياً أو خيراتها، لكن نوصي ضروري قد يؤدي إلى أهداف أخرى إذا كنا جادين في البحث من فروق دالة بيننا وبينهم.

أما عما يسمى بالثقافة (يعني النشاط الثقافي، وليس بعضه ما يشعري الوعي الجامعي) والنشاط التثويري، فلا يسرى عليه من حيث التحفظات

هذه قضية تحتاج إلى أن نستلهم جدورها وحقيقة إبداعها ليس من السلطات الوصية، وليس من التاريخ الهلوتي وتجميع النص لا استلهمها، ولكن من الواقع المعاصرة على طيف متسع من الإبداع إلى الإيمان متميزين. إن عجزنا عن الإصاات للممارسات المتنوعة وكذلك من الوفاء بمواكبة طبيعة هذا الأصل الممتدة جدوره إلى ما قبل التاريخ، الفتوحة نهاية إلى القبيب، لن يترتب على ذلك إلا اختزال أي دين إلى ما يشعري، وبالتالى استعماله في كل أنواع الدمار والتدمير والظفر ضد الإبداع.

وهذا بعض ما حدث. إذا أحسننا الإصاات لما جرى، وأردنا أن نتعلم، فلا مفر من أن نشع هذا الملف من مدله الصحيح، وأن نحسن فراقته بحقيقة، وليس بمظنومة من خارجه،

تهديد

■ مثل العدوان الأمريكي الأخير على العراق والذي انتهى باحتلاله عسكرياً كارثة حقيقية للنظام العربي تهدد ببقائه فعلاً لا قولاً. لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يواجه النظام العربي فيها تحدياً جسيماً ومخاطر فادحة، غير أنها دون شك، كما سيحاول التحليل التالي أن يثبت، تمثل أخطر أزمة تعرض لها النظام العربي منذ نشأته الرسمية في ١٩٥٥. ولذلك فإن إمعان النظر مطلوب في الأزمة الراهنة، غير أنه مطلوب سالبدرجة نفسها في دلالات الخبرة الماضية لهذا النظام في مواجهته للآزمات الخطيرة التي تعرض لها. فمن تلك الدلالات ومن إدخال متغيرات الحاضر عليها نستطيع أن نجري محاولة لاستشراف المستقبل. وسوف يعرض التحليل التالي أولاً لخبرة النظام العربي في مواجهة أخطر إزماته الماضية، ثم يتوقف ثانياً عند الأزمة الراهنة للنظام، والتي انتهت بالعدوان العسكري الأمريكي على العراق فاحتلاله، ذلك أن أداء النظام في مواجهة هذه الأزمة سوف يكشف عن دلالات مهمة بالنسبة للمستقبل وأخيراً ينتهي التحليل بمحاولة للتذكير في سيناريوهات المستقبل.

أولاً. النظام العربي

وخبرة الآزمات الماضية،

عندما وقعت كارثة احتلال العراق كان من الطبيعي أن يفرح إحياء هائل كل من هو عربي، وأن ينتشر الاعتقاد بأن الضياع والمستقبل كلمتان تحملان المعنى ذاته في السياق العربي. لا يفكر الناس الماديون عن مثل هذه اللحظات في الماضي ودلالات خبرته، ولا هم مطالبون أصلاً بذلك، غير أن واجب التخصصين يتجاوز بالتأنيب منطق تعلم الخدود وشق الجيوب وتوزيع الاتهامات واستعمار اللغات إلى محاولة الفهم واستخلاص الدروس وعن ثم توجيه لمستقبل.

لكن لم يحتل العراق هو الأزمة الأولى التي واجهها النظام العربي، ذلك أن سجله حافل بأزمات بعضها بالغ الخطورة، ومن الواضح أنه أي النظام العربي، قد تمكن من الخروج من تلك الآزمات بشكل أو بآخر على نحو سئ، ولذلك فإن تذكيراً سريعاً بها



مستقبل النظام العربي

العربي لا يميز هذا الانطباع، وقد يكون من الأدق القول بأن النظام العربي كان دوماً معرضاً لهجوم من خارجه فضلاً عن عوامل ضعفه البنوية الذاتية، ومع ذلك فقد تمكن دائماً من تطوير آليات بشكل أو بآخر للتعامل مع كافة الآزمات التي مثلت تهديداً له ودرجة أو باخرى، بحيث تمكن من اجتيازها وإن على نحو يستحق التوقف والتحليل.



في أعقاب هزيمة ١٩٤٨ على سبيل المثال يلفت النظر أن النظام العربي الرسمي حاول أن يصلح من شأنه فتوصل إلى اتفاقية الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي في ١٩٥٠، وقد آلت هذه المعاهدة بأية معقولة للحفاظ على الأمن القومي العربي بالنص في مادتها السادسة على تكوين مجلس للدفاع المشترك من وزراء الخارجية والدفاع الوطني للدول المتعاقدة أو من يثيرون عنهم، وما يقرره هذا المجلس بأكثرية ثلثي الدول الأعضاء يكون ملزماً لجميع الدول المتعاقدة، عكس الحال في ميثاق جامعة الدول العربية الذي تشمل معضلته لدى الكثيرين في أن قراراته المتخذة بالأغلبية لا تُلزم سوى من يوافق عليها، وقد أمكن الاستناد إلى هذه الاتفاقية لدعم حركة النظام لاحقاً في مواجهة إسرائيل في قمتي ١٩٦٤ في القاهرة والإسكندرية على سبيل المثال، وهما القمتان اللتان عقدتا لمواجهة التهديدات الإسرائيلية لمياه نهر الأردن، غير أنه لا يخفى أن ثمة مواقف أخرى كثيرة لم يمكن فيها وضع هذه الاتفاقية موضع التنفيذ أو حتى التصرف وفقاً لجوهرها وروحها كما يشي بذلك أداء النظام العربي في مواجهة الغزو العراقي للكويت في ١٩٩٠ على سبيل المثال.



وعندما وقعت هزيمة ١٩٦٧ كانت تداعياتها النفسية شديدة الوطأة ربما لأنها جاءت، على عكس هزيمة ١٩٤٨، في ذروة مشروع نهوض عربي متكامل، وساد الانطباع حيناً بأن كل شيء قد انهار ومع ذلك فلم تفض سوى أيام حتى بدأت عملية إعادة البناء العسكري ومقاومة الاحتلال الإسرائيلي في مصر، غير أن الأهم من منظور النظام العربي أن قمة الخرطوم قد عقدت في أغسطس ١٩٦٧

الأزمة التي تترجت على الانفصال السوري عن الجمهورية العربية المتحدة في سبتمبر ١٩٦١ وما تآزيت عليها لاحقاً من تداعيات على النظام العربي عادة نشأته الرسمية في ١٩٥٥ يتمثل في الأمر إلى انسحاب مصر (الجمهورية العربية المتحدة في ذلك الوقت) من اجتماعات المجلس الوزاري لجامعة الدول العربية التي عقدت في شتوا في أغسطس ١٩٦٢ بسبب الاتهامات السورية الموجهة لمصر بأنها تتدخل في شئونها الداخلية، وكذلك بأزمة المصدام بين السلطة الأردنية والمقاومة الفلسطينية في سبتمبر ١٩٧٠.

وقد يعنى هذا السجل الحافل بالأزمات الطبعياً بأن النظام العربي مأزوم منذ نشأته بحيث يمكن الاستنتاج بأن ما وصل إليه حاله الآن أمر طبيعي، غير أن إمعان النظر في تطور النظام

وبآليات تجاورها سوف يكون شديد الدلالة بالنسبة للحاضر والمستقبل. وقد يكون ممكناً الاتفاق على أن أخطر الآزمات التي واجهها النظام العربي منذ نشأته الرسمية في ١٩٥٥ يتمثل في هزيمة ١٩٤٨ في الحرب العربية، الإسرائيلية الأولى وأثارها عليه، والشيء نفسه بالنسبة لهزيمة ١٩٦٧، ثم الانفصال المصري. العربي حول نهج التعامل مع إسرائيل اعتباراً من زيارة السادات للقدس في ١٩٧٧ ووصولاً إلى توقيع أول معاهدة سلام إسرائيلية-عربية في ١٩٧٩، وأخيراً تداعيات الغزو العراقي للكويت في ١٩٩٠.

ليست هذه بمطبعة الحال هي كل الآزمات الخطيرة التي واجهها النظام العربي منذ نشأته، ولكن الأضواء ممكن بأنها تمثل أخطرها. ويمكن التذكير على سبيل المثال بأزميتين أخريين أوألهما

بعد أكثر قليلاً من شهرين على وقوع الهزيمة، وتوصلت إلى ما يمكن القطع بأنه معادلة سليمة للأرض القومية العربية وظلت هذه المعادلة خالصة حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣، شملت المعادلة في التمييز بين التناقضات الرئيسية وتلك الثانوية من منظور أمن النظام العربي في ذلك الوقت كانت آثار الحرب الأهلية في اليمن ما تزال متمثلة عربياً في استقطاب مصرى، سعودي حاد، وهنا توصلت الفمة إلى إنهاء ذلك الاستقطاب بما مكن من تصفية بؤرة التناقض الثانوي في النظام بين مصر والسعودية في يمكن له مواجهة التناقض الرئيسي السائد في الاحتلال الإسرائيلي لأرض عربية.



يتخللنا هذا إلى أزمة العلاقات المصرية العربية في أعقاب زيارة القدس التي سبقت الإشارة إليها، وفي هذه الأزمة علت عضوية مصر في جامعة الدول العربية وكافة المنظمات المتخصصة المرتبطة بها، وتقلت مقارها الموجودة في القاهرة، وقطعت كافة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والدول العربية على أساس رفض الالتزام بقرارات قمة بغداد ١٩٧٨ هي ضمان والصمود وجيبيوت، ومع ذلك فلم تكن مضى شهر على تلك الأزمة المصاحبة حتى بدأ يتضح أن عوامل التمسك في النظام العربي قد أخذت تأثرت أكلها.

كانت الحرب العراقية الإيرانية قد نشبت اعتباراً من سبتمبر ١٩٨٠ أي بعد حوالي سنة ونصف سنة من الخطوات السابقة، وفي إطار تلك الحرب كان لدى العراق برنامج تسليحي ضخم بالإضافة إلى حاجته لقطع غيار ما هو موجود لديه من الأسلحة، وكذلك للذخائر، وفي ذلك الوقت رفض الاتحاد السوفيتي تزويده بما يحتاجه على أساس تقييمه الإيجابي للثورة الإيرانية ووبرها في تصفية النفوذ الأمريكي في إيران، وربما رادته الأمل حينذاك أن إن يتمكن حزب توده الشيوعي من تثبيت قدمه في إيران في هذا السياق، أو كان يتبنى على الأقل أن ينسحب الدور الإيراني الحادي للولايات المتحدة في الانتشار خارج حدود إيران، هنا برز دور كعصر دول لتزويد العراق ببعض أنواع الأسلحة وقطع الغيار والذخائر التي يحتاجها في إشارة. هنا غير مباشرة إلى مفهوم الأمن القومي العربي، بمعنى أن العراق الذي قاد حملة مقاطعة مصر

لسياستها تجاه إسرائيل بات يدر أن ثمة حاجة لثأرتها له إزاء الخطر الإيراني، ولذلك طرق الباب المصري في ظل حكم السادات للعمل على تلبية هذه الحاجة، وهو ما فعله الرئيس السادات بما غرس بذور عودة الانحياز للحلف العربي من جديد منذ عام ١٩٨١.



ثم مثل غزو العراق للكويت أزمة غير مسبوقة في النظام العربي ذلك أنها كانت المرة الأولى التي تغزو فيها دولة عربية دولة عربية أخرى وتجنحها بها. كان قد سبق للنظام العربي أن شهد مطالبات القليبية من دول عربية تجاه أخرى، وشهد كذلك مصاصمات حدودية عسكرية بين دول عربية اتسع نطاق بعضها، لكنها كانت المرة الأولى التي يشهد فيها غزواً كاملاً والحقاً إكراهياً من دولة عربية لأخرى، من ناحية أخرى كان نموذج الصراعات الكبرى بين وحدات النظام قبل الغزو العراقي للكويت يشير إلى أن تلك الصراعات شملت بأحد المعايير وجهاً آخر من وجوه التماسك والوحدة، فقد كان معظمها يشير إلى حالة توحيد للنظام في مواجهة دولة يعنها خارجة عن مألوف سلوك النظام. هكذا كان نموذج الخلاف بين الأردن

ويقال الدول العربية حين ضم الأمير عبد الله الضفة العربية الفلسطينية، ثمهر الأردن إلى إمارته في ١٩٥٠، ونموذج الخلاف بين العراق ويقال الدول العربية بمناسبة انخراط الأول في مشروع حلف بغداد عام ١٩٥٥، وكذلك نموذج الخلاف بين العراق أيضاً ويقال الدول العربية عندما طالب رئيس وزرائه عبد الكريم قاسم في ١٩٦١ بعودة الكويت، التي كانت تتأهب لاستكمال مقومات الدولة بعد خلاصها من التبعية لبريطانيا. إلى حوض الأم العراقية، ونموذج الخلاف بين الأردن ويقال الدول العربية بمناسبة الصراع بين السلطات الأردنية والقائمة الفلسطينية في ١٩٧٠، ونموذج الخلاف بين السادات ويقال الدول العربية حين قام بزيارته الشهيرة إلى القدس وما ترقب عليها من تداعيات، أما في حالة غزو العراق للكويت فقد انقسم النظام العربي إلى السمين متساويين تقريباً على النحو الذي أظهره سلوك الدول العربية تجاه واقعة الغزو وتداعياتها، وهو ما بدأ واضحا في السلوك التصوري لتلك الدول في قمة القاهرة في أغسطس ١٩٩٠. لم يكن الخلاف بطبيعة الحال يدور صراحة حول المواقف على غزو الكويت من عدمه، ولكنه كان متعلفاً بكتيحية مواجهة تداعيات هذا الغزو بين من يرون بأن مواجهة هذه التداعيات ممكنة في إطار النظام العربي، وهم

الذين صنفوا باعتبارهم أنصاراً لصدام حسين، وأولئك الذين اعتقدوا بأن إنهاء الغزو غير ممكن إلا عن طريق الاستعانة بقوات دولية، وهم الذين صنفوا مؤيدين لدولة الكويت، هكذا تجلو معسكران متضادان بمناسبة تلك الأزمة أحدهما يتكون من دول مجلس التعاون الخليجي الست بالإضافة إلى مصر وسوريا وإلى حد ما المغرب والثاني تدخل فيه باقي الدول العربية بدرجة أو بأخرى حيث إنه كان منطوقاً على درجة من درجات التعارض في المواقف في الواقع العملي رجحت كفة المعسكر المناصر للكويت كما هو معلوم، فانتزع قراراً بالأبغلية من قمة القاهرة مخالفاً على الإجراءات التي اتخذتها دولة الكويت والمملكة العربية السعودية لحماية أمنيهما، أي بعبارة أخرى على الاستعانة بقوات أجنبية لإخراج القوات العراقية من الكويت ومنعها من الامتداد خارجها، وهذا لم يتكون التحالف الدولي الذي قادته الولايات المتحدة الأمريكية استناداً إلى شرعية قرارات مجلس الأمن فحسب، ولكنه شجع أيضاً بشكل أو بآخر بشخصية عربية وإلى معجزة، ومثل ذلك يولد نوعاً ثانياً فاصحاً في مفهوم الأمن القومي العربي، بعبارة الأولى التي مثلته واقعة الغزو، فهاذا، بالحق الأولى انقلبت معادلة الأمن القومي المصري رأساً على عقب، كان مصدر التهديد عربياً وألية الحماية دولية.

في تلك الأثناء روح البعض مفهوم نهاية النظام العربي، بل لقد راح فريق آخر يتساءل عما إذا كان مثل هذا النظام قد وجد في أي وقت من الأوقات، لكن الأمر اللافت أن تداعيات الأزمة على الرغم من ضدها أخذت في التلاشي تدريجياً وإن بوتيرة بطيئة، في البداية حدثت مصاصمات بين الأطراف غير المباشرين في معسكر الأزمة، أي بين من صنفوا أنصاراً للكويت ومن كيفت مواقفهم باعتبارهم أعداء لها، فقد كان طبيعياً أن تتوتر العلاقات بين حلفاء الكويت وخصومها (حالة مصر واليمن على سبيل المثال)، وبعد أن تم تجاوز التداعيات على هذا المستوى بدأت تصفية آثار الأزمة على مستوى علاقة العراق بأدصار الكويت كسوريا أو مصر وعلاقة الكويت بأنصار العراق كالأردن واليمن من ناحية أخرى، ثم بدأت بعد ذلك مواجهة جوهر المشكل العراقية الكويتية صريحاً أن ذلك قد تأخر لعدة سنوات، لكنه كال أخيراً معصوماً بالنظر إلى فداحة الواقعة



النظام العربي كان دوماً معرضاً للهجوم من خارجه فضلاً عن عوامل ضعفه البنوية الذاتية، ومع ذلك فقد تمكن دائماً من تطوير آليات بشكل أو بآخر للتعامل مع كافة الأزمات التي مثلت تهديداً له بدرجة أو بأخرى، بحيث تمكن من اجتيازها



العزو. هكذا تعطلت القمم العربية منذ أغسطس ١٩٩٠ وحتى يوليو ١٩٩٦، وعندما عقدت لها في ذلك التاريخ على القاهرة لوجية لدعائيات وصول البعيم الإسرائيلي إلى الحكم نزاعاً بينا بين نتنياهو وإي الداعون تلك القمم أن حضور العراق لها قد تكون له تداعيات سلبية على مداولاتها، ولذلك لم يدع لها أصلاً، غير أنه دعى في قمة الأقمى التي انعقدت في القاهرة في دهم ٢٠٠٠، وأن لم تناقش المسألة العراقية لإتاحة الفرصة للتركيز على الهدف الأصلي للقمم المتمثل في دعم الانتفاضة، غير أن محاولة جادة جرت بعد ذلك لإنجاز خطوة نوعية في طريق المصالحة العراقية، الكويتية في عهد معان الدورية الأولى في مارس ٢٠٠١، وإن لم تتوصل إلى غايتها، وقبل في حينه أن تتصدأ عراقياً قد عقد نجاح تلك المحاولات. وفي مطلع ٢٠٠٢ قام الأمير العام لجامعة الدول العربية بزيارة إلى العراق وأعلن في نهاية زيارته أن الرئيس العراقي حمل أفكاراً معيية إلى القادة العرب بشأن النزاع بين العراق والكويت، وعندما عقدت قمة بيروت في مارس ٢٠٠٢ توصلت إلى أساس حقيقي لمصالحة عراقية. كويتية بإعلان نائب الرئيس محمد ارضاء، فضلاً عن توصيل الرئيس لعدد من القرارات المحددة بخصوص تصمية القضايا العالقة بين البلدين.

شير أن ذلك الإنجاز المهم الذي تمكنت فيه بيروت من تحقيقه أخذ في التآكل تدريجياً مع تصاعد النبرة الدوائية الأمريكية إزاء العراق، وكان واضحاً من البداية أن الإدارة الأمريكية لم تكن مستريحة لتلك الخطوة التي اتخذتها، ولها تعمل على تخريبها، وفي هذا الإطار شهد الأسبوع الثاني من شهر يونيو ٢٠٠٢ جولة لوزير الدفاع الأمريكى في دول الخليج كشف فيها بوضوح عن نواياه التخريبية إزاء المصالحة العراقية، الكويتية، فوصف في تصريحات علنية دولة الكويت بأنها «دجاجة متعجبة كيف تبث الدجاجة في حضن الأسد؟ ويصور الوقت وانصاح الإصرار الأمريكى على الصمود على العراق، وتركز القوة الأمريكية البرية المصرية في أرضى الكويت ذهب لإنجاز المصالحة العراقية. الكويتية أراج الحجج. مسيحياً أن الاحتلال الأمريكى للعراق لن يتركها، وكأنه فتح صفحة جديدة تماماً في العلاقات العراقية. الكويتية لكنها تلتصق لم تمثل إضافة لتماكك النظام العربى وإنما أكدت واقع الهيمنة الأمريكية على المنطقة.



لم يكن التحليل السابق لبعض من كبريات الأزمات التي واجهها النظام

مستقبل النظام العربى



**مثل غزو العراق
للكويت أزمة غير
مسيوقة في النظام
العربى ذلك أنها كانت المرة
الأولى التي تقزو فيها دولة
عربية دولة عربية أخرى
سبق للنظام العربى أن شهد
مطالبات من دول عربية
تجاه أخرى، لكنها كانت
المرة الأولى التي يشهد
فيها غزواً كاملاً وأخافاً
إكراهياً من دولة
عربية لأخرى**



العربى سوى وسيلة للتآكيد على أن ما يواجهه النظام العربى الآن من أزمة طاحنة تهدد بقائه ليس جديد، وإن شمة قوى موضوعية داخل النظام العربى كان بمقتورها دائماً أن تدفع في اتجاه إعادة التماسك والاتحاد إلى صفوف النظام، ومن الضروري أن نستخلص الروس من الكيفية التي خرج بها النظام من أزماته السابقة، وفي هذا الإطار يمكن تسجيل الملاحظتين الرئيسيتين التاليتين: تشير الملاحظة الأولى إلى أن النظام العربى قد تجاوز أزماته السابقة بتويعين من الأليات: الأولى آليات تقوية والتشبيك آليات إصلاح. ومن اللافت أن المسبق الزمني كان آليات التغيير تتكشف بعد ذلك وتحت مظلة العمل بالإصلاح التي يبدو وكأن قدراتها قد أخذت في التآكل بمرورها عبر الزمن مع بروز متغيرات

داخلية (عربية) وخارجية (عالمية) جديدة، ومنهذه إلى هذه القطة لاحقاً لكننا نكتفى الآن بقدر من التفصيل عن آليات تجاوز النظام العربى لأزماته. في الأزمة التي وجد النظام العربى فيها نفسه في أعقاب هزيمة ١٩٤٨ جرب النظام في البداية كما سبقنا الإشارة آليات الإصلاح تقوية النظام العربى بالتضاضية الدداه المشترك والتعاون الاقتصادي (لكن عمالة الأثار التي تترتب على هذا الانجرار أفسحت الطريق تاريخياً لقوى التغيير داخل النظام والتي زعمتها مصر باقتحامها للتحريز القومي ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وكان لألية التغيير هذه إنجازاتها الواضحة على نحو ما سبقنا الإشارة إليه. ويمكن أن نشير أيضاً إلى أن الأزمة التي واجهها النظام بانفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة في ١٩٦١، والاستقطاب الحاد الذي نشأ بين سوريا ومصر في أعقاب نجاح الانفصال وأدعائياته على الجمهورية العربية قد أثمرت بآليات تغيير أيضاً بقيام الثورة في شمال اليمن في ١٩٦٢ في جوسه لاحقاً في ١٩٦٣ ومصدور الدور المصري في النظام العربى من جديد، أو يسقط النظام الانفصالي في سوريا في ١٩٦٣ بما أعاد الشرعية إلى ذلك الدور.

أما أزمة ما بعد هزيمة ١٩٦٧ فقد اتخذ تجاوزها طابعاً إصلاحياً بمعنى أن عوامل التضاضية بين وحدات النظام بغض النظر عن التناقضات فيما بينها قد تمكنت من إيجاد معادلة سلمية لمواجهة تداعيات الهزيمة في إشارة واضحة إلى وحدة النظام في مواجهة الخطر الخارجى، وحدت الألية الإصلاحية نفسها بالنسبة لأزمة العلاقات المصرية. العربية اعتباراً من ١٩٧٧ وحتى ١٩٨٧. فقد وضعت معان العربية في نحو ما رأينا أساساً لعودة العلاقات المصرية. العربية الثنائية، ثم أكملت قمة الدار البيضاء ١٩٨٩ خطى المصالحة العربية. المصرية بصحور مصر للقمم وعودتها إلى مكانها الطبيعي في منظومة العمل العربى المشترك، وس لهم للغاية في هذه السياق أن نلاحظ أن قوى التغيير في النظام العربى في ذلك الوقت حاولت أن تتجاوز أزمة النظام بآليات تغيير سواء بتكوين جبهة الصمود والتصدى من الدول العربية المتشددة في وجهها، للمسك الصرى إزاء إسرائيل في رخصها، أو بوضع أساس لوحدة سورية. عراقية في أكتوبر ١٩٧٨، لكن المحاولة بابت بالفشل بتشكل الجبهة وانهايار مشروع الاتحاد السورية. العراقية بعد شهر فلال.

ومن الواضح أيضاً أن الخطوات التي تمت على طريق تجاوز تداعيات العزو المراقى للكويت ذات طابع إصلاحى، بمعنى أنها انطوت على محاولة لتلاقح وحدت النظام ككل على حلول للأزمة في إطار الوضع الراهن.

تجاوز النظام العربى لأزماته لم يكن يعنى دائماً الانتقال إلى حالة من القدرة على الفعل والتأثير، وإنما تفاوتت قدرة النظام في هذا الصدد، ومن المهم محاولة معرفة الظروف التي تجاوز فيها النظام العربى أزماته منتقلاً إلى حالة من حالات الفعل، ولذلك التي تجاوز فيها الأزمة وكفى.

في الأزمة التي أعقبت هزيمة ١٩٤٨ تمكنت قوى التغيير كما سبقنا الإشارة من أن يكون لها فعل مؤثر ترتب عليه إنجاز بعض الخطوات المهمة داخل النظام من جانب وفي مواجهة خصومه الخارجيين من جانب آخر، ويبدو هذا واضحاً بصفة خاصة في إنجاز تصفية الاستعمار الأوروبي في الوطن العربى، ويلاحظ بجملة الحال أن القدرة على العمل لم تكن مطلقة، فقد بقى الاستعمار الصهيونى لفلسطين في قوى التغيير لم تتمكن من حياية الوحدة المصرية. السورية، وهكذا.



في أعقاب هزيمة ١٩٦٧ أيضاً تمكنت الصيغة السلمية التي وضعتها قمة الخرطوم من أن تنجز فعالاً ملمراً في ساحة المواجهة مع إسرائيل تمثل في حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية ثم حرب أكتوبر ١٩٧٣، غير أنه من الأهمية يمكن أن تجاوز النظام لأزمة العلاقات المصرية. العربية بألية إصلاحية ما بين عامى ١٩٨٧ و١٩٨٩ قد انطوى على تقديم تنازلات عربية جوهرية في الصراع العربى. الإسرائيلى، وإن كان قد ارتبطت من ناحية أخرى بتفعيل أداء النظام في الحرب العراقية. الإيرانية، أى أن القدرة على الفعل كانت محدودة أو ناقصة، وبادئات في الجاه التهديد الرئيسى للنظام النابع من الكيان الصهيونى، أما في الحالة الأخيرة (أزمة تداعيات الغزو العراقى للكويت) فإن آليات الإصلاح لم تستطع أصلاً أن تكمل إنجاز غايتها.

ويلاحظ أن الخروج الفاعل للنظام العربى من أزماته من صدمه قد ارتبط بشرطين أهمها داخلى (عربى) والثانى خارجى (عالمى)، أما الشرط الداخلى فهو وجود قيادة واضحة للنظام تمثلت في حالات الخروج من تداعيات هزيمته ١٩٤٨ و١٩٦٧ في القيادة المصرية لفرات من خلال مشروع تحريز قومي، وعندما حدث انتشار وتفتت للقوة القيادية داخل النظام سواء بترجيح الدور القبطى المصرى اعتباراً من السبعينيات لصياح المشروع القومى والقيادة الكاثوليكية، أو لبروز قوى قيادية جديدة بعد طفرة أسعار النفط في ١٩٧٣ وما بعدها قلت القدرة على الفعل ثم تآكلت، وأما الشرط الخارجى فيلاحظ كذلك أن الخروج الفاعل للنظام من أزماته قد تم في إطار نظام دولى يتسم بتناقض القطبية، اللد الرابع والخمسون. يوليو ٢٠٠٢ م

وبالتالي استطاع النظام العربي الاستمادة ولو نسبياً من الصراع بين القطبين في إتاحة هامش أوسع لحركة الحركة، وينطبق هذا على الأزمتين الأولى والثانية تجاوزهما النظام العربي بمد تحسري قومي ضد الاستعمار الأوروبي ثم تصامن حقيقي في مواجهة الكيان الصهيوني، أما تجاوز الأزمتين العلاقات المصرية، العربية وتدابير الغزو العراقي للكويت فقد تم في إطار نظام دولي يتسم بهيكل حقيقي بين طرفي قمته، وذلك بمد وصول ميخائيل جورباتشوف إلى سدة الحكم في الاتحاد السوفيتي في ١٩٨٥. ويلاحظ أخيراً أن تجاوز أزمة لتدابير الغزو العراقي لم يكتمل على الرغم من إنجاز خطوات حقيقية في اتجاهه، وأن ذلك قد ارتبط بإفراء الولايات المتحدة الأمريكية بقمة النظام العالمي.

يضيء ما سبق أن تجاوز النظام العربي لأزماته الطاحنة كان ممكناً بل كان ممكناً في الوقت نفسه أن يرتبط هذا التجاوز بقدرته وقسمه على الفعل والتأثير، لكن ثمة شروطاً داخلية (أي عربية) وخارجية (أي دولية) لهذا التجاوز الفاعل فإن أي مدى يمكن الاستفادة من دلالات الخبرة الماضية لتكيفية التي واجه بها النظام العربي أزماته في تحليل الأزمة الراهنة للنظام؟

ثانياً، الأزمة الراهنة

لبنان-القطر-سبعين

النمطية والخصوصية:

ينصرف التحليل في هذا الجزء إلى محاولة الإجابة عن سؤال بالغ الأهمية: هل تمثل الأزمة الراهنة التي يمر بها النظام العربي تكراراً لمبعض أزماته الخطيرة السابقة بحيث يمكن تطبيق درس الخبرة الماضية عليها؟ أم أنها أزمة متفرقة وأعلى الألقا بها شيء من التفرق، الأمر الذي يرفض عليها إدخال أثر التغيرات التي استحدثت في هذه الأزمة في تحليلها؟ أولاً أن الظروف الداخلية (العربية) والخارجية (الدولية) التي ارتبطت بالأزمة الراهنة لا تشتمل عودة إلى نمط الخصميتين والصينيتين من القرن الماضي حين كانت هناك قيادة قادرة على بلورة اتجاه عام لحركة النظام وبنية دولية ثنائية القطبية أكثر موثابة لحركة النظم الإقليمية مع ما عليه اليوم.

فقد وقعت هذه الأزمة في ظل النظام عربي ضد آثاره واضحة على أداء النظام العربي في مواجهتها، سواء كان هذا الانقسام يرجع إلى عوامل بنيوية عربية كرواسب لتدابير الغزو العراقي للكويت أو غياب القيادة الفاعلة للنظام، أو إلى عوامل عالية. على نحو ما سنرى. فإنه، أي هذا الانقسام، قد مثل خروجاً واضحاً

على ما لوف سلوك النظام العربي إزاء التهديدات الخارجية، لذلك ان الخبرة الماضية لهذا النظام تشير إلى أن العرب قد تحولوا عادة. على الرغم من خلافاتهم أو نزاعاتهم أو صراعاتهم البينية في وجه التهديدات الخارجية. هكذا فعلوا في ١٩٤٨ و ١٩٦٥ و ١٩٦٧ في مواجهة إسرائيل ومن تحالف معها، وهكذا فعلوا أيضاً في ١٩٨٧ بمباشرة الحرب العراقية، الإيرانية لتكتمل في هذه المرة أخفها في التوجه إلى التهديدات الأمريكية للعراق فاندحوا عليه، على الرغم من أن ذلك قد تم على الصعيد اللطفي على نحو ما سنرى، ويعني ذلك أن واحداً من أهم الملامح البنيوية الأساسية الإيجابية في النظام العربي قد تلاشى في الأزمة الراهنة، ولما سألنا فإن بدايات هذا التطور يمكن أن ترد إلى الخلاف العربي، العربي حول الاستعانة بقوات أجنبية لتحرير الكويت، لكن فكرة أن المعتدى الأصلي كان عربياً وهو العراق، وأن ثمة شعرة ما يمكن أن تنسب لدور خارجي في تحرير بلد عربي من غزو تعرض له خاصة في إطار الاستناد لقرارات من مجلس الأمن عطلت في حينه على هذا الخلاف، أم أن ذلك بدأ الخلاف صارخاً لأن ثمة العدوان كانت مبيتة وواضحة وتم وضعها موضع التنفيذ واتت إلى احتلال كامل للعراق. وهي أخطر نتيجة ترتبت على صدام للنظام العربي مع القوى الهيمنة في النظام العالمي منذ نشأة ذلك النظام في ١٩٤٥. ولذلك فإن الانقسام إزاهما يرمو خطياً ومنذراً بأرواح العقاب بالنسبة لمستقبل النظام.

ويمكن في الواقع أن يرد هذا الانقسام في المواقف العربية إلى ثلاثة عوالم، أولها عوالم عالمية ترتبط بالولايات المتحدة الأمريكية وسياساتها، وثانية قطرية عربية تتعلق بهشاشة النظام العربية أمنياً وسياسياً واقتصادياً. وثالثة عربية، عربية تنبثق من الوضع الراهن للنظام العربي.

أما العوالم المحلية، فتشير إلى الوضع الراهن في النظام العالمي الذي يتسم منذ العقد الأخير من القرن الماضي بأحادية قطبية من حيث نية القيادة فيه الأمر الذي أعطى للولايات المتحدة الأمريكية قدر أكبر على التأثير على مجريات السياسة العالمية مقارنة بمرحلة القطبية الثنائية، ولما كان هدف الاستراتيجية الأمريكية الممنعة في الشؤون الدولية هو إقامة حالة الهيمنة الأحادية فإن ثمة مهام مطلوبة لإنجاز هذا الهدف، ومن ضمن هذه المهام أو ربما في القلب منها تأمين مسالة النظام بالنسبة للمصالح الأمريكية، الأمر الذي يفرى الإدارة الأمريكية بأن تغفل ما ههنا في العراق وله ما في مكانة هذه الإنتاج والنظم لتصديره وكذلك في الاحتياطي الثابت منه.

ومن المؤكد أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر أي كانت طبيعتها وحقيقتها

مستقبل النظام العربي



النظام العربي قد تجاوز أزماته السابقة بتكوين من الأليات، الأول آليات تغيير والثاني آليات إصلاح. ومن اللافت أن السبق الزمني كان

لآليات التغيير تتوقف

بعد ذلك وتحل محلها

آليات الإصلاح التي

يبدو وكأن قدراتها

قد أخذت

في التآكل



تأثيرها في السياسة العربية قد أعطت الإدارة الأمريكية فرصة ذهبية للمضي قدماً في تهميد خططها العالمية إن لم يكن بإكراه الآخرين دون عنف، فليكن الجوء إلى أقصى درجات العنف كما حدث بالفعل في حالتي أفغانستان والعراق.

وعني ما سبق أن النظم العربية قد شهدت أو لا مدى عنف السلوك الأمريكي تجاه الدولة التي اعتبرتها الإدارة الأمريكية في حينه الهدف الأول لاستخدام القوة وهي أفغانستان، ثم تابعت بعد ذلك، أي النظم العربية. التهديدات الأمريكية للعراق، ولم يكن لديها أدنى شك في صانعية هذه التهديدات، يعني أن الإدارة الأمريكية ستجلى إلى الغفل لا محالة في حالة إيداء العراق إلى درجة من درجات التمرد،

أو حتى في غير هذه الحالة. خاصة وقد وضعت الأمور في سياق يستحيل معه أن يجد العراق طريقاً لقبول الإملاءات الأمريكية، فقد كانت الإدارة الأمريكية تصر على أن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل، وإزاء عجز لجانب التفتيش والتحقق الدولية المكلف بالكشف عن هذه الأسلحة من إثبات ذلك، أصرت القليلة الأمريكية مجدداً على أنه يتعين على العراق أن يبادر بالكشف عن هذه الأسلحة التي كان يؤكد أنه لا يمتلكها. وبالفعل وقع العنوان على العراق في النحو الذي تنبأ به الكيرون منذ ظهور عديدة سابقة على وقعه، وبالتالي أصبحت النظم العربية والقة من التهديدات الأمريكية في من ذلك النوع دي الصانعية الكاملة، أي التي يكون تجاوزها لمرحلة التلخيف، مؤكداً في حال الإخفاق في تطويق سلوك المهدد (الحال) وفقاً لإرادة مصدر التهديد، ولذلك فإن كلاً منها أصبح واقعاً من مصيره فيما لو أنه اعترض على السياسة الأمريكية، وكان لذلك أثره الواضح على صمت النظم العربية أثناء العدوان على العراق أو تبنيها لمواقف غير مألوفة إزاء القضايا التي أطارها النظام عليه، ولطوع بعضهم بمواقف تكشف عن تأييب ضمني أو غير مباشر للسلوك الأمريكي تجاه العراق.

وأما بالنسبة للعوامل القطرية العربية فيمكن القول بأن الأطفال العربية تنقسم من حيث اعتمادها على الولايات المتحدة الأمريكية إلى ثلاث فئات: فئة أولى تعتمد عليها مباشرة في الحفاظ على أمنها وذلك وفق الممارسات معروفة ومعلنه، وفئة ثانية تعتمد عليها بدرجة أقل تتمثل في الحصول على قدر من الخدمات الاقتصادية يختلف من دولة لأخرى وربما تتمثل أيضاً في درجة من درجات الاعتماد العسكري، وفئة ثالثة لا تعتمد على الولايات المتحدة الأمريكية أصلاً من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية، غير أن اللافت أن المشائسة السياسية والاقتصادية للدول الواقعة ضمن الفئتين الثانية والثالثة قد جعلت مواقفها متقاربة بمعنى أنه إذا كانت النظم الحاكمة في الدول التي تعتمد على المساعدات الاقتصادية والعسكرية الأمريكية تخشى، بحق أو بخير حق، من أن اختلافها مع السياسة الأمريكية، لا نقول تحديها لها. قد يسبب تلك النظم مصاعب اقتصادية وصعوبات في غنى عنها، فإنه من الواضح أن النظم الاقتصادية في الدول التي لا تعتمد على مساعدات أمريكية قد فهمت الرسالة، أي أدركت أن هناك رؤية أمريكية جديدة مستقبل المنطقة، وأن الإدارة الأمريكية مستعدة لموصل في تنفيذ هذه الرؤية إلى آخر مدى، ولذلك فإن الانحياز أمام السلوك أو الاختيار بين أصلا قد يكون صعباً أو رشيدياً، وصليبه فإن

الاختلاف الحقيقي بين مواقف الفئات الثلاث تمثل في أن الدول أعضاء الفئة الأولى. ذات العلاقة الأسمية الواضحة مع الولايات المتحدة الأمريكية. قد قدمت لها تسهيلات، وإن كانت بدرجات متفاوتة في عداوتها على العراق، بينما تجاه الدول الأعضاء المقتربين الثانية والثالثة أن تكون قد تصات في مصمها أو مواضعها المنسبسة الهادئة تجاه العدوان على العراق وتدابيعاته.



مستقبل النظام العربي



الخروج القاعل للنظام العربي من أزماة ارتبط بشروط أحدهما داخلي (عربي) خارجي (عالي) أما الشرط الداخلي فهو وجود قيادة واضحة للنظام تمثلت خلال فترتي الخروج من تدايعات هزيمتي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ في القيادة المصرية



بالعدوان على بعض الدول العربية وبصورة خاصة العراق، واكدوا رفضهم المطلق لضرب العراق أو تهديد أمن وسلامة أية دولة عربية باعتباره تهديداً للأمن القومي لجميع الدول العربية، وعندما اجتمع مجلس الجامعة العربية على المستوى الوزاري في دورة غير عادية في ١٥ و ١٦ فبراير ٢٠٠٣ قبل قمة شرم الشيخ التي عقبت في الأول من الشهر التالي أضاف إلى هذا الموقف التأكيد على ضرورة امتناع الدول العربية عن تقديم أي نوع من المساعدة أو تسهيلات لأي عمل عسكري يؤدي إلى تهديد أمن وسلامة العراق ووحدة أراضيه، وكان ذلك طبيعياً بالنظر إلى أن جميع المؤشرات كانت تشير إلى قرب وقوع العدوان على العراق. وعندما اجتمعت القمة العربية

وأخيراً يمكن القول بأن نسبة للنظام المنبثقة من النظام العربي أن هذا النظام لم يكن في أحسن حالاته عندما نشبت الأزمة بين الولايات المتحدة الأمريكية والعراق في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ولم يكن هذا وضعاً جديداً على أية حال، فبعدد المغزو العراقي لثكنة في ١٩٩٠، ما يمكن القول بأن نظام العربي قد استرد عافيته تماماً، وذلك دون أن نذكر أن ثمة محاولات دوية لرباز الصعق في العلاقات العربية العربية. العربية كانت قد جرت في المقعد التالي على العدوان وبدا أنها تقترب من غايتها في السنون الأولى للشرق الواحد والعشرين على نحو ما رأينا.

غير أن هذه التطورات وغيرها لم تكن تمنى بحال أن النظام العربي قد استرد عافيته بمعنى القدرة على التحرك الجماي المثرى على أرض الواقع وليس في عالم الأملاء، خاصة وقد بقيت العوامل البنوية في هذا النظام على حالها من حيث غياب القيادة داخله والرهاشة الأولى لحياته، في علاقتهم بمحيطها الإقليمي والنظام العالمي، وزاد من هذا الأمر أن قرارات قمة بيروت قد تزامنت مع بدايات الأزمة الأمريكية العراقية، الأمر الذي ساعد دون شك على قطع الطريق على أية تطورات إيجابية كان من الممكن أن ترجى من لسلك القرارات، ويعنى ما سبق أن المظم العربية التي كان من الممكن أن تفكر في تبني سياسات مضاربة للسياسات الأمريكية تجاه المنطقة لم تكن لتجد في النظام العربي سقافاً مساندة لهذه السياسات، لذلك فإن محاسباتها نسبت بالضرورة على أسر فطرية، الأمر الذي لا شك أنه لعب دوراً حاسماً في إجهاض أي لتعكير لتشرد على السياسية الأمريكية.



في سوء ما سبق بدأ الموقف العربي الجماعي الاهتمام بالعدوان على العراق قبل وقوعه بصم وذلك في قمة بيروت ٢٠٠٢، عندما تضمن البيان الختامي للقمعة في ينده الثاني والعشرين نصاً يشير إلى أن القادة قد اندرسوا التهديد

العادية في شرم الشيخ في الأول من مارس ٢٠٠٣ بتأويل موقفها على النحو التالي:

«رفض الحل العسكري لتأزمة العراقية باعتبار أن القرار ١٤٤١ الصادر عن مجلس الأمن لا يوفر غطاءً شرعياً لأي عمل عسكري على العراق، وأن مثل هذا العمل سيؤدي إلى مخاطر جمة وتدابيعات سلبية تشهد عليها المواقف العالمة المعارضة لاستخدام القوة ضد العراق، لذلك تمت القمة جميع الدول لمساندة الجهود العربية الهادفة إلى تجنب الحرب، مع مفاستها بأن ذلك يتحقق من خلال استكمال تنفيذ العراق لقرار مجلس الأمن رقم ١٤٤١ لعام ٢٠٠٢»، «مع العلم بأن قرارات القمة قد رحبت بموقف حكومة العراق من عملية التفتيش، وأشرت إلى التقدم الذي حدث في هذا الصدد.

بناء على ما سبق فقد كان طبيعياً أن تؤكد القمة على الرفض المطلق لضرب العراق أو تهديد أمن وسلامة أية دولة عربية باعتباره تهديداً للأمن القومي العربي، وإن خففت الصيغة المستخدمة في البيان الصادر عن المجلس الوزاري بالامتناع عن تقديم أي نوع من المساعدة والتسهيلات لأي عمل عسكري ضد العراق إلى التأكيد على امتناع الدول العربية عن المشاركة في أي عمل عسكري يستهدف أمن وسلامة ووحدة أراضي العراق وأي دولة عربية، وكان الفهم، بغض النظر عن الدقة اللفظية، أن هذا النسخ لا يتعارض إذن مع تقديم التسهيلات التي قد يفرضها وجود قواعد عسكرية أمريكية في عدد من البلدان العربية بموجب اتفاقات قانونية. في إشارة واضحة إلى عدم التجانس في المواقف العربية.

أشارت قرارات القمة إلى تشكيل لجنة رئاسية تضم الرئيسة العربية والحالية والقائمة للقمعة والأمن العام للجامعة بالإضافة إلى الدول الراغبة وذلك للاتصال مع الأطراف الدولية المعنية خاصة الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن لعرض المواقف العربية عليها، واقتناعاً مع الحكومة العربية ليحت سبل مواجهة التحديات الخطيرة التي يواجهها العراق وما يهدد الدول العربية من مخاطر وتدابيعات. ورفضت القمة بطريق غير مباشر العداء الأمريكية الخاصة بإسقاط النظام العراقي، وذلك عندما أشارت إلى أن شئون الوطن العربي وتطوير نظمها أمر تقرر شعوب المنطقة بما يتفق مع مصالحها الوطنية والقومية بعيداً عن أي تدخل خارجي. وفي هذا الإطار يستنكر القادة ما يتورد من محاولات رامية إلى فرض تغييرات على المنطقة أو التدخل في شئونها الداخلية وتجاهل مصالحها وقضاياها العادلة، وعندما اجتمع مجلس الجامعة العربية في دورته العادية في ١٩ القاهرة ما بين ٢٢ و ٢٤ مارس ٢٠٠٣ كان العدوان

على العراق قد وقع، وقد خلصت مداولات المجلس بشأن هذا العدوان إلى ما يلي:

على العراق. اعتبار هذا العدوان انتهاكاً ليثاق الأمم المتحدة ولإبادئ القانون الدولي وخروجاً على الشرعية الدولية وتهديداً للأمن والسلم الدوليين وتحديداً للمجتمع الدولي والرأ العام العالي المطالب بحل المازعات الدولية بالشرعية السلمية والاحتكام إلى قرارات الشرعية الدولية.

المطالبة بالانسحاب الفوري وغير المشروط للقوات الأمريكية، البريطانية الغازية من الأراضي العراقية وتحميلها المسؤولية المأدية والأخلاقية والقانونية عن هذا العدوان. تأكيد الالتزام بضرورة امتناع الدول العربية عن وسلامة ووحدة أراضي العراق أو أية دولة عربية أخرى، والتأكيد على ضمان أمن وسلامة ووحدة أراضي الدول العربية كافة.

تكليف المجموعة العربية في الأمم المتحدة بطلب عقد جلسة عاجلة لمجلس الأمن لاتخاذ قرار بإيقاف العدوان وسحب القوات الغازية فوراً خارج الحدود الدولية لجمهورية العراق، والتأكيد على احترام سيادة العراق واستقلاله السياسي وحرمة أراضيه، وامتناع جميع الدول عن التدخل في شئونه الداخلية.

تكليف المجموعة العربية في حالة عدم انعقاد مجلس الأمن أو عدم اتخاذ القرار اللازم لإيقاف العدوان والانسحاب بدعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة لعقد جلسة طارئة لبحث العدوان على العراق والمطالبة بإيقاف الفوري وسحب القوات المتدنية من جميع الأراضي العراقية واحترام وحدة وحرمة أراضيه.



تظهر قراءة هذه القرارات للوهلة الأولى أنها تعبر عن سقف عالٍ للموقف الدبلوماسي العربي، لعله لم يكن يتقصد سوى التحول من مستوى الإدانة والمطالبة بإجراءات معينة والتحرك من أجلها إلى مستوى اتخاذ خطوات إيجابية كما في استدعاء السفراء أو سحبهم أو التهديد بقطع العلاقات أو حتى قطعها. إلا، غير أن إمعان النظر في القرارات على ريطها بما هو معروف من سلوك فعلي للدول العربية في الواقع العملي يقضي إلى الملاحظات التالية:

١- لم تكن هذه القرارات موضع إجماع فعلي كما قد يبدو من إجماع الإطرائ، عليها إذا جاز التعبير، فقد كان من المعروف أن هناك عدداً من الدول العربية يتناقض في مواقفه مع روح الموقف العربي الجماعي وجوهره بسبب وجود قواعد عسكرية أمريكية على أراضيه بعيداً عن الجدل اللفظي حول

والهيمنة السياسية. أما الإضرار الاقتصادي، فإن الحديث عنه يعد سخماً بحد ذاته في ظل ما هو مؤكد من أطماع أمريكية في نفط العراق والأمة بأسرها.



يبقى الحديث عن «الحل الأمريكي» للصراع العربي، الإسرائيلي أو بالأحرى للصراع الفلسطيني، الإسرائيلي. ولا يوجد في جملة الإدارة الأمريكية الآن سوى تلك الرؤية الهزلية الصماء بخارطة الطريق، والتي لا تستحق مجرد مناقشتها طالما أنها منبثقة على خطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش في يوليو ٢٠٠٢ والذي أعاد فيه تكثيف الصراع الفلسطيني، الإسرائيلي باعتباره صراعاً ضد الإرهاب (أي المقاومة)، ومن ثم فإن نقطة البداية يجب أن تكون في القضاء على هذه المقاومة أولاً في انتظار العتات غير المحددة التي وعد به الخطاب وبنيت عليه خطة الطريق، ولأسف فإن أطرافاً فلسطينية رسمية قد وقعت في شرك تنفيذ التصور بأن عقدة الصراع تكمن في الجانب الفلسطيني وليس الإسرائيلي، وبالتالي فإن إيجاد منصب رئيس وزراء ذي صلاحيات حقيقية كفيل بتهدئة الطريق لتحقيق التسوية وليس الضنى في طريق المقاومة.

ولاشك أن الولايات المتحدة الأمريكية أفقر من أي وقت مضى على أن تضع رؤيتها لمستقبل المنطقة موضع التطبيق بعد احتلالها العسكري للعراق. إذ يعرف دارسو النظم السياسية التي يفترض أن لها هامشاً أو مساحة ما من الاستقلال في الحركة عن قيادة النظام العالمي أن واحداً من شروط الحديث عن هذه النظم ألا يكون بين أعضائها دولة عظمى، والمبني في ذلك بدهي وهو أن عضوية دولة عظمى في نظام إقليمي يعني أنه صار جزءاً لا يتجزأ من التفاعلات العالمية التي تدخل فيها هذه الدولة، مبدئاً من ذلك عن القدرة من أن يكون له نموذج قواعدها المستقلة ولو نسبياً. وعندما أتمت الولايات المتحدة الأمريكية احتلال العراق عسكرياً أصبحت من الناحية الفعلية موجودة داخل النظام العربي وليست قوة تأثير خارجية عليه، ولقد أدى زور خارجيها كقولن بأول في حينه بتصريح شديد الإحباء أن كل عضوه أن ثمة وضعا جديد في لنا في المنطقة وأن الدول العربية يتعين عليها أن تكيف نفسها معه، وهو ما أريانه بالفعل لا حقاً في الواقع الدويمه المخلتة من قبل هذه الدول تجاه قضية احتلال العراق وتداعياتها، ثم في الموقف السوري من المطالبات أمريكية بشأن إطلاق الحود مع العراق ووقف نشاط المنظمات الفلسطينية في دمشق وكذلك التصويرات بالواقعة عند قرار هبوب

إن العرب قد توحدوا عادةً على الرغم من خلافاتهم في وجه التهديدات الخارجية. هكذا فعلوا في ١٩٤٨ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ في مواجهة إسرائيل ومن تحالف معها، لكنهم في هذه المرة أخفقوا في التوحد إزاء التهديدات الأمريكية للعراق فالعدوان عليه

لعله من المناسب في هذه الظروف أن يطرح سؤال المستقبل بشكل مبسط في محاولة الوصول إلى أكثر الإجابات وضوحاً: تكون أو لا تكون؟ فإذا ترجم هذا السؤال إلى لغة الواقع يمكن أن يتحول إلى سؤال من كنه المستقبل المنتظر: عربي أم أمريكي؟

لاشك أن الإدارة الأمريكية لديها رؤيتها لمستقبل المنطقة، وهي رؤية ترفض ابتداءً الإطارات العربية لهذا المستقبل، وتستبدل به إطاراً شرق أوسطي، وتبني هذا بجسدياً على السياسة الأمريكية التي لم تردوماً مستقبل المنطقة خيراً من الإطار الشرق أوسطي منذ صعود دورها العالمي في أعقاب الحرب العالمية الثانية. تشهد على ذلك مشروعات القيادة الشرق الأوسط في ١٩٥١، ومشروع جونستون للمياه في ١٩٥٣، وحلف بغداد في ١٩٥٥، ومشروع إيزنهاور في ١٩٥٧ وصولاً إلى شرق أوسطياً ما بعد ١٩٧٣.

ولكن تسوغ السياسة الأمريكية هذا الطرح فهي تحيطه ببرقية براقة في مستقبل ديمقراطي مزهر اقتصادياً للمنطقة، والواقع أنه ما من منطق يستحق المواجهة السياسية والتفكير في الظروف الرامنة أكثر من هذا المنطق. فالأمة العربية ليست مدعوة للقبول بختيار ديمقراطي تنموي إيديا باي حال من الأحوال. وبالنسبة للديمقراطية لا شك أن السجل الأمريكي بخصوصه شديد الانتقاص. صحيح أنه يمكن أن ينسب لإدارات أمريكية مختلفة الفضل في بلورة تجارب ديمقراطية ليبرالية في أعقاب الحرب العالمية الثانية في كل من اليابان وألمانيا الغربية وإيطاليا، ومساعدة دول أوروبا الشرقية على التحول إلى نماذج ليبرالية للحكم في النصف الثاني من ثمانينيات القرن الماضي، غير أن السجل الأمريكي للمبادئ للديمقراطية معتلن بالمقابل بأدوار حاسمة في الإطاحة بنظام ديمقراطية واستبدال نظم استبدادية أو فاشية بها، كما في حالة صمصق في إيران، وفي مطلع الخمسينيات من القرن الماضي، وحالة الإطاحة بالرئيس المنتخب في شيوا سلفادور اليانيز في ١٩٧٣. فهايك عن

سلاح وليست هدفاً في ذاته، وإذا كان هذا هو السجل التاريخي للديمقراطية الأمريكية فإن الطرح الرامنه لها لا يقل التباساً، ولا توجد على سبيل القطع أية وثيقة أمريكية تتحدث عن رؤية محددة لمستقبل ديمقراطي للمنطقة، وإنما ثمة حديث عام عن الإصلاح السياسي وعن نظم أكثر انفتاحاً، وكلمة الشعوب الأمريكية بديمقراطية السيادة. ولابد أن شروط الديمقراطية التي لا يجب أن تأتي بديكتاتور من وجهة النظر الأمريكية بديمقراطية الحال، ولابد أن تفضي إلى حكومة صديقة للولايات المتحدة الأمريكية. أي حقيقة لمصالحها، وذلك كله دون أي التزام زمني محدد. فهايك عن السؤال الأساسي عن إمكانية الحديث عن تطور ديمقراطي أصلاً في ظل الاحتلال العسكري

فرضه الاحتلال العسكري الأمريكي للعراق، خاصة أن التحركات المتواضعة التي تقوم بها في هذا الخصوص لا يمكن أن تؤثر على هذا الوضع، فكيف يمكن التفكير في سياق التحليل السابق في مستقبل النظام العربي؟

ثالثاً: مستقبل النظام العربي

يلاحظ كذلك أن دولة عربية واحدة لم تجرؤ على أن تكرر منفردة ما تضمنه قرار المجلس الوزاري في دورته ١١٩٨ كتعبير عن موقف جماعي، وهكذا اختفت صدرات العدوان والغزو ومطالبات الانسحاب القوي لقوات الاحتلال... إلخ من مفردات قاموس الدبلوماسية العربية على المستوى القطري.

يلاحظ أيضاً أن القرارات الإجمالية من القرار لا تجد حظها من التطبيق. وعلى سبيل المثال فقد انعقد مجلس الأمن وانفض دون أن يتوصل إلى شيء بطبيعة الحال كما هو متوقع، وهذا أحد ما يسمع أن المجموعة العربية قد طالبت بفتح جلسة طارئة للجمعية العامة للأمم المتحدة وفقاً لنص القرار السابق، والتي كان مؤكداً أنها ستستثنى موافق قويا ضد العدوان.

يلاحظ أيضاً أن عدد من الدول العربية بدأ يتعامل مع الاحتلال العسكري الأمريكي للعراق باعتباره وضعا دائما، بل ويشترط مسئولون في هذه الدول إلى بقاء القوات الأمريكية فيه لاستقراره (مع أن الاستقرار يمكن أن يتحقق بقوات عربية أو دولية). ويستقبل هؤلاء المسئولون مسؤولين أمريكيين رفيعي المستوى دون أن يشيروا بحرف إلى شيء من ضيق الخواطف العربي الجماعي الذي عبر عنه المجلس الوزاري. وأخيراً يشارك بعض القادة العرب في قمة مع الرئيس الأمريكي، ويتضمن البيان العربي الصادر عنها إشارة إلى أن القادة يعتبرون أن قرار مجلس الأمن رقم ١٦٨٣ وسيلة مفيدة لتحقيق الرية العربية لمستقبل العراق.

يلاحظ أخيراً أن عدد من الدول العربية التي كانت فيما سبق جبهة التشدد الديبلوماسي العربي ضد السياسة الأمريكية قد بدأ يظهر مرونة واضحة في التكيف مع مستجدات المنطقة عقب الاحتلال العسكري الأمريكي للعراق، والاستجابة لطالبات السياسة الأمريكية في هذا الشأن. وليس الغرض من هذه الملاحظة توجيه انتقاد لسلوك هذه الدول وإنما الإشارة إلى أن التراجع في المواقف العربية مستمر على نحو يتدرج بمخاطر شديدة. يظهر تحليل المواقف العربية على النحو التالي (إن تعبر عن جبهة هائلة بين القوم والفضل، وبين القوم الجماعي والمواقف القطرية وأنها تسير حثيثاً باتجاه قبول الوضع الراهن الذي



الثروة العراقية الصادر عن مجلس الأمن، ويخلص ترقى إلى الولايات المتحدة الأمريكية صارت طرفاً أصيلاً في تفاقم النظام بانعقاد قمة شرق المتوسط العربية الأمريكية في يونيو ٢٠٠٣.



غير أن عدداً من الملاحظات يبيّن واجباً على الرغم من ذلك، ولعل أهم هذه الملاحظات الشتان: أولهما أن حجم المحاولات الأمريكية العربية الإسرائيلية لفرض مستقبل شرق أوسطى على المنطقة قد بات بالفعل حتى الآن على الرغم من الصف المبرر للنظام العربي وعشاشته في كثير من الأحيان وصولاً إلى الطبيعة الأخيرة للمشروع (الشرق أوسطى) في أعقاب اتفاقية أوسلو ١٩٩٣. أما الملاحظة الثانية فقد يراها البعض ملاحظة قيمية وبست لتجريبية غير أنها تنسق مع دروس الخبرة الماضية للاحتلال الأجنبي، فلم يحدث أن مشروعاً واحداً انطوى على مثل هذا الاحتلال لم يفرض إلى تناقض بين قوة الاحتلال وبين الشعب في الأراضي المحتلة، وقد ولد هذا التناقض عدداً مقاومة للاحتلال تنوّعت أساليبها، ولا يوجد لدينا مثال واحد حتى الآن على أن تلك المقاومة قد أخفقت في مسعاها للحصول على الاستقلال. من هنا فإن المشروع الأمريكي لتسليم السلطة على الرغم من كل ما يحاوله النظام من الترويج له سائر إلى طريق فشل محتمل لأنه مشروع للهزيمة يستخدم شعارات براقة عن الديمقراطية والتنمية وهما من البراء بحكم الخبرة الواسعة سواء للاحتلال بصفته عامة أو لما نعرفه عن دوافع الاحتلال الأمريكي للعراق بصفة خاصة. أو لما رأيناه على أرض الواقع من ممارسات استيعاب مكنته بدا هذا الاحتلال، صمّيج أن تنكفئ إلهاء الاحتلال تكون عادة عالية بالنسبة للقوى التي تقاومه، وصحيح بالدرجة نفسها أننا لا نستطيع أن نحدد نقطة رمنية قاطعة ينتهى عندها الاحتلال، ولكن الأمر المؤكد أنه يستهني بالإخفاق، والمخرج أن ذلك سيتم في مدى زمني يتراوح من بضعة سنين كحد أدنى إلى عدة عقود كحد أقصى. أخذنا في الاعتبار دروس الحصرة العاصرية لحركات التحرر الوطني.

وإذا كان الإخفاق هو المصير المحتوم للمستقبل الأمريكي للوطن العربي، فإن المستقبل العربي لهذا الوطن يواجه عصبات موضوعية هائلة. سبق أن رأينا أن نموذج تجاوز النظام العربي لأزمته السابقة يشير إلى أن هذا التجاوز كان يتم من خلال التغيرات غير أو إصلاح، وأنه من خارج التسلسل الزمني فإن أليات التغيير قد توارت إلى الخلف وحلت محلها أليات الإصلاح التي أخذت

مستقبل النظام العربي



أحداث الحادي عشر من سبتمبر أعطت الإدارة الأمريكية فرصة ذهبية للمضي قدماً في تنفيذ خططها العاتية إن لم يكن باكراًه الآخرين دون عنف فليكن بالجاءة إلى أقصى درجات العنف كما حدث بالفعل في حالتي أفغانستان والعراق



فعاليتها في إخراج النظام من أزماته تقل بدورها تدريجياً لعوامل داخلية (عربية) وخارجية (عالية) على النحو الذي رأيناه في آخر أزمة واجهها النظام قبل الاحتلال الأمريكي العسكري للعراق (تداعيات العزو العراقي للكويت) حيث بدت قدرة النظام على إصدار أوضاعه محدودة، وهكذا سار يخطى وليدة نحو إنجاز مصالحة عربية. عربية عامة وعراقية. كويتية خاصة، وعندما بدا أنه يقترب من إنجاز هذه المصالحة زادت العوامل العالمية (الأمريكية) من وطأتها فأحبطت الوصول إلى خد النهائية بالنسبة لتلك المصالحة.

والتمتع الخفيل لما سبق أن النظام العربي وهو غارق في مصيلة حقيقية كونه غير قادر على تجاوز الأزمة التي تعهد بقائه فعلاً سواء بأليات تغيير أو

بأليات إصلاحية، أقوى التغيير قد تكون موجودة ولكنها ليست بالنقل والتماثل ومن ثم الفاعلية التي تكفينا من إنجاز التغيير المطلوب. وأليات الإصلاح تتطلب وجود حكومات عربية مدركة لطبيعة الخطر الذي يحيط بها قبل غيرها، فإن هي أدركت ذلك على نحو سليم يتعين أن تكون قادرة على التحرك الباعل. وهذا يمثل تحد ذاته معضلة بالنظر إلى ما رأيناه من قيود أمنية واقتصادية وسياسية أصبحت تحيط بحركة النظام الحاكمية العربية دون استثناء.

لكن معني ما سبق أن النظام العربي يسير في طريق محتوم إلى نهايته. على العكس فإن الفرصة مازالت قائمة وقوية هي أن يتجاوز أزمته الراهنة، بل وإن يتجاوزها منتقلاً إلى وضع أفضل مما كان عليه قبلها، وهي فرصة لها موضوعياً. أكثر من الداخل وأول هذه الأسباب خبرة النظام الماضية التي تشير إلى تمكنه من تجاوز أزمات سابقة من ناحية، وإلى فشل كافة الشروعات البديلة من ناحية أخرى، ومع ذلك فإن هذا السبب قد يشك في قيمته بالنظر إلى اختلاف الأزمنة الراهنة نوعياً عما سبقها على نحو ما رأيناه وثاني الأسباب أن دروس الخبرة الأمريكية في تغيير النظام من الداخل و/ أو التدخل في شؤنها تشير بصفة عامة إلى صعيد من حالات الفشل الذريع الذي قد يعود إلى المخطئ الطبيعية التي يعم بها الأمريكيون أحوال العالم من حولهم. هكذا كان الإخفاق من مصيرهم في كوبا وفي فيتنام ولبنان والصومال وهكذا يبدو أن مصيرهم سيكون على ضوء تروى الأوضاع في أفغانستان والبيدات القوية للمقاومة العراقية وهو ما ينقلنا إلى السبب الثالث والأهم وهو المقاومة العراقية للموقف للاحتلال الأمريكي والتي لا بد أن تسير وفقاً لقانون التحرر الوطني، أي أن تأخذ في التصاعد بغض النظر عن المثل في ميزان القوى بينها وبين قوى الاحتلال إلى أن تصل إلى نقطة تزيد فيها تكلفة الاحتلال مادياً وبشرياً بالنسبة للقويات المتحدة إلى الحد الذي لا تعود فيه قادرة على تحملها سياسياً. وإذا أضفنا إلى هذه المقاومة ما تمارسه القوى التحررية الوطنية الفلسطينية من قدرة معجزة على مواصلته الاتصال مع الكيان الصهيوني وتوكل الأم على روح جديدة للمقاومة في النظام العربي. ورابع هذه الأسباب أن الأزمة وما قبلها وإن كشفت عن ضعف النظام العربي غير الرسمي ممثلاً في حركة جماهيرية وقوى المجتمع المدني فيه، فإنها أكدت في الوقت نفسه أن هذه الجماهير والقوى على قلب رجل واحد في التمسك بثوابت النظام العربي وأهمها قيمة الاستقلال الوطني والقومي، ويعني هذا أن الجماهير وقوى المجتمع المدني في النظام العربي سوف تمثل في أقل

الأحوال بيئة مساندة لأي محاولة لتغيير إلى الأفضل، وربما ضاغطة على النظم الموجودة باتجاه تحسين أدائها. وفي أفضل الأحوال قوة دافعة لتغيير حقيقي خاصة مع التطور المتوقع لمقاومة مشروعات الهيمنة على المنطقة كما تتجلى في الساحتين الفلسطينية والعراقية وربما غيرها.



ويعني ما سبق أن خروج النظام العربي من أزمته الراهنة وتجاوزها إلى وضع أفضل مما كان عليه قبل حدوثها مازال بديلاً ممكناً، وإن كان من المرجح أن القوى الفاعلة في أزمته وتجاوزها إلى الأفضل لن تكون ذات طابع رسمي، دون أن يعني هذا استحالة مشاركة بعض القوى الرسمية في هذه العملية إذ تطورت الأمور على أرض الواقع على نحو يخفف بعضاً من القيود الواردة عليها كإجازات ماهرة تحركة المقاومة في فلسطين والعراق، أو بصحة جديدة للرأي العام العربي، أو تغييرات سياسية داخلية محسوسة في قوى العدوان على الوطن العربي وبالدات الولايات المتحدة الأمريكية، لكن العصب الرئيسي في إفلات النظام سوف يكون دون شك ملقى على عاتق مثلث المقاومة. الفكر. الجماهير.

قوى المقاومة سوف تكون وظيفتها رفع تكلفة مشروعات الهيمنة بالنسبة لأصحابها. والمكثرون والمتشوقون المخلصون لأهداف الأمة سوف يتصدون لعمليات التضليل والهدم التي تتراوح من الحرب النفسية لكسر إرادة الأمة إلى التشهير بمشروعات الهيمنة إلى التعمية الإعلامية على واقع مقاومة هذه المشروعات، وسوف يبشر هؤلاء المخلصون بالتحاليل بإكثانية تجاوز الأزمنة ويحددون المتطلبات الموضوعية لهذا التجاوز، والجماهير وهوى مجتمعها المدني سوف توفر من ناحية البيئة الواتية لمقاومة فكرًا وعملاً وتساهم من ناحية أخرى في عملية المقاومة بما تمارسه من ضغوط على نظمها الحاكمة كي ترتفع بسقف أدائها إلى أقصى ما هو ممكن.

لم يشر هذا التحليل بحرف واحد إلى تعدد القوى والفصائل المتناولة لمشروعات الهيمنة، أو إلى أكثرها قدرة على إنجاز الخلاص من قيود هذه القوى، ذلك لأن أي منها يعجزه غير قادر على هذا العمل وإنما تشرط لا غنى عنه للانتصار في معركة البقاء التي تواجه النظام العربي أن يتكاتف الجميع في جبهة واحدة من أجل مستقبل آمن وأكرام ليس أمعاء إلا أن نصته وتتأسس أن تحول دون أن يصنعها له، لا الآخرين، فذلك من أن يكونوا ذوا شاكلة الاستعمرين الصهيونية أو الغزاة الأمريكيين ■

«إعادة إعمار» أم إعادة فك وتركيب؟

محمود عبد الفضيل

ومن ناحية أخرى، يرى فريق آخر من المحللين أن الرئيس الأمريكي وصحبه قد حافظوا على وضع شبكة من العلاقات الشخصية بينهم مع الشركات النفطية الكبرى المتعددة الجنسية، في كل من عشتات النفط الصخرية، والعديد منها متمركز في تكساس وقوم باستراخ النفط من باطن الأرض الأمريكية أو في الأسواق البحرية. لكن هذه الشركات بحاجة لأسعار نفط مرتفعة كي تستمر في نشاطها. ففي السعودية لا تزيد تكلفة إنتاج البترول النفط من البترول ونصف الدولار، بينما تكلفة استملاك البترول الواحد في خليج المكسيك لا تزيد على ثلاثة سنتات. لذلك، يتوقع أن تزداد أسعار البترول الصخرية وبالتالي تزداد أسعار البترول التقليدية. تخشى بعض كل شيء انهيار أسعار النفط، كما سارت إلى التحذير من ذلك جماعات الضغط المؤيدة داخل الولايات المتحدة، بينما يرى الآخرون أن الولايات المتحدة لن تتدخل سرهتها أكثر فاشكر للواردات البترولية الأجنبية بهذه الموقف بها.

العراقي وارد بلا شك في حسابات واشنطن العراقية ولكن كمورد إستراتيجي أكثر منه مورداً اقتصادياً. فالعرب على صدام كانت تهدف في الأساس إلى توسيع الهيمنة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، وفتح الطريق أمام شخصية شريكة للبرول الوطنية العراقية.

المتحول الوطنية العراقية.

الاستقبال من منظمة أوبك للدول المصدرة للبتروال التي تبع العراق فيها المناهض الأول للسعودية من حيث إكساليات الإنتاج وحجم الاحتياطي. وبذلك تضم العراق، فزريق تصدير البتروال من خارج أوبك، الحاذي، يسم روسيا على رأسه. وفي هذه السبق العالمية يمكن أن يدفع بأسمار البتروال إلى مستوى شديد الانخفاض قد يصل إلى ١٥ دولاراً للبرميل (بألسامار الجارية). الأمر الذي سوف يؤدي إلى هلاك أقطار البلدان العربية الخليفة.

ومن ناحية أخرى، قُفِضَ الشُّرَكَاتُ البترولية الكبرى مثل، «إكسون موبيل»، و«شل»، و«بريتش بتروليوم» و«شيفرون» تنكسو، في حالة انتظار وتُرقَّب إلى أن تحدث عملية خصخصة متوقعة للبترول العراقي لتُحدِلَ شُكْرُوكَ في عمليات الإنتاج. إذ يقدر الاحتياطي المُكْمَد من البترول العراقي بنحو ١١٢ مليار برميل، وهو ما يضعه في المرتبة الثانية بعد السعودية على المستوى العالمي إضافة إلى ٢٢٠ مليار برميل من الاحتياطي غير المُكْمَد.

وتشير يحيى سافوسكي* إلى التغييرين
شديدين في الشرق الأوسط: إحداهما أن العديد
يمكنون ملحوظات وإثباتات على مجال
النقط هم الأكثر حساسة للحرب داخل
الإدارة الأمريكية، أي عملية الاحتفاظين
التي تجعله حوله حول الولايات المتحدة،
مساعد وزير الخارجية، والسكربتير المساعد
في وزارة الدفاع دونالد فايس. حيث
أصبح المشروع الذي يسعى إلى تحقيق
الزيادة السريعة للقدرة الإنتاجية للعراق
من أجل إغراق العراق على الطاولة في أسرع
وقت ممكن. وهم يعرفون أن ذلك سوف
يؤدي إلى انهيار أسرار النفط الذي سيصل
إلى ما بين 10 إلى 150 ألف برميل يوميا.
كما كانوا في منتصف عام 1983، عندما
حاول حازم الثلاثين دولارا. وهم يراهنون
على أنه سوف يترجم في أسرار النفط، من
أجل تحقيق التوافق في الولايات المتحدة
وتدعيم منظمة الدول المصدرة للنفط،
أوبك، وتدريب القياد العراقية، وخاصة،
إبراهيم سوري، لقياد العراق، وبالتالي إيجاد
شروط جديدة لتغيير الأنظمة (يحيى)
سافوسكي، حقائق وكاذبات حول العراق
(النفط)، مايو (2003).

يشير فيه إلى أن ثمة «صراعاً إستراتيجياً» مشهوداً يدور الآن لتقرير من سوف يسيطر على احتياطي الطاقة في العالم، ومن المعروف أن مستوى الطاقة الإنتاجية الحالية في العراق يقرب حول 3-4 مبرمليون من الترقاق يروميا، ولكن يصبح استثمارات قدرها 20 بليون دولار امريكي، يمكن زيادة الإنتاج في غضون بضعة سنوات إلى خمسة ملايين يروميا يروميا. وسوف يشكل ذلك الإنتاج نحو عشر الاستهلاك الحالي، الأمر الذي سوف يؤدي إلى انخفاض في مستوى النمو، وهو ما يحتاج إليه الاقتصادات الغربية المتأطلطة.



ومما لاشك فيه ان بتزول العراق يشكل الكفكة الكبرى التي يخطط الأمريكيون لانتهاها في سوريا. فمثلت الأيام الأولى لعملية الفزو الأمريكي - البريغاتي الى العراق كان أحد الأهداف العسكرية الأساسية هو تأمين حقول البترول في الجنوب والشمال والحيولة دون إجرائها. كما كانت هناك توقعات كثيرة تشير إلى ذلك على منية العراق. ويرى فريق من خبراء البترول انه بدو في منسحب القوات من

١٩

■ يدور الآن الصراع العراقي على توزيع
السلطة في العراق ما بعد صدام. وهنا
المشكلة هي دور القوى العظمى في
الشرق الأوسط. يدور بين القوات العظمى (وخاصة
الأمريكية) للحصول على أكبر نصيب من
النفط العراقي. إعادة إعمار العراق،
والقضايا التي يدور حولها استغلال وإدارة
الموارد النفطية العراقية. وبلا شك هذا
الصدق أن المذهب الأمريكي في مجلس
الشعب الذي أعترض على تغيير حق الشعب
العراقي في عهده النفطية، وتم استبدال
السلطة في العراق العظمى تحدثت عن
الشعب العراقي في الاستفادة من استثمار
الموارد النفطية، وشأن بين ما ينبغي

وهدف الإستراتيجية الأمريكية هيما
يخضع مستقبل إستقلال وإدارة قطاع
النفط في العراق إلى تأمين إمدادات نفط
رخيص للبلدان الغربية المستهدفة للنفط
في الولايات ذات أهمية هذه الإستراتيجية
في الأجل المتوسطه تقريبا كقوة منظمة
أوليه للبلدان الصادرة للنفط، التي ترسم
السياسات الإستراتيجية. وتحدد الصفوف
الإنتاجية صادرات الخام للبلدان الأولى،
ويحدد الصفوف الثاني، الثالث، والرابع
يعمل مرسل إلى نيويورك كجريدة «دير
شبيغل» الألمانية مقالاً لصحيفة «د
نيتسخت» البريطانية تحت عنوان: «العبء
الكبير الجديد للوسط على العالم، النفط».





«المزيد من الدمار، كان يعنى المزيد من العقود وصفقات إعادة الإعمار، والأرباح الوفيرة للشركات الأمريكية العملاقة. ولعل هذا هو المغزى الحقيقي لما يطلق عليه «التحرير»»



والدولى. لذلك، فإن السلطة العراقية القادمة، التى على ما يبدو ستدور فى الفلك الأمريكى، سوف تترأس بالدرجة الأولى المصالح الأمريكية فى المنطقة. ب. نظراً لأن عملية إعادة بناء وتأهيل العراق بعد الحرب تستلزم وضع خطة متكاملة لمختلف المرافق العامة والمنشآت الحكومية والخدمات الأساسية فى مختلف المناطق العراقية، فالمشروع الإعمارى العراقى ستكون له تداعيات فى كافة المجالات، وعلى كافة المستويات السكانية والمناطق، مما فى ذلك إعادة صياغة عناصر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى العراق الجديد.

ولعلنا لو تأملنا ملياً فى القرارات التى اتخذتها سلطات الاحتلال الانجلو-أمريكى فى المجالات التالية:

١. حل الجيش العراقى.
٢. محاولة وضع دستور جديد لبلاد.
٣. على غرار دستور اليابان، بعد الحرب العالمية الثانية.
٤. المضى لإطالة أمد الاحتلال لأطول مدة ممكنة، ومنع قيام حكومة شرعية.
٥. تغيير نظم الإدارة وأسلوب تسيير الاقتصاد.
٦. الترتيب على الصيغة الطائفية والتركيب الإثنية للعراق.
٧. نجد أن كلها يشير إلى أن عملية «فك» وإعادة تركيب عناصر البنية السياسية والاقتصادية والمؤسسية فى العراق تجرى على قدم وساق.

[٤]

فى هذا التواليت بالذات، أى بعد غزو العراق، فإنه ليس من قبيل المصادفة أن يتم طرح العديد من المخططات التى تهدف إلى ضرب مفهوم «الأمن القومى العربى» فى أصعاقه. إذ أن فك الارتباطات السياسى والأمنى بين العراق، من ناحية، وبلدان الشرق العربى، من ناحية أخرى، يفتح الباب على مصراعيه أمام هيمنة وتقوية نفوذ القوى الأجنبية (الأمريكية -البريطانية -الإسرائيلية -التركية) فى المنطقة العربية، وذلك فى ظل الترتيبات الأمنية الراهنة لبلدان الخليج العربى، وهذا يؤدى بدوره إلى ضرب الوحدة العضوية للمجبهة الشرقية، عن طريق

الرياض والدمام، من جهة أخرى، بحثاً عن تنسيق الجهود فى محاولة الحصول على فرص عقود من الباطن لإعادة إعمار العراق.

ولعل الكثيرين يتساءلون الآن: لماذا كل هذا الدمار الذى سببه القصف الوحشى فى العراق، ولماذا تركت الباقى الحكومية والوزارات الرئيسية تحرق أمام سمع وبصر قوات الاحتلال الأمريكى، ولكن الإجابة بسيطة للغاية، إذ أن «المزيد من الدمار» كان يعنى المزيد من العقود وصفقات الإعمار، والأرباح الوفيرة للشركات الأمريكية العملاقة. ولعل هذا هو المغزى الحقيقى لما يطلق عليه «التحرير»



ولكن بعيداً عن هذا التزامم المضمون للحصول على بعض الفئات من خلال «عقد الباطن» فإن مفهوم إعادة الإعمار الحقيقى لا يدور حول (Hardware) أى المبانى والمنشآت... بل حول (Software) أى تصميم إدارة ومستقبل الجديد، وهنا يجب ألا نترك الأمور لمخططات الأمريكيات، بل يجب أن نتشارك الدوائر العربية (التركية والشعبية) وعلى رأسها الجامعة العربية، بكل قوة، بلورة رؤية محددة، لعراق ما بعد صدام، يتم على أساسها إعادة بناء العراق الجديد ومؤسسته. إذ أن غياب تلك الرؤية العربية هو كارثة تعوق كافة الحرب على العراق. ويجب الخروج فوراً من حالة الشلل السائدة حالياً نحو بلورة مزيد من المبادرات الفاعلة، واختراق المخطط الأمريكى لمستقبل العراق الجديد، سعياً وراء تقويضه.

[٣]

إن مشروع إعادة إعمار العراق، ليس مجرد مشروع مقاولات، بل هو مشروع إعادة بناء سياسى واقتصادى واجتماعى ومؤسسى، بكل ما يحمله ذلك من معانٍ ومضامين... وبهذا الصدد، يمكن إبداء بعض الملاحظات:

١. لا شك أن مشروع إعادة الإعمار فى العراق، إنما يمر عبر توجهات سياسية واجتماعية، فهو عملياً يعيد رسم دور العراق المستقبلى على المستوى الإقليمى

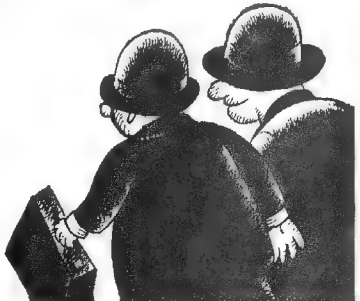
الحرب تم خوضها من أجل النفط، وأن القوات الأمريكية فى العراق لإفادة رجال شركتى هاليبيرتون وبكتل العلاقاتين، اللتين لهما صلات وثيقة برجال الإدارة الأمريكية.

فكما هو معروف، فإن شركة بكتل لها صلات وثيقة وعصيفة برجال الحزب الجمهورى، وبمؤسسة الأمن الوطنى الأمريكى، عن طريق مشروعات ضخمة شاركت فيها، وكذلك عن طريق شخصيات بارزة عملت فى «بكتل» قادة إداريين واستشاريين، أبرزهم وزير الدفاع السابق كاسبر واينبرجر. كما تشير التقارير إلى أن بعض أركان الإدارة الأمريكية الحالية ساهموا فى الترويج لشركة بكتل، وشارك عدد منهم خلال الأعوام الماضية فى صياغة المخطط للحرب على العراق والرياح. دونالد رامسفيلد، وجورج شولتز، وريتشارد بيرل، وريتشارد أرميتاج، ودوجلاس فايت، وريتشارد آلان، وروجر روتنسون، الذى كان مسئولاً فى وكالة التنمية الدولية، وشارك عام ١٩٨٨ فى تأسيس مركز الدراسات الإستراتيجية الذى قدم أكثر من بحث يتناول موضوع الحرب ضد العراق.

وقد أكد مصممو فى مجلس الخريف التجارية الصناعية، الذى يتخذ من الرياض مقراً له، أن عدداً كبيراً من المقاولين الكبار كفوا اتصالاتهم بمقاولى الباطن من جهة، وبالطرف التجارى فى

الخارجية الأمريكى الأسبق، جورج شولتز، هو عضو فى مجلس إدارة شركة «بكتل»، كما أن رئيس مجلس إدارتها هو عضو حالى فى مجلس التصدير، وهو حينه استشارية تقدم النصائح للرئيس الأمريكى فى مجال التجارة الدولية.

وقد صدات شركة «بكتل» الأمريكية العملاقة مقابلات فى واشنطن لآلاف الشركات فى الواحد والعشرين من شهر مايو الماضى بهدف التهادن معها لتنفيذ عقود فى مشاريع جزئية (من الباطن) فى العراق باعتبارها كمبر المقاولين الأمريكيين المعتمدين فى مجال إعادة إعمار العراق، وقد كان مشهداً مثيراً حقاً حيث اصطف الأعم من ممثلى الشركات فى إحدى الساحات فى واشنطن أمام الجبنى الذى تجرى فيه المحادثات، مما اضطر بكتل، إلى إعادة النظر فى الجدول الزمنى لهذه المداولات وتقرير عقد جلستين مكثمتين، مدة الواحدة منها ساعة ونصف الساعة، عوضاً عن جلسة واحدة مدتها ثلاث ساعات. ولقد حضر المايوردير الأمريكى الجرى الأصل «جورج سوروس» فى مؤتمر صحفى عقده فى مقر الأمم المتحدة فى نيويورك من أن القرار الذى مررت به الولايات المتحدة فى مجلس الأمن «لعراق ما بعد الحرب» سوف يؤدى إلى وصاية أمريكية دائمة معترف بها من الأمم المتحدة وبموولة من الثروة النفطية العراقية. وأضاف سوروس: «إن هناك شعوراً ينتشر فى العالم أن هذه





يجب أن تشارك الدوائر العربية بكل قوة، بلورة رؤية محددة لعراق ما بعد صدام، يتم على أساسها إعادة بناء العراق الجديد. إذ أن غياب تلك الرؤية كارثة تفوق كارثة الحرب على العراق



لا بد إذن من الخروج من حالة الشلل الراهن، ولابد من التحرك بسرعة على كافة المستويات وعلى أسس علمية وعملية. فهناك قانون يقول، لكل فعل - رد فعل، مضاد له في الاتجاه، وإن لم يكن مساوياً له في المقدار. إن مواجهة هذه التحديات الجديدة، بتقديراتها ولداً لخلافتها الإقليمية والولائية، هي مهمة شاقة بطبيعتها يجهز عليها جهاز بعينه أو دولة عربية بمفردها. ولذا لابد من تضاطر مبادرات ومجهودات فرق عمل، سواء على مستوى الأجهزة الرسمية المهمة بقضايا الأمن القومي والمصير العربي، أو على مستوى قيادات القوى السياسية والمنظمات المحلية والناحية (إما في ذلك منظمات رجال الأعمال). ■

الهوامش:

- 1- Richard Nixon, Seize the Moment (New York: Simon and Schuster, 1992), chap 5. "The Muslim World".
- 2- Bernard Lewis, Rethinking the Middle East



يجب عدم تجاوزها من جانب أي طرف عربي. ولكنه في ظل خريطة التطورات وأزمات الصراعات المستقبلية، التي تتسم بدرجة عالية من الدسولة التاريخية، هناك سؤال ملح يطرح نفسه، ما هو دور العرب في ذلك، والتاريخ الجديد، الذي يجري رسم خطوطه بواسطة مهندسين غير عرب،. ذلك هو السؤال المركزي الذي يجب أن نجيب عنه بكل وضوح وحزم، وبنو إبداع، حتى نتحسس خطانا المستقبلية لنضع بناء نظام شرق أوسطي، جديد على انقاض النظام العربي الذي يتهاوى تحت الضربات المتوالية التي توجه له. إذ أننا نعيش مرحلة التخطيط وإعادة التقسيم رسم مرحلة الشعوب والدول والكيانات، أو كما نرى بالتناقض سايبك- بيكو التي تم توقيعها في التاسع من مارس ١٩٦٦، حيث تم بناء هندسة جغرافية سياسية جديدة للمنطقة في ظل هيمنة اجنبية جديدة، حيث لخصت تلك الاتفاقية على إعطاء الأهلية لفرنسا وبريطانيا (كل في منطقة لفرده) في المشاريع والقروض، وكذا الانفراد بترؤيد منطقة النفوذ، بالمستشارين والموظفين الأجانب. ومن الواضح أن الولايات المتحدة وإسرائيل سوف تحل محل اللامعين الأساسيين في مرحلة سايبك- بيكو، (بريطانيا وفرنسا) مع مراعاة فروق التوقيت وظروف العصر، ورغم كل ذلك، لا يصل برنارد لويس، (وكما قلنا هو من غلاة المفكرين الغربيين المقاصرين للوصويع) إلى حد الحديث عن موت حركة القومية العربية، وإنما يلاحظ انحسار واحتجاب موجتها في الوقت الحاضر، وتحلل العالم العربي كونه سياسياً متماسكاً، ويرى لذلك منذ غزو إسرائيل لبيروت عام ١٩٨٢، ويشير إلى ذلك بقوله الله، «من القصور القول إن فكرة الوحدة العربية قد اختفت لأن كثيراً من الأقومات التي أتت بظهورها مازالت موجودة. ولكنها في الوقت الحالي، وفي المستقبل المنظور فإنها لا تعتبر قوة سياسية متمدة بها».

الوضع الراهن أخطر من أن يتحرك لمناظرات فكرية مجردة، تدور حول نفسه وتترى غرور بعض المثقفين، ولعلها تخرج بمخطط ورايع عمل محددة للتحرك المضاد، وحصان الخيول الجديده القديمة التي توضع الآن موضع التطبيق بعد احتلال العراق.

الاقتصادية الإسرائيلية على منطقة الشرق العربي واللال الخصيب. د. بناء علاقات اقتصادية وصاحبة إسرائيلية- خليجية، وعلاقات اقتصادية مالية إسرائيلية- معاربية، لتحرق شبكة العلاقات الاقتصادية والمالية العربية- العربية. المشرقية - المخرابية، والمشرقية - الخليجية.

ولعل عملية غزو واحتلال العراق هي تكريس لا سابق له أكد عليه الرئيس الأمريكي السابق «ريشارد نيكسون»، في كتابه المهم «الإسكان بالفرصة السانحة»، ١٩٦٢ من أن الصلحيتين المحتلن للولايات المتحدة في الشرق الأوسط هما: ضمان إمدادات النفط وحماية أمن إسرائيل.

ومن ناحية أخرى، يشير برنارد لويس، أحد غلاة النظريين الصهيونية، إلى أن هدف السياسة الأمريكية في المنطقة العربية (وفي منطقة الشرق الأوسط عمومياً) «منع ظهور أية قوة إقليمية (بخلاف إسرائيل) تستطيع على مقدرات المنطقة، وبالتالي تقترض ذوباً من المسيطرة الاحتكارية على بشورل الشرق الأوسط، والخصية الثانية التي تحرص عليها السياسة الأمريكية - وفقاً لبرنارد لويس - من منع التعددية النووية، في المنطقة، أو على الأقل تأجيل ظهور قوى نووية، بخلاف إسرائيل لأطول فترة زمنية ممكنة. وكان كل من العراق وإيران من البلدان التي تسمى بـ«الحدس الحسنة» Threshold Countries، أي من بين الدول التي يمكنها صنع القنبلة الذرية في غضون سنوات قليلة، ولهذا السبب تم تصنيف البلدين ضمن «محور الشر» في عرف الإدارة الأمريكية الراهنه.

والخصية الثالثة التي يؤكد عليها برنارد لويس، هي أن علاقة التحالف القاتلة بين الولايات المتحدة وإسرائيل من الخطأ النظر إليها على أنها مجرد علاقة تحالف إستراتيجي، بل هي «علاقة عاطفية أو أيديولوجية، Ideological or sentimental» في لقام الأول. إذ ترى الولايات المتحدة في إسرائيل امتداداً لاستراتيجيتها وهيمنة وأسلوب حياتها في قلب المنطقة العربية».

ولعل تلك هي الثوابت التي تحكم السياسة الأمريكية التي لا تتغير بتغير أو تعاقب الإدارات الجمهورية أو الديمقراطية، مهما كانت الأوامر التي يتم توجيهها من وقت إلى آخر. كما أن تلك الدوابت، التي تحد بدورها المخطوط الحمراء التي

فهم يرى الوحدة والتضامن بين أهم قوتين فاعلتين في الشرق العربي وهما، سوريا والعراق. ويتضح ذلك من خلال الطوق الجديد المحصور على «سوريا» ولبنان، من ناحية، والذي يكرس عزلة مصر من ناحية أخرى، كما هو موضوع في الشكل (١).



وتقوم الرؤية الاقتصادية - الإستراتيجية الأمريكية - الإسرائيلية، في مرحلة ما بعد غزو العراق، على عدد من المحاور، يتلخص أهمها في اختراق وتزريق المجال الاقتصادي العربي، فرفع طابع التجزئة وضامة البنية الإنتاجية والتكاملية للفضاء الاقتصادي العربي، فإن الإستراتيجية الإسرائيلية الهجومية في مرحلة ما بعد غزو العراق، تقوم على اختراق المجال الاقتصادي العربي، وتفتوح على الإمكانيات المستقبلية للتكامل الاقتصادي العربي.

وكبدية لذلك، قامت قوات الاحتلال الأمريكي بإغلاق خط أنابيب النفط الممتد من مدينة بكر كوت، في شمال الموصل إلى «ميناء باغياس، السوري، ليحل محله مخطط إعادة تشغيل خط «الموصل- حيفا» الذي كان قد توقف منذ قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، وهكذا فإنه في مرحلة ما بعد غزو العراق، سوف تصبح إسرائيل طرفاً أصيلاً وقاعاً، وجزءاً أساسياً من النسيج الاقتصادي الجديد للمنطقة، من خلال عدد من المخططات الإستراتيجية، أبرزها:

١. تقسيم المجال الاقتصادي العربي، إلى مناطق معزولة ومفصولة عن بعضها، من خلال اختراقات إسرائيلية، صير مجسومة من المشروعات العربية- الإسرائيلية المشتركة تلعب فيها إسرائيل دوراً إيجابياً وقاعاً.
- ب. تكريس كون «الاقتصاد الفلسطيني، معقاً مكملاً للاقتصاد الإسرائيلي» وفهم علاقته الطبيعية مع اقتصادات بلدان الشرق العربي، من ناحية، ومصر من ناحية أخرى، وهما اللذان يشكلان «العقد العظيم» ج. بناء «مثلث اقتصادي» تكاملي بين إسرائيل والكيان الفلسطيني والأردن، من غرار نموذج «البنوك» والبنوك، ليكون هذا «المثلث» بمثابة راس حربة لشروع الهيمنة

أنت بيروت

الغربة إلى وطن، ربما لا يعرفون مذاقه ولم يشموا عبقه الذي عشقه عرب نصف القرن المائج المدمى اختصاراً: (العشرين)؛ مفكرون، وسياسيون، وأدباء.. وبيضاء.. وميمنون لرائحة الزهتر.. وصوت فيروز. بيروت تعافت، وكالطائر الفينيقي في الأسطورة الشهيرة، ها هي تخرج من تحت الرماد.

قبل أشهر صدر كتاب مصور بعنوان «ذاكرة بيروت» وهنا وجهتا نظر في المشهد البيروتي «الآن» صور الكتاب رصدت تغيراً إيجابياً حدث في المكان. وقلّم كاتبها شاهد تغيراً عولياً حدث في البشر وبين الرؤيتين.. ستظل دائماً علامة الاستهتام. ■

■ بين الفسحة الحنين.. وبريق المعاصرة، تظل هناك علامة استهتام، أزليّة الوجود.. أبدية الإحاح. وتظل هناك. بين القطبيين.. وجهات نظر..

ماذا بعد الحرب.. غير الدمار. سواء جاء رُح الخراب الأسطوري عبر البحار.. والمحيط، إلى الفرات. أو افترخت الأفاعي ببضها المظموور في تربة قلبتها وعيشت بها كل الأصابع، والحوافر.. بل والحناجر.

هكذا بيروت (المروس) كانت لعقد كامل من الزمان. لم تكن فيه تعرف على وجه الدقة، من يحارب من؟ أو بالأحرى من يحارب لمن؟

وللحروب ثمن. يعرفه من زار تلك المدينة الجميلة بعد الحرب. ويعرفه من شاهد هذا الكتاب.

انتهت الحرب/المهاة. وعادت بيروت إلى أهلها الطبيبين وعادات «أجيال

البحر



أنت لسي!

فرضت عجلة الاقتصاد والسياحة على بيروت نمطاً استهلاكياً علمها أن تحدث حذو مراهقة أمريكية، لا قيمة للعلاقات مع المكان والإنسان أمام ضرورة التجديد للمحافظة على الموقع الأول في صف المنافسة في مباريات ملكات الجمال.

(جدو أبو حسن) الذي كان محطتي لأشترى منه كل يوم مخزون من منتج شوكتولا لبناني لشركة شندور اللبنانية (رأس العبد) لم يجد موجوداً، وحل محله مطعم فخيم نو زجاج لامع.

الأشرطة والتسجيلات، أسقطت فيروز «بيت الحين، وبعليك»، ولم يحتل الأرفف المنصقة أمامي سوى حفلة واحدة فقط، «فيروز في لاس فيجاس»، هذا بالضبط، وهذا فقط ما يعبره السائحون ويهمهم..

خرجت أجد فيروز الخيبة ورأى، وقلت ربما يعزيني تجوال حالم في شوارع وسط المدينة الجديدة الباهرة. لم أعرف المكان ولم يعرفني.. باعنتي المدينة.. باعت ذكرياتنا ودفعت الثمن مهرًا لقواد تألفت له بأحلى حلة مستوردة.

في كل شيء إلا في صوت فيروز تغنى سحر بحرها وخضرتها وبركة مياهها والجيال.. ودعته وأنا اعده بتوفير مسرحيات فيروز وماعدت نفسي على أن تكون أول ما أبحث عنه..

وصلت لبنان ولتحت في شوارعها النظيفة، المبتلة بالمطر افتش.. قصمت وسط المدينة، بيروت العروس في أبهى حللها وأزرق تجلياتها فلم أجد فيروز.. غابت فيروز عن مربع منتجج صوليدير، السياح في وسط البلد، حيث تركزت الفخم محلات بيع

في تلك الليلة لم أتم، وتملكني ألم فطيع في المعدة جعلني أقلب في فراشي حتى يزوغ الفجر..

فجر نهار يبدئه في القاهرة وأنهيته في بيروت بعد غياب دام ثلاثة أشهر، كيف سارها يا ترى وكيف ستراني؟ هي التي هربت منها بعدما انساب بين أدامي يوماً بعد يوم حتى فقدتها

ذاكرة بيروت

صور: أيمن تراوي

بيروت: أيمن تراوي، ٢٠٠٣

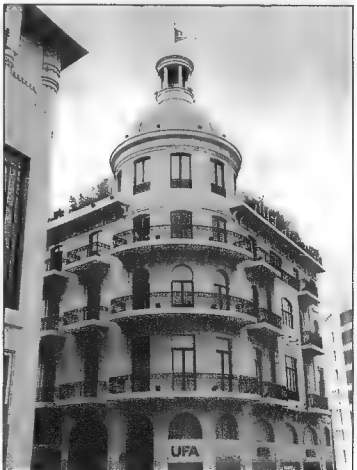


الجمال مرتبط بالمعنى، وأن التشوه هو في كمال الصورة التي تفتقر إلى العمق لا في عبورها الإنسانية الحقيقية. كان المتحف جميلاً حين اعتُرف بالحرب، حين دخلته أول مرة بعد افتتاحه، أحببت أن أحتضن جدرانها الوسخة المغطاة بذكرات القناصين والمتحاربين الذين تركوا عليه رسائل حب ووداعات وجمل حشاشين بالسين. بيروت الجديدة محت تاريخها، وخلت من الذكريات. نظرت إلى اللوحات

أه يا بلد. لكنني سأمر.. وسأجد بيروتني، مدينتي، زهرتي، بحري وأمي. مبان مرممة بتآن، وثقة لا تترك مجالاً للفوضى الجميلة. مبان وضوايح محت ١٧ سنة من الحرب وشركة استثمارية سعيده بنجاحها لم توفر على نفسها فرصة التفتني بما اقترفت يداها، معرض صور على طول الشارع زاخر بعرض إنجازاتها بعد الحريق، جسد المدينة الشوة وعمليات التجميل التي أجريت له، غاب عنهم أن

يد المستثمر التي ترشها كل يوم بمادة كيميائية لتزهي ألوانها الاصطناعية. شددت معطفي على جسدي أحيل الهواء الذي يحاول الوصول إلى ضلوعي ومثيت. ساحة النجمة، البرللان، شارع طويل يمتد بين رصيفين يمحان بالمخاض الفخمة يعتلي كراسيها اقرباء لنا يحدجون الفائنات اللبنايات بنظرات شبة، ويستعدون مسبقاً لتمتمة بعض الكلمات وربما لتبادل أرقام التليفونات معهم.

لم يعد هناك من مجال لبناء تاريخك الشخصي في مدينتك فهي باعتك بشمن بخس، واستبدلت بك جوقة من المرتزقة يفتصبون جمالها يوماً بعد يوم. لم أجد بيروت. قناع الراقصة المئاتقة أخفى تجاعيد الأم الحثوث وبت أشعر في أحضانها بالصقيع. الجو بارد فعلاً، لكن هذا لم يمنعي من إكمال ذرعتي، ربما أجدها تفتش إحدى النواصي على شكل زهرة تقوم



Gambini and ومحات لبيع الألبسة الإيطالية، فمن هو اللبناني زائد وسط بيروت؟
Cut!!

مشهد آخر، شارع الحمراء الطويل وأصوات باعة الجرائد على الأرصفة. ساحة الشهيد (خالد علوان) بالتحديد، هذا الجبل الذي هجر نفسه على ناصية (الومبي)، المقهى الذي كان يشرب فيه ضابط إسرائيلي قهوته أيام الاجتياح، فمات قبل إنهاء فتجالة الساخن.

أنها لم تلحد تفتت الهوية بين أياهم البناء والسياب الوطن من بين أنامل أهاليه.

وسط بيروت، إن هو؟
هو بالتأكيد ليس إن دفع من عرقه ودماله في ترميمه، لأنه آل إلى منطقة باذخة ومترقة لا يستطيع رشف قهوته الصباحية فيها دون أن يدفع مبلغاً يوفق طاقته.
(سوق سرسق)، (مسوق الشورية) وأسواق أخرى اختضت أمام El Parlamento, Diva Bar, Casper

لست ضد مهرجانات التسوق ومفخرة بيروت سويسرا الشرق لكنني ضد بلد يلصق أبنائه، ويمزق تاريخه في سبيل بيع جسده.

أنا لا أكثر إن التحدي كان كبيراً على المرممين، وأعرف أنهم بذلوا مجهودات وطاقات خرافية للحفاظ على نفس الطراز المعماري للأبنية، مرتكزين على تمويل الشعب الذي دفع من عائداته الشخصية نقوداً على شكل ضرائب للتهوض ببيروت، لكنني أؤم عيونهم الأوروبية، كيف

باسى وحنين لماض سرقوه مني قبل أن أعيشه ويعيشني، ولم ينهني غير صوت يرمين بالفرنسية لفئة بيروتية تعبر بتأثر عن مدى جمال ما آلت إليه بيروت فأهست بالفربة.

لفطنتي مدينتي ونفتني، افلعت تاريخ أهلي وفتحت يديني مجلبتين للوافد الأغر..
لست ضد الترميم لكنني ضد التمهيط..
لست ضد الجمال لكنني ضد المسحبة..



Paris على الرصيف المقابل، ويبروت لم يضربها زلزال عن قريب.. فأين المودكا؟
لماذا يحتل زاويته عمال وخشب وتفتوح من قبره رائحة تراب وغبار؟
هذا لأن صاحب المودكا المصون باعه

بمنحة، وعمل في الغرب بلعنة جعلتهم يصقونه جسدياً عندما طلب زيارة أهله في لبنان حتى لا يحمل معه أسرار مختبراتهم العلمية.
اعتقدت لوهلة أنني أخطأت الشارع، لكن يا ربي.. هذا لا يحتمل.. هذا هو الومبي ثابت في مكانه. Café de

برتادونه. الفنانون والرسامون، الكتاب والشعراء، اليمطاء والناس العاديون يحبون الجلوس على كراسيه المرسومة على الرصيف المشمس.
سأطلب القهوة وأشتري الجريدة من عم (رمال) قريب (رمال رمال)، ذلك النابغة الليناني الذي درس في الغرب

كلا لي أدخل إلى الومبي، فأنا أستم فيه رائحة نخبوية رواده. سأدخل المودكا، هذا المقهى ابن العشرين ربيعاً المفتح على كل أشكال الحياة وأنواع الزبائن..
مناضلو المتجنّيات تركوا بصماتهم على طاولاته، منظرو كل الأزمان



الضاحية الجنوبية، هناك حيث مازالت
تطفو أبنية الصرف الصحي حين
تطفر بفجأة..
هناك عاش صوتها ولم يمت بين بشر
نجا من موجة التحديت الهوجاء،
فعبس الوطن فيهم، وعاشوا على
هامشه ٨٠

المنزل، لن أقصرا الجسراند في
Star Bucks Café إن كان هذا هو ما
يريدونه.
لن يحصل.
وبالناسبة، لم أعد إلى القاهرة دون
أشرطة هيرون وجدتها في زقاق قديم
بمنطقة حزام البؤس البيروتى في

لم هذا الإصرار على النهج
الاستهلاكي؟ ولماذا تدفعنا عجلة
الرأسمالية الموحشة وتطمس عوائلنا
وتحو تاريخنا؟
ومن الوم؟
عبت أحمل المראה في نفسي،
وفي يدي جريدة ساقراها في

لشخص جديد علق على بابه بإقطة
مكتوباً عليها: قريباً افتتاح محلات
Vero Moda للألبسة.
كادت أن تغلق منى صرخة كبتها
فاستحالت غصبة مازالت في صدرى
حتى الآن.
ما هذا التحامل على الذاكرة؟



ملاعق متواجدا في مرايا





مالك

مالك على الإنترنت www.maccarpet.com

سجاد مالك لكل الأغراض.. لكل الأجيال

مشايات

قطع موكيت

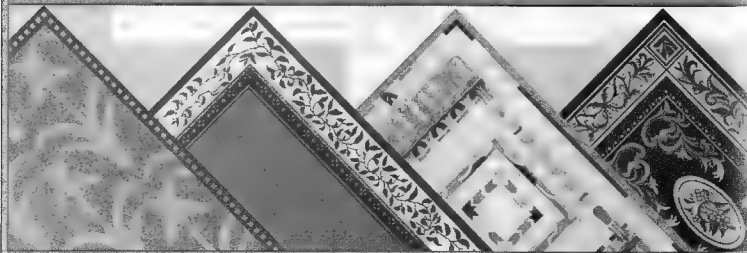
مطبوع

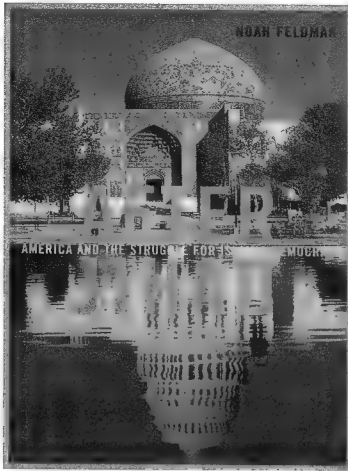
دواسات حمام

شرقي

سجاد أطفال

بيع بواقى التصدير المنتشرة في كل أرجاء مصر.





■ كانت الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ علامة من العلامات الفاصلة في علاقة الولايات المتحدة بالإسلام، خاصة بعد احتلال الثوريين الإيرانيين للسفارة الأمريكية في طهران واحتجاز رهائن من أعضاء السفارة.. وبالنسبة للإمام روح الله خامنئي أصبحت الولايات المتحدة الكراهية بين الولايات المتحدة وإيران ولم يهدأ حتى هذه اللحظة. وفي عام ١٩٨١ اغتيل الرئيس أنور السادات على أيدي منظمة الجهاد والجماعة الإسلامية. وتصاعدت موجة الإسلام الراديكالي وفتحة انقلب الإسلام بين الإسلام والولايات المتحدة وبدأ الحديث من الخطر الإسلامي على فترة طويلة من العلاقات الطبيعية، بل والحمية أحياناً.. ألم تعتبر أمريكا الإسلام حليفاً في حربها الباردة، مع الاتحاد السوفيتي

هو نوح فيلدمان أستاذ القانون بجامعة نيويورك. وهو يهودي أرثوذكسي لا ينتمي إلى تيار المحافظين الجدد، بل يرى الكثيرون أنه معتدل. وقد وقع الاختيار عليه ضمن مجموعة من القانونيين لصياغة دستور العراق الجديد. وما يميز فيلدمان أنه يناهضه من تيار المحافظين الجدد الذي يتخذ موقفاً متصلياً من الإسلام، وتراه فئة منهم على أنه العدو الجديد الذي حل محل الشيوعيين، ولأيد من الاشتباك معه حتى يكون مصيره هو مصير الشيوعية، بالإضافة إلى صدور تصريحات حثيئة من بعض رؤاه التيار المحافظ الديني مثل تصريح فرانك جراهام ابن بيلي جراهام أخصم القيادات الدينية المحافظة وصديق أسرة بوش بأن الإسلام «دين شرير».

الديموقراطية.. جهاد المسلمين

عبد العليم الأبيض

يرى فيلدمان أننا تجاوزنا مرحلة الجهاد، بمعنى تعبئة الإسلام الراديكالي في حرب حتى النهاية مع الولايات المتحدة زعيمة العالم الغربي، إذ أن الإسلام المتطرف كما يقول فيلدمان في الملح لا يسبب الموقف الأمريكي منه، بل لأن جماهير المسلمين على اتساع العالم الإسلامي وتوقعه ترفض هذا النهج.. ولا يعني ذلك أننا يصعد انتهاء الأعمال الإرهابية، فسوف تستمر هذه الأعمال على نحو متفرق ولكنها ستكون أعمالاً يائسة محبطة. حتى هجوم ١١ سبتمبر يراه فيلدمان على أنه حارس يائسة لتيار مهزوم. وقد نحن هذه الجهود الثوري، وأينما توجهت أبصارنا، لا نرى إلا هزائم لهذه القيادة في أفغانستان والسودان وإيران.. لقد فقد الجهاد الثوري بريقه.

إن بما ينهيه إليه فيلدمان، هو العكس تماماً مما ذهب إليه فرانسيس فوكوياما في كتابه «نهاية التاريخ»، وصامويل هنتنجتون في كتابه «صدام الحضارات»، وحتى ما ينهيه إليه برنارد لويس في كتابه الأخير أزمة الإسلام..

العدد الرابع والخمسون - يوليو ٢٠٠٢ م

عبد الرحمن أبراج مركز التجارة العالمي، وكان الشيخ حليفاً للولايات المتحدة في أفغانستان في حربها ضد الاحتلال السوفيتي. وتصارع مسلسل العنف بين الولايات المتحدة والإسلام الراديكالي، إذ هجر تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن مجمع الخير المسكن في السعودية، ثم سلسلة من التفجيرات في سفارتين أمريكيتين في شرق أفريقيا. أعقبها توجيه ضربات موجعة للسودان والشرق الأوسط، بل والعالم بأسره عندما وجه تنظيم القاعدة هجمات غير مسبقة باستخدام طائرات مدنية في دمنير برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك في مشهد درامي لن ينساه الأمريكيون.. ثم ضرب مبنى البنتاجون مقر وزارة الدفاع الأمريكي في حي أرلينجتون على بعد دقائق معدودة من البيت الأبيض ومعظم مقار

الإدارة الأمريكية. شبه الهجوم الذي شنته القاعدة بهجوم اليابان على بيرل هاربور في بداية الحرب العالمية الثانية في آثاره الشخصية الغابرة على الأمريكيين. وتغيرت أمريكا وتغير العالم، وبدأت الحركة ضد الإسلام الراديكالي. كان لابد من التعرض لهذه الخلفية لفهم السياسات الأمريكية تجاه الإسلام الراديكالي. وقد التعت الحركة وتحولت إلى سعى نشط لخفض الهيمنة الأمريكية على العالم.. كانت بدايته احتلال العراق والعمل على إعادة تشكيله، ووطئه بسياسة أمريكا الجديدة في الشرق الأوسط في سياسة استراتيجيتها إمبريالية لا تعترف الولايات المتحدة عنها، وإن كانت تصممها بأنها دولة إمبريالية.

بعد هذه المقدمة الطويلة بعض الشيء نعود إلى الكتاب الذي نعرضه على الصفحات التالية.. مؤلف الكتاب

باعتبار الإسلام سلاحاً ضد الإلحاد الشيوعي؟

وهذه الثورة الإيرانية تسارعت خطى الصدام بين أمريكا والإسلام عندما هجرت قوى المقاومة الشيعية في جنوب لبنان محسبات مشاة البحرية الأمريكية في بيروت عام ١٩٨١. وفي عام ١٩٩١ اندلعت حرب العراق الأولى وما تلاها من تدخل الولايات المتحدة الذي انتهى بطرد صدام حسين من الكويت، وفرض صدام غير إنساني على العراق بعد أن دمرت آلة الحرب الأمريكية الهجومية معظم بنية التحتية وعادت بالعراق على حد تعبير ميموت للامم المتحدة في هذا الوقت إلى «العصر الحجري»، وتوالى أحداث العنف. ففي عام ١٩٩٤ فجرت الجماعة الإسلامية المتطرفة بقيادة الشيخ عمر

After Jihad: America and the Struggle for Islamic Democracy
(ما بعد الجهاد: أمريكا والصراع من أجل الديمقراطية الإسلامية)
Noah Feldman
Farrar, Straus and Giroux, 2003,
\$ 24.00



إن لب ما يذهب إليه فيلدمان، هو العكس تماماً
 مما ذهب إليه فرانسيس فوكوياما في كتابه «نهاية التاريخ»،
 وصامويل هنتجتون في كتابه «صدام الحضارات»، وحتى ما يذهب إليه
 برنارد لويس في كتابه الأخير «أزمة الإسلام... إذ يؤمن فيلدمان
 أنه ليس هناك تعارض جوهري بين الإسلام والديمقراطية»



وفي إيران أدى نجاح الثورة الإسلامية
 إلى اعتناق أعداد غفيرة من المسلمين
 عقيدة الإسلام الثوري من خلال الجهاد
 العنيف.

وعندما اغتيل الرئيس السادات عام
 ١٩٨١ رفض الإسلاميون إدانة هذه
 الجريمة. وفي الجزائر لجأ الإسلاميون
 إلى العمل المسلح وتعددت المنظمات
 الجهادية في العالم خلال فترة
 الثمانينيات، وظهر أسامة بن لادن على
 المسرح وأصبحت منظمة القاعدة أشهر
 المنظمات الجهادية التي نفذت أجرة عمل
 إرهابي، ولكن كما سبق ذكره كان تدمير
 مركز التجارة العالمي عملاً يائساً أملاً
 فشل العمل الجهادي في الإطاحة
 بالنظام الأوتوقراطية في السعودية
 ومصر. ومن ثم اتجه العمل الإرهابي إلى
 مهاجمة حامى هذه النظم.

أخرى قد تعزز من مصداقية الطرح
 الذي يأتي به كتاب «ما بعد الجهاد»،
 إذ يعترف الكاتب، على عكس
 المحافظين الجدد، أن إسرائيل وسياسات
 إسرائيل تجاه الفلسطينيين هي عامل
 مهم في أزمة الثقة بين الولايات المتحدة
 والشعوب الإسلامية. بل إنه ينتقد بشدة
 كتابات المحافظين الجدد الذين
 يتجاهلون العامل الإسرائيلي في نشوء
 الإرهاب، بما في ذلك برنارد لويس
 وتلميذ النجيب بول وولفويتز فيلسوف
 الاتجاه.



يقع الكتاب في ثلاثة فصول رئيسية
 تنقسم بطورها إلى أجزاء عديدة فرعية.
 الفصل الأول يتناول فكرة الإسلام

للمدنية حتى وقت قريب من
 تفصيل الولايات المتحدة للنظم
 الأوتوقراطية، وإن كانت هذه السياسة
 تخضع لمراجعة واضحة الآن. لقد قدمت
 هذه النظم نفسها على أنها الحامية
 للاستقرار الذي يخدم المصالح الأمريكية
 ضد الخطر الذي يشكله الإسلاميون. في
 الوقت نفسه أخلت هذه النظم بالصاحبة
 السياسية من أي قوى سياسية فاعلة،
 حتى تبدو للأمريكيين بأنها البديل
 الوحيد. ويكرر الكاتب هذه النغمة من
 أول الكتاب لآخره، ويشدد عليها وينصح
 الولايات المتحدة بالتخلي عن هذه
 النظم.

ويكرر الكاتب إن الثمن الذي ستدفعه
 الولايات المتحدة إذا ما واصلت دعم هذه
 النظم سوف يكون باهظاً في المدى
 البعيد. هذه السياسة تضع الولايات
 المتحدة في موقع المداة تشوب هذه

إذ يؤمن فيلدمان أنه ليس هناك تعارض
 جوهري بين الإسلام والديمقراطية، وأن
 الوقت الراهن هو وقت واحد لإحداث
 تزواج بين الإسلام والديمقراطية.
 مفهوم العدالة والأخلاق والأمل
 والالتزام في الإسلام هو مفهوم يتم
 بالعمق. وهو في الوقت ذاته قوة هائلة
 يمكن أن تشرى العمل السياسي
 والاجتماعي.. إن قوة الإسلام في حياة
 المسلمين لا تتعارض مع اتجاه مخات
 بالحكم أنفسهم بأنفسهم. هذه الحقبة
 الحالية، حقبة ما بعد الجهاد قد
 تكشفنا في نمو الحركات الشعبية
 الإسلامية التي تؤمن بنوع من
 الديمقراطية وهي ديمقراطية تتطور
 باستمرار وتتشد سياسة حكم رشيدة. إن
 مفهوم الجهاد الأكبر، جهاد النفس، الذي
 ينسب إلى الرسول ﷺ هو في أدق معانيه

الأكثر... رؤية أمريكية!

ديمقراطية الإسلام..

ليست ديمقراطية

الإسلاميين

يميز الكاتب بين الديمقراطية
 الإسلامية وديمقراطية الإسلاميين. وقد
 أصبح من الشائع استخدام تمييز
 الإسلاميين للإشارة إلى العقائد
 الإسلامية الراديكالية والأصولية. وفي
 رأي الكاتب، فإن الإسلاميين بهذا المعنى
 لا يعبرون أي اعتباراً للديمقراطية. وهم
 يروجون لتفسير ضيق للشرعية على غرار
 إيران الخمينية أو طالبان أفغانستان..
 إلخ. أما الديمقراطية الإسلامية في رأيه
 فتتسع لتشمل الديمقراطية في تعريضها
 للتقليد، أي حكم الشعب وسيادة
 القانون وضمان الحقوق الأساسية ومبدأ
 المساواة. وفيما يتعلق بالديمقراطية
 الإسلامية، فإن ما المصعب تصور قيام
 حركات ديمقراطية شعبية على نحو ما
 حدث في بولندا.. السبب في ذلك هو
 إهمال النظم الأوتوقراطية

في سماع الإسلاميين
 وجهات نظر

والديمقراطية، والفصل الثاني
 يتناول تنوعات الديمقراطية
 الإسلامية. ويتناول الفصل الأخير
 ضرورة قيام الديمقراطية الإسلامية
 والنتائج والتوصيات التي يصل إليها
 الكاتب، خاصة فيما يتعلق بسياسة
 الولايات المتحدة تجاه العالم
 الإسلامي.

وفي الفصل الأول الذي يتناول
 تفاعل الديمقراطية مع الإسلام، يشير
 المؤلف إلى محاولة إقامة أول
 ديمقراطية إسلامية في العالم
 الإسلامي عندما اكتشف الإسلاميون
 عام ١٩٩١ الانتخابات المحلية في
 الجزائر الأمر الذي أصاب حزب جبهة
 التحرير الوطني بالرعب فصار إلى
 إلغاء نتيجة هذه الانتخابات والبش
 بزعما جبهة الإنقاذ سجناً وتجنيداً.
 وأيدت كل من فرنسا وأمريكا عملياً هذا
 الموقف من حكومة جبهة التحرير.
 وكانت النتيجة أن غرقت الجزائر في
 بحر من الدماء من جراء الحرب
 الأهلية المستمرة حتى الآن. وانتهت
 أول تجربة إسلامية في الديمقراطية
 قبل أن تبدأ.

النظم وأجباب أمانيها. وفي النهاية سوف
 تضع اليأس في نفوس القوى الإسلامية
 الديمقراطية وتعمق أزمة الثقة بينها
 وبين هذه القوى. وتعرض لفساد
 السياسات الأمريكية والتسويق بأنها
 تحمي وتدافع عن الديمقراطية والحرية
 والعدالة والمساواة بينما تتنكر لها في
 الواقع. كما أن استمرار هذه السياسة
 سوف يمسح من حل الصراع
 الإسرائيلي الفلسطيني حيث سيرفضه
 المسلمون الذين يهتمون بحكوماتهم
 بالانضمام إلى أمريكا، وسوف تظل أمريكا
 مرتبطة في أذهانهم بمساندة الاستبداد
 والقمع.



هذا هو لب الموضوع في كتاب
 فيلدمان، ولكن الأمر يحتاج إلى تفصيل
 أكثر. فحسب معرفتي فإن فيلدمان يقدم
 دفاعاً منطقياً ومتعمقاً عن إمكانية تزواج
 حقيقي بين الإسلام والديمقراطية. فهو
 يوضح حججاً قوية أكثر من أي كتاب آخر
 قرأته في هذا الموضوع. وثمة قضية

جهاد من أجل العدالة. كما أن تصارع
 الأفكار لا ينبغي أن يفضي بالضرورة إلى
 صراع. إن الخطاب الإسلامي، في لبه، هو
 خطاب العدالة وسيادة القانون والشورى
 والمسئولية.



المعضلة الأساسية للديمقراطية في
 العالم الإسلامي كما يراها فيلدمان
 ليست العقيدة الإسلامية ولكنها في نظم
 الحكم الديكتاتورية والأوتوقراطية،
 والافتقار بين هذه النظم وشعوبها. إنها
 نظم تستमित في الدفاع عن أصاكتها
 المفتصية في الحكم والاقتصاد والأمن.
 فضلاً عن ذلك يعترف فيلدمان بالتناقض
 الشديد بين البلاد الإسلامية فيما يتعلق
 بالتقدم نحو الديمقراطية والظروف
 الاقتصادية والاجتماعية، ولكن النظم
 الديكتاتورية تقف بخراسة ضد
 الديمقراطية الحقيقية. وفي هذا الصدد
 يشير الكاتب إلى سوريا وقصبة الحوض
 لمدينة حماة وإلى نظام صدام حسين
 الرحيب. وهناك عقبة أخرى كدأه



فيما يتعلق بالديمقراطية الإسلامية، فإن من الصعب تصور قيام حركات ديمقراطية شعبية على نحو ما حدث في بولندا.. السبب في ذلك هو إيمان النظم الأوتوقراطية في قمع الإسلاميين الديمقراطيين وغيرهم على نحو ما نعرف في حالة الجزائر



العربية المكتبة أو العسكرية الفسيرة أو الفنية هو الحكم الديكتاتوري، وإن اختلفت حدثه في سوريا والعراق مثلاً من ناحية ومصر من ناحية أخرى.

فالديمقراطية في هذه الدول تواجه محنة شديدة تتمثل في الحظر على تكوين الأحزاب السياسية وعلى الحريات والنقطة، حيث تشهد تحركات طبقات الأرض تحتية السابقة لقيام الهزات الأرضية، فترى في السعودية مهد الحكم الهولبي المتشدد من ينادي بإجراء الانتخابات، وهناك تجرية البحرين المشربة بالأمل.

الفسر المصري

يخصص الكاتب جزءاً كاملاً من مصر تحت العنوان السابق، ويشير إلى أهمية مصر باعتبارها في رأيه قلب العالم الحرسي جغرافياً وحضارياً وسكانياً، وباعتبارها أكبر المصدريين لدول المنطقة لمنتجاتها الثقافية من أفلام وبرامج تليفزيونية ومسلسلات درامية، علاوة على ذلك فإن مصر هي مهد الإصلاح السياسي والأصولية الإسلامية التي تبني العنف في نفس الوقت، ويشير الكاتب إلى نمو التيار الإسلامي السياسي في فترة الثمانينيات بعد أن ظل هامشياً طوال تاريخ مصر المعاصر. ولكن الكاتب يرمع أن تقشي الفساد السياسي والاقتصادي وغشيان الديمقراطية يلقي بظلاله الثقيلة على مستقبل الديمقراطية في مصر. ومع ذلك يرى الكاتب أن الأفق ليس مسدوداً تماماً في مصر، فثمة إصلاحات في الفترة الأخيرة، وحملة حيوات أكثر قليلاً في التعبير عن الرأي. كما أن الانتخابات التي أجريت عام ٢٠٠٠ تعتبر أفضل من الانتخابات التي سبقها في عام ١٩٧٧. ولكن الصورة العامة تظل قاتمة لدى المؤلف.

حاولنا جهدنا التركيز على استعراض الكاتب لمشكلة الديمقراطية والإسلام، وعلى عكس معظم ادبيات الدراسات الإسلامية، التي صدرت في الآونة الأخيرة في الغرب عامة والولايات

التي حدث في إيران منذ رحيل الإمام الخميني فيما يتعلق بنزاهة الانتخابات ومعارضة الشباب للاتجاه المحافظ، ومشاركة المرأة المتزايدة في الحياة السياسية. فيما يتعلق بتركيا يمكن القول أنها دولة ديمقراطية منقوصة نظراً للدور الفريد الذي يقوم به الجيش في حماية الدستور والعمليات.. ولأنه لا تركيا هي أكثر دول العالم الإسلامي الرفاهية بالرغم من نفوذ الجيش وبالرغم من عزل الجيش لأول حكومة يرأسها نجم الدين أربكان رئيس حزب الرفاه بعد انتخابات عام ١٩٩٥ الذي حصل فيها الحزب على نسبة عالية من الأصوات مكنته من تشكيل حكومة ائتلافية. وأيضاً فإنه في كل مرة كان يتدخل فيها الجيش كان يقوم بتسليم الحكم إلى حكومة أكثر ديمقراطية. الأمر الآخر هو أن الأحزاب الإسلامية في تركيا لم تلج أبداً إلى العنف أو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية. والتجربة الديمقراطية توحى بشدة بإمكانية قيام ديمقراطية إسلامية.



وما يقال عن تركيا يمكن أن يقال عن تجارب أندونيسيا وماليزيا وباكستان. فعلى الرغم من تشرير التجربة الديمقراطية في هذه البلدان ما زالت هناك إمكانات لا بأس بها لقيام الديمقراطية. ويؤكد الكاتب الظروف الطامعة لأندونيسيا وماليزيا، أو لتوعية الإسلام الذي انتشر هناك، إذ لم ينتشر بالقبول بالإنفاضة فضلاً عن فضائل التصامح الذي يميز حضارة هذه المناطق. وفي باكستان يشير الكاتب إلى موقف الصفوة الباكستانية التي لم تتخل أبداً عن مبدأ العوامية بين الديمقراطية والإسلام. فضلاً عن تجربة الباكستانيين الطويلة في محاولات المصالحة بين الإسلام والديمقراطية.

ولا بأس أيضاً من إمكانية قيام ديمقراطية في دول العالم العربي مع ما بينها من اختلافات وتناقضات. إلا أن الكاتب وغيره كثيرون، يرون أن الديمقراطية تواجه أصعب أمثلتها في المنطقة العربية. ومما يميز الدول

كثورة سياسية منذ ١٠٠ عام، ومرة أخرى منذ ٥٠ سنة، ولكنه بقي حياً في كل مرة. وبعد تجربة الإسلام السياسي في إيران فليس من المتوقع أن يدخل الإسلام في بيئات شتوي حتى تتاح الفرصة لدول أخرى خوض التجربة بأي صورة من الصور. لقد ولد الإسلام كحركة احتجاج ضد الحكومات العربية التي يدعها الغرب، ومازال يشكل المعارضة في كل البلاد الإسلامية. وهذا يمكن أن المسلمين الذين يكرهون حكوماتهم لكونها حكومات غير عادلة وباطشة سوف يتعاطفون، ولو على نحو ما مع الأفكار الإسلامية. لا يتمتع الإسلام ببعض المرونة ويصور نفسه دائماً كاتحاد للعدالة، وهو ما يستحوذ على أذهان وهلوب الناس، خاصة في غياب العدالة المتشودة.

تنوع الديمقراطية

في هذا الجزء يشير المؤلف إلى تجربة إيران وتركيا وكذلك تجارب جنوب شرق آسيا وباكستان ثم المنطقة العربية. في استعراضه لتجارب هذه النماذج المتعددة يخلص المؤلف إلى أن التنقيص ليس إقصافاً كاملاً أو نجاحاً كاملاً، بل خليط من النجاح والإخفاق. ولا يخفى فيلماذا نقاؤه بمستقبل الديمقراطية في تركيا والأردن والغرب، ولكنه في نفس الوقت ليس متشاكلاً تماماً بالنسبة لمستقبل الديمقراطية في الدول الإسلامية الأخرى.

تمتحوذ إيران على جزء كامل في الكتاب للأهمية الواضحة لإيران كأكبر دولة شيعية وأكبر دولة إسلامية تخوض تجربة ثورية إسلامية خالصة.. المتاملون بالحدس لإيران يشيرون إلى انتخاب محمد خاتمي رئيساً للجمهورية في انتخابات حرة فزيهة رغم أن النظام الثوري الإيراني المتمثل في مجلس الأمية، المحافظ والذي ما زالت له الكلمة الأخيرة. والمتشاكسون يشيرون إلى قوة القوى المحافظة. وبعد تجربة خاتمي من أهم تجربة ديمقراطية نائية من صلب العالم الإسلامي في دولة إسلامية. وما على الولايات المتحدة إلا أن تسحب هذا الاتجاه وتعترف بالتطور

الديمقراطيين وغيرهم على نحو ما نعرف في حالة الجزائر. تفعل ذلك النظم الديكتاتورية وتصوره على أنه عمل وقائي ضد التطرف والأصولية. وانطلعت هذه الخدمة على الولايات المتحدة وكان من أثر ذلك تساوي الإسلاميين الديمقراطيين عن الأنظار إلقاء لمحات القمع التي شنتها الأنظمة سابقة الذكر.

ويتعرض المؤلف لبعض المفكرين الغربيين الذين يروجون في نظرياتهم لاستحالة الديمقراطية في الإسلام، وأشهر هؤلاء المفكرين هو صامويل هنتنجتون. وقد حالف هنتنجتون بعض التوفيق عندما وقعت حوادث ٩/١١ والتي لم تكن إلا هجوماً على الحكومات الإسلامية من خلال الهجوم على الولايات المتحدة. وينتمي برلاند لويس إلى هذه المجموعة التي تنهت إلى عدم إمكانية التعايش بين الإسلام والديمقراطية. وللإحصاف ثمة مفكرين إسلاميين يؤمنون بنفس هذه القوة. وإن كان هناك اتجاه آخر موافق لبعض الأفكار الغربية مع رفضها في الظاهر، والزعم بأن هذه القيم التي تسمى غربية إن هي إلا قيم راسخة في الإسلام.



يرفض هيلمان الأفكار الراقصة الإمكانية التعايش بين الإسلام والديمقراطية، ويؤكد أن كلاً من المبركين تنقسم بصفتين أساسيتين هما التمسك بالتنقيص، هائلان الخاصيتان كانتا وراء الانتشار السريع للإسلام والديمقراطية في كل أنحاء العالم. إذ من خصائص الفكر التنقيص المرونة والقدرة على التكيف في بيئات وحضارات متنوعة جدا النوع. أبس ما يقال عن الإسلام اليوم كان يقال عن العميدة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية في شرق أوروبا؟ ما علينا إلا أن نتأمل تاريخ الإسلام في الهند وإسبانيا والصناح الإسلام على حضارة اليونان القديمة ونقلها إلى أوروبا. كل ذلك يبرهن على حيوية ومرونة الإسلام، ويقول المؤلف:

إن التاريخ القصير للإسلام السياسي يدل على أنه من الخطأ دائماً إقصاء الإسلام. فقد بدا الإسلام ضئيلاً

خلو.. وجاهد



ترفض حجج هذه الديكتاتوريات بأن الخيار هو بينها وبين تيار الأصولية. فمصدر العداء الشعبي الجارف في الدول الإسلامية هو النظم الديكتاتورية ذاتها وإسرائيل إلى حد ما.

ثمة أسلحة عديدة تستطيع الولايات المتحدة نشرها في التأثير على هذه النظم: منها استخدام المونة والمنح النقدية التي ترتبط بالإصلاحات الديمقراطية وإذا فضلت هذه الأساليب فيمكن استخدام القوة العسكرية، وعلى رأي كلوزفونز، فالقوة العسكرية هي السياسة بطرق أخرى. ثم هناك النفوذ القوي الذي يمكن استخدامه لصالح الديمقراطية وبعد ترك بيل كلينتون للحكم دفع حضور مؤتمر عقده جامعة نيويورك حول الديمقراطية. وعندما انبرى عدد من المثقفين المسلمين لتوجيه اللوم إلى الحكومات الأمريكية لعدم تمسكها بالديمقراطية في الدول الإسلامية نهض كلينتون ليقول: «إنني أعتقد بأن ما فعلته لم يكن المطلوب، والحقيقة أنني لم أعرف كيف أفضل ذلك».

ما كان يقصده كلينتون هو وجود تحالفات بين الولايات المتحدة وتلك النظم الأوتوقراطية، وهذا الرد هو ما يرفضه الكاتب.

المتحدة خاصة. يتميز فيلدهان بروية إيمانية عميقة في إمكانية قيام ديمقراطية إسلامية وسط لفظ شديد في بعض الأوساط الغربية الفكرية تحاول أن تثبت أنه لا مستقبل للديمقراطية الإسلامية.

ويتعرض فيلدهان الآن خاصة بعد اختياره لصياغة دستور جديد للعراق لانتقادات كثيرة، بعضها موضوعي وبعضها الضعالي. فقد انتقده المفكر الكبير الدكتور إدوارد سعيد بقوله أنه يهودي أرثوذكسي، مع أن الكاتب اعتبر كتاب إدوارد سعيد «الاستشراق» من أهم الكتب التي صدرت في القرن العشرين. ربما أكثر الانتقادات موضوعية هو ما جاء على لسان شريف بيسوني القانوني المصري المرموق الذي يحصل الآن الجنسية الأمريكية. إذ يذهب شريف بيسوني إلى أن المجموعة التي اختيرت لكتابة دستور العراق وقوانينها ليست مؤهلة، لذلك فلدى العراق رجال قانون ممتازين. كما أن المستور العراقي المغفى قد استند إلى الدستور المصري، والمطلوب فقط هو فتح الدستور والقوانين التي صدرت عن البعث العراقي.



نعود إلى: ما العمل في رأي الكاتب أنه لا ديمقراطية في العالم الإسلامي مالم تنتهج الولايات المتحدة سياسة دائمة للضغط والترغيب على النظم الأوتوقراطية الحاكمة في العالم الإسلامي، سياسة تراعى شروط كل بلد على حدة وتكيف وسائل الإنعاج الجديدة في كل حالة. وأول ما ينبغي أن تفعله الولايات المتحدة هو أن تتخلى عن حساسيتها المفرطة إزاء بعض الدول البترولية مثل السعودية والدول غير البترولية كمصر وباكستان مجرد أن هذه النظم صديقة للولايات المتحدة. كما ينبغي أن يكون المبدأ الذي تستند إليه أمريكا في المنطقة الإسلامية والعربية خاصة هو مصالح الولايات المتحدة وأن هذه المصالح سوف تزدهر في ظل سياسة تتجبع الديمقراطية. وعلى الولايات المتحدة أن تلحظ روايب حقيقة الحرب الباردة لتحرير تحالفاتها مع النظم الإسلامية الديكتاتورية. كما أن عليها أن



وختاماً على حد تعبير الكاتب، هي نهاية الكتاب إلى المسلمين لم تلدهم أهمياتهم مبرمجين ضد الديمقراطية أو لقبول حجج الإسلاميين، هذا ما يشته القرن العشرون. بإمكاننا أن نعرف فقط صدق هذه القول عندما توجد حرية سياسية حقيقية في العالم الإسلامي، وعندما تصبح الانتخابات حرة، وحتى الآن لم يتم تجريب سياسات إسلامية حرة في أي بلد أصغر. وأخيراً فإن المراقبة للصحة الإسلامية منذ ٩/١١ وبعد حرب العراق يشهد سابقاً لاحقاً بعيداً عن الانظر على امتداد العالم الإسلامي يعاود النظر في المسلمات وينظر في كيفية التأقلم مع النظام الجديد في المنطقة وفي العالم. وإن كانت الصورة العامة تبدو وكأن الأمور تجري على ما تعودت أن تجري عليه. إلا أن الصورة لم تعد كذلك.

المؤسسة القرية للدراسات والنشر

٣٣٠ شارع في مدينة القاهرة الجديدة



تقدم لكم أحدث الإصدارات

- الطبخ يتحدث شعراً وثلاً..... فؤاد عبد الرحمن العجبي
- مدخل إلى علم اجتماع الإسلام .. من الأرواحية إلى الشولية .. يوسف شلعت
- الطعام الإسرائيلي .. رؤية فلسطينية لمفاوضات كعب ديفيد .. بلال الحسن
- القرن الحادي والعشرين إن يكون أمريكا .. بيتر ديليس (مترجم)
- اكتشاف البهجة .. رسائل من البياتي وبقاني والرباب .. د. هيام فراجية
- تاريخ النفوذ البريطاني في البحرين .. د. فريدة الجيب
- جماليات البروفة .. جواد الأمسي
- الأعمال الروائية الكاملة .. مؤنس حوز
- الأعمال القصصية .. عبد الرحمن مجيد الربيعي
- الأعمال الشعرية .. عبد الله بن شراييل

نشط منشور لنا من

مكتبة الكياليم
KAYALI BOOKSHOP



عنوان: القوساني، شارع عبد الصمد شومان، بناية سكني، هاتف: ٥٩٠٠٤٣٣، فاكس: ٥٩٨٥٥٠١، بيروت، الصلح، شارع فون، بناية عبد بن صالح، فاكس: ٧٥١٤٣٨ / ٧٥١٤٣٩
kayali@libertel.com.lb
٥٩

تيسم لانج

اختيار وتفضيل المستهلك لتسعة من الأخرى. لكن في الحقيقة، إن الظاهرة بأكملها هي نتيجة لشراء المصنعين لبعضهم البعض لكي يضعوا أيديهم على العلامات التجارية. إن عمليات الاندماج واكتساب العلامات التجارية حدثت بكثرة منذ الثمانينيات على جانبي الأطلسي، حيث إن الشركات الكبرى كانت تطبق بشكل سريع وخاطف على منافسها.

هتلأ علامة تجارية «بريطانية، مثل الكيت. كات والتي امتلكتها في يوم من الأيام، كوايكر، صانع حلويات وأوتريز في يورك. قد حولتها لنسلة إلى علامة تجارية عالمية.

لقد تركزت العملية الصناعية في يد فئة صغيرة، وأصبح مستوى الاحتكار هذا أمراً ملحوظاً الآن، سواء نظر المرء من الزاوية العالمية أو الإقليمية، أو العالمية. هناك سبعين للشال، وفي منتصف السبعينيات، تحكمت أكبر أربع شركات أمريكية لتسليم اللحوم في حوالي ربع السوق الأمريكية. لكن اليوم أصبحت هناك عشرون شركة فقط تقوم بتفدية نصف اللحوم في الولايات المتحدة وهي متصلة بشكل مباشر بأربعة مصانع منتجة للحوم والتي تسيطر على ٨١٪ من إنتاج اللحوم، سواء من خلال ملكية مباشرة أو من خلال عقد رسمي. في هذا النوع من النظام الغذائي، يصبح المزارع متعهداً، حيث يقوم بتوفير العمالة، وغالباً بعض من قيمة رأس المال، ولكن لا يمكنه امتلاك المنتج. إن المزارعين لا يمكنهم أبداً وفقاً لهذا النظام أن يبيعوا بالتخاذاً القرارات الإنتاجية الكبرى.

ونتيجة هذا، لحد بعيد ما يجري في مجال الكيمويات الزراعية. ففي نهاية الثمانينيات، كانت منتجات كبرى عشرون مصنعاً على مستوى العالم تمثل حوالي ٩٠٪ من المبيعات. ومع نهاية عقد التسعينيات سيطرت عشرة مصانع فقط على هذه النسبة المرتفعة من السوق. واليوم تنافس هذا العدد إلى سبعة فقط. إن اتجاه شركات الكيمويات الزراعية إلى التقنيّة البيولوجية كان دافعاً آخر للاندماج، حيث ظهرت شركات علوم الحياة والتي تغطي دراسة الجينوم بدءاً من الصيدليات وحتى تربية النباتات. لكن حتى أكثر المصنعين المخلصين ربحية، والذين يمتلكون أشهر العلامات التجارية، لم يعد بإمكانهم الدعاء بالسيطرة الكاملة على دورة الأغذية،

إن دعم الحكومة للمزارعين قد أمن حسب إمداد المصنعين بالمنتجات الخام. وقد قام جون كوندور أستاذ الاقتصاديات الصناعية في جامعة يورديو بولاية أيداهو الأمريكية ولفترة طويلة بمراقبة دقيقة لعملية الاحتكار في دورة الأغذية. فذكر مؤخراً في مؤتمر منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي أن حصص السوق لأكثر عشرين شركة أغذية أمريكية قد تضاعفت منذ عام ١٩٧٧. واليوم تستحوذ مائة شركة فقط على ثمانين في المائة من كل القيمة المضافة. وسواء في أوروبا أو الولايات المتحدة، فإن تركز الشركات الصناعية هو نفسه، الأسماء فقط هي التي تتغير. ففي (أوروبا) نستل وبيونيليجير، وهناك كرافت وجينيرال فودز (ثم اندمجاهما الآن) وشلكتيرال بواسطة شركة التريا. وقد اختار هذا الاسم الجديد صناعة المسجّلر فيليب موريس. إن هذه الشركات تعمل على نطاق واسع. وطبقاً لأرقام الجديدة، فإن نستل على سبيل المثال، أكبر شركة مصنعة للغذاء في العالم. قد باعت منتجات غذائية بمبالغ تقدر بـ ٤٦,٦ مليار دولار عام ٢٠٠١. وحتى شركة مازز، والتي لا تحتل سوى المرتبة العاشرة في قائمة عشرة مصنعي الأغذية في العالم، فإن مبيعاتها أيضاً تقدر بأكثر من ١٥ مليار دولار. سيكون من المريح الاقتصاد أن سياسة التركز هذه قد نجمت عن

أن تتحمل دعم مثل هذا النظام الباهظ التكاليف، ولهذا فإن الإفراط على السياسة الزراعية العامة قد أخذ في التناقص.

إن المستهلكين اليوم يتفقدون جانباً أقل للغاية من دخلهم الشهري على الغذاء. في المقارنة بخمسين عاماً مضت كان الإفراط على الغذاء يبلغ ثلث ميزانية البيت الإنجليزي، بينما يبلغ اليوم أقل من عشر تلك الميزانية. كذلك لم يعد منتج الغذاء الخام هم المحكمون في دورة الأغذية. بدلاً من ذلك تركزت القوة بشكل مخيف في يد مجموعة قليلة من الشركات العملاقة التي تصنع المنتج الخام وعند قليل من المؤسسات التجارية التي تسيطر على منافذ الموز لأوروبا والتي تعرف بالسوبرماركت. وكلها تتوسع دولياً، الغالبية على المستوى الإقليمي، والبعض الآخر أخذ صلبة العالمية.



وبينما هنت قوة المزارعين مع نهاية القرن العشرين، فإن هذه الكيانات العملاقة للصناعة والمورد للغذاء قد اقتضت الحق لتتأدك ذلك الفراغ. وبسوء جدال، كان المصنعون هم الذين حصلوا على مكاسب أكثر من المزارعين في مرحلة ما بعد الحرب العالمية والتي تميزت فيها صناعة الغذاء بالاستقرار.

ليست هناك مبالغة في القول بأن النصف الأخير من القرن الماضي شهد ثورة في عالم الغذاء. إن كل خطوة على طريق دورة صناعة الغذاء - بداية من زراعته وإنتاجه وتوزيعه، وتوريده وإنهاءه بطهيهِ - قد تطورت بشكل يفوق إدراكنا. التغيير ليس بأمر جديد في عالم الغذاء، لقد كان دوماً رهناً للتجارة عبر القارات. ولكن الأمر الذي لم يحدث قبل ذلك أبداً أن تركز مثل هذه السلطة الهائلة على نظام الغذاء العالمي في يد عدد قليل من المؤسسات العالمية.

في الفترة السابقة على الحرب العالمية الثانية، كان المزارعون هم المحكمون الأساسيون في تجارة الغذاء. ولكن نهاية سلطة المزارعين بدأت حينما اعتقدوا أنهم في أوج قوتهم، وذلك في منتصف القرن العشرين. وفي المرحلة التالية للحرب، كان للمزارعين نصيب من المنح وأشكال الدعم المختلفة، لمنهم من الانهيار الكامل. فقد كان الدعم يوجه إليهم بشرط قبول إعادة الهيكلة، أي في مقابل التكثيف وزيادة درجة الكفاءة، وإبنى التقنيات الموفرة للعمالة في شكل المكنة وعلوم النبات.

وبعد خمسين عاماً، تولفت أشكال الدعم لكك. حتى الاقتصاديات الفنية لدول الاتحاد الأوروبي لم يعد بإمكانها بترتيب مع الجارديان ترجمة: رانية خلاف

أكبر عشرة مصنعين للغذاء في العالم	
المبيعات الكلية للغذاء بالمولار الأمريكي (٢٠٠١-٢٠٠٢)	
١	نستل ٤٦.٦ مليار
٢	فيليب موريس (كرافت) ٣٨.١ مليار
٣	كون أجرا ٣٧.٦ مليار
٤	بيونيليجر ٣٦.٧ مليار
٥	بيبيس ٣٥.١ مليار
٦	آي. دي. إم (لطحن الحبوب) ٣٣.٥ مليار
٧	تيسون (إنتاج اللحوم) ٣٣.٤ مليار
٨	كارجيل ٣١.٥ - مليار
٩	كوكا كولا ٣٠.١ مليار
١٠	ماز ١٥.٣ مليار

أكبر عشرة متاجر تجزئة للغذاء في العالم	
المبيعات العالمية باليورو (٢٠٠٢)	
١	وال. مارت (الولايات المتحدة) ١٩٩ ملياراً
٢	كارفور (أوروبا) ٨٦ ملياراً
٣	اهولد (أوروبا) ٥٣ ملياراً
٤	كروجر (الولايات المتحدة) ٥١ ملياراً
٥	مترو (أوروبا) ٤٧ ملياراً
٦	البرتسونز (الولايات المتحدة) ٣٩ ملياراً
٧	كيمارت (الولايات المتحدة) ٣٩ ملياراً
٨	ريوي (أوروبا) ٣٦ ملياراً
٩	تيسكو (أوروبا) ٣٤ ملياراً
١٠	الدى (أوروبا) ٣٣ ملياراً



تأمين مساحة على الرف لمنتجاتهم والقيام بحملات إعلانية مستمرة ومكثمة لإقناع المتسوق بشرائهم وترك سلعة منافسة أخرى. وهذا يقسم لماذا تقوم شركات مثل ماكдонаلدز وكوكاكولا بإضافة ٤,١ مليار دولار سنوياً على التسويق في جميع أنحاء العالم، وإنفاق هذا المبلغ الضخم مبرره في سبيل امتلاك حصة تبلغ ١,٣ تريليون دولار من سوق الغذاء الأمريكي.

هناك حجة أخرى بشأن تزايد نفوذ أصحاب متاجر السوبر ماركيت وهي أنهم يتحكمون في اختيارات وأذواق عشرات الملايين من المستهلكين من خلال عدد ضئيل من متاجر السوبر ماركيت. ولذلك ينشأ السؤال، ما أثر ذلك على المنافسة؟ وكذلك على دورة صناعة الغذاء؟

ولعل كل هذه القضايا تكمن مشكلة أكبر هي أن إعادة الهيكلة التي تمت بشكل جدي لدورة الغذاء لم يستثمرها تقوية الهياكل المعرض وجودها لحماية مصلحة الشعب، هناك علامات قليلة تشير بأن هناك تغيراً ما في هذا الإطار. فمثلاً حكومة حزب العمال في بريطانيا وضعت لجنة للمنافسة، وبدأت جماعات المستهلكين تنضم إلى التحالف الجديد الذي كونه صفار الزارعين ليكون معارضاً لنفوذ السوبر ماركيت، كما أن المهنيين من البيئة والنشطاء الدينيين يشكلون ضغطاً على الحكومة لكي تضغط بشأن المؤسسات المعلقة.

إلا أن الذي يميز سياسة الغذاء هو أن المستهلكين وتجار التجزئة يحصلون غالباً على ما يريدون. فسياسات الاندماج والسيطرة على السوق ترهّل تدريجياً من الحلوى إلى العالي، وسيكون من الصعب يوماً بعد يوم كسر هذه النزعة وفي الماضي، كان يتم ترويض هذا النفوذ من خلال الضغط الشعبي والجهود المتكاثفة من قبل جماعات الضغط العاملة لصحة المستهلك مثل الحركات الاجتماعية والعمالية والصحة والحفاظ، وكانت هناك مكاسب مهمة ونجاحات فيما يتعلق بالأن الغذائي والتجارة الأخلاقية، لكن الاحتكار الضخم الذي يحدث الآن يمثل بكل تأكيد التحدي الحقيقي

فلزّواحد فقط، وهو تجار التجزئة خلال السنوات الخمس القادمة. إلى السؤال الذي يطرح نفسه بقوة هنا هو: ماذا يعني كل هذا بالنسبة للمستهلكين؟ إن التقرير السابق قد توصل إلى استنتاج متفائل مفاده أنه بالرغم من السلطة المتزايدة لكل من المصنوع وتجار التجزئة، فإن المستهلكين هم من سيهيّدون دورة الغذاء في المستقبل، على الرغم من أن هذا أمر مرغوب فيه، فإنه من الصعب تصديقه بالنظر للمؤشرات الحالية.



إن احتياجات المستهلك يبدو أنها تلعب جزءاً ضئيلاً في تطوير المنتجات الجديدة. وفي المرة القادمة لن ندعاهم لسوبر ماركيت، بل بجولة قبل أن تبدأ في الشراء. انظر إلى آلاف المنتجات وتساءل: من قام بطلب كل تلك المنتجات التسكسية؟ في الولايات المتحدة، هناك أكثر من ثلاثة عشر ألفاً من المصنّعين الأغذية الجديدة التي تطرح في الأسواق كل عام تنضم إلى المنتجات الموجودة بالفعل والتي يبلغ عددها ٢٠٠ ألف صنف. وفي أوروبا، من بين عشرة آلاف سلعة جديدة تطرح سنوياً، فإن ٩٠ بالمائة منها تخفق قبل انتهاء العام، فقط عدد قليل من العلامات التجارية الغذائية يبقى سيقى بعد عملية طويلة من العمل ليكون له صفة العائدية، ويلحق بأسماء ثبتت إقامتها بالفعل في السوق مثل نيسكافيه، بيبسي، كوكاكولا، كيرلوجس، ماكونا، ليزا، وينز، كينتاكي، مارس وكابودوري. ومن بين أكبر خمسين علامة تجارية استهلاكية في العالم، فإن الغذاء يمثل الخمس.

ويحتاج الأمر إلى أموال مطلقة من أجل أن يصل المنتج إلى ذلك المستوى في الأسواق العالمية. إن أصناف الغذاء الجديدة لا يمكن أن تطرح على أساس أمل، عقيم، هو أن المستهلك السريع التآثر سيقوم بشرائها لموافقته الشخصية. وأولويات مصنعي الغذاء هي

الغذاء من المتوقع أن تستمر في المستقبل القريب، وسيكون هناك أربع أو خمس مؤسسات تجزئة كبرى تعمل حول العالم. وعلى الرغم من ذلك، سيكون هناك عدد من تجار التجزئة ذوي النفوذ القوي يعملون على المستويين المحلي والإقليمي. إن حالة مشابهة ستوجد بين المصنّعين الكبار وسيعمل حوالى عشرة فقط من مصنعي الغذاء على المستوى العالمي، من خلال مشيرين إلى خمس وعشرين علامة تجارية، وعدد من شركات المسيطرة في دول أو أقاليم معينة. ويكشف التقرير عن عمق الاستياء بين القائلين على عملية صناعة الغذاء بالنسبة للطريقة التي يعمل بها تجار التجزئة بوصفهم البوابة الرئيسية للمستهلك.

ويقول التقرير، إن ثلاثة أرباع المصنّعين الذين خضعوا للمسح أشاروا إلى أنهم يستسلمون كثيراً لنفوذ تجار التجزئة ويشعرون بالخوف إزاء عواقب تنامي قوتهم. إن مصنعي البضائع ذات العلامات التجارية الكبرى يعلمون جيداً أن تجار التجزئة الكبار يجبرونهم على تقديم تخفيضات إضافية، ويبدو أنهم كجارية المضرب بالقوة خوفًا من خسائر مميزات تسلك مواقع على الرف في متاجر التجزئة الكبرى. إن بعض المشرّفين على عمليات التفتيد وصل بهم الأمر إلى وصف ما يحدث بأنه ابتزاز وتهديد.

ومن الطبيعي أن تكون مشاعر الكراهية تلك متبادلة. وكما يقول التقرير فإن تجار التجزئة وليس الأمر في الحقيقة، لا يتفقون مع هذا التقصير للأمر، بل يقول المخبرون التنفيذيون في مجال التجزئة، إن المصنّعين أساءوا استخدام نفوذهم ولا يظهرهم احتراماً كافياً للموا المجه التي يلعبها التجار. وأشار تجار التجزئة إلى أنه بدلاً من إشفاق الملايين من الولايات مع وسائل الإعلام الجماهيرية من أجل تسويق المنتجات، فإن المصنّعين ينبغي أن يبيعوا أموالاً أكثر تجار تفرزين عمليات الترويج الداخلي للبضائع داخل المتاجر ومن الأفضل أن ينظّموا استراتيجياتهم ليعملوا بالائتمان مع مبادرات التسويق التي يقوم بها تجار التجزئة. ولكن مؤلفي هذا التقرير أوضحوا أنه على الرغم من أن المصنّعين على أقل تقدير، فإن معركة التخصيم من أجل السيطرة على سوق الغذاء ستستمر عن

حيث تنازعهم في ذلك الشركات العالمية ذات الربحية الضخمة التي تسير على مناهذ الوصول للمستهلك والمتعلقة في سلاسل محلات السوبر ماركيت الشهيرة. وحتى المصنّعين الكبار يعتمدون على المستهلك، ولكن يقوموا بذلك، فإن عليهم أن يوافقوا مقدماً على عقود مع تجار التجزئة، الذين تتطلب أنظمتهم مواصفات دقيقة، وأحياناً محددة للتسليم، وهو أمر ربح مرتفعة.



وكما هو الحال بالنسبة للمستهلكين، أصبح هناك تركيز عالٍ لقوة وسلطة البيع بالتجزئة خلال السنوات الأخيرة، ففي المملكة المتحدة، تستحوذ أكبر خمس سلاسل لسوبر ماركيت الآن على حوالى ثلثي مبيعات الأغذية، بينما تراج نصف أغذية البلاد من خلال ألف متجر عملاق فقط. وعلى الرغم من ذلك، فإن أرباح المصنّعين على مبيعات الدخل ليست كافية، ولذلك ينظر تجار التجزئة الكبار إلى ما وراء أسواقهم المحلية سعياً وراء مكاسب أكبر من طريق الغذاء العالمي في المقام الأول، ثم عالمياً. لقد أصبح الآن ماركيت، المالك الأمريكي لأسد، أكبر متاجر المستهلك في العالم على الرغم من أنه قد توسع خارج الولايات المتحدة منذ عشر سنوات فقط. ويعد والمارت جزءاً من مجموعة التخصيص بين تجار التجزئة الذين أصنعوا عن طموحاتهم العالمية، ومن بينهم تيسكو، التي أعلنت الشهر الماضي أرباحاً تفوق ١,٣ مليار جنيه استرليني. وكذلك السلسلة الفرنسية كافور، المنتشرة في عدد من دول العالم.

إن هذه المؤسسات تقسم العالم الآن إلى ثلاث فرق: التصديقات الغذائية لأوروبا الغربية، وشمال أمريكا، ثم الاقتصاديات التي تنمو بشكل سريع لتلائق الاقتصاديات الأكبر مثل تايلاند والهند، ثم أسواق العالم النامي مثل الهند، البرازيل والصين.

وقد ساعد الماضي تقرير مهم عن آخر ما وصلت إليه صناعة الغذاء في العالم (State of the Art in Food) المرتكز على مجموعة من المسوح في ١٩ دولة، وكان آخر ما خلص إليه هو أن اندماج وعولمة تجارة التجزئة وصناعة



كيف يحيى الوطن العزيز؟

لم يأت على مصر حين من الدهر يشتغل فيه أبناؤها بحالها ومستقبلها مثل هذه السنين التي توالى فيها المصائب، وتعاقبت النواثب، وعرفنا حقيقة المقاصد الإنجليزية ضدنا وضد الوطن العزيز. وقد ذهب أبناء الوطن في أمر مستقبله مذاهب شتى. فاصحاب العقائد الصحيحة والمبادئ القومية يؤمنون له مستقبلاً سعيداً، وحياة طيبة لأنهم يعلمون أن الأمة المصرية هي أكثر الأمم استعداداً للتقدم والترف، وأن اليأس من المستقبل يأس من قدرة الخالق سبحانه وتعالى. ويرى غيرهم أنه قضى عليها إلى الأبد، وأن أبناها ليسوا أهل إرادة وتشاغل وذكاء.

ويرون أن الأمة المصرية مهما بلغت من إصلاح شؤونها وتربية مدارك أبناها لا تقوى على القوة الأجنبية المسيطرة عليها، ولا تجد سبيلاً للخلاص مما هي عليه، لما هو مشهور عن دولة الإنجليز من القوة والدهاء، بل يسخرون من كل العاملين على ارتقائه وإعلاء شأنه. فهم فضلاً عن تقصيرهم في خدمة الوطن للتقصير الأثيم، يعملون على تثبيط النهم وإفقاد العزائم وفل العواطف المصرية وانتشار كلمات «موت المصريين» و«عدم فلاح المصريين» باعتقاد أن الأمة لا تعرف معنى الوطن والوطنية، أفة دونها كل الأهات وبليّة تسهل بجانبها البلياء.

على أننا لو تصحنا تاريخ مصر نجد أن أبناها قاموا بأعظم الأعمال وبرهنوا على استعدادهم التام لكل تقدم وفلاح، وأظهروا في ظروف كثيرة من الشجاعة ما حفظه لهم التاريخ في مصائب بيضاء فكيف يدعى البعض مع ذلك أنهم أمة ميتة لا حراك بها وأنه يستحيل أن يوجد فيهم شعور وطني صادق؟

■ أصبح التسوق في السوبر ماركت متعة بعد ذاته ولم يعد كثير من المستهلكين ينهبون إليه مرة واحدة في الأسبوع كما كانوا يفعلون قبل سنوات بل تطور الأمر إلى زيارة يومية لشراء احتياجاتهم. هل يعني ذلك أن هناك حالة عشق من جانب المستهلكين للتسوق؟

لقد أحكمت متاجر السوبر ماركت سيطرتها على سلة المشتريات في المملكة المتحدة على سبيل المثال خلال خمسين عاماً فقط، ومع نهاية الحرب العالمية الثانية، كانت المحال المستقلة هي التي تلبي طلبات المستهلكين وكان هناك ما يسمى بمساعد يقوم على خدمة المستهلكين. وفي الخمسينيات، كان هناك فقط عدد قليل لا يتجاوز المائة من متاجر السوبر ماركت ذاتية الخدمة. ومع منتصف الستينيات زاد العدد إلى ٢٠٠٠، واليوم هناك ما يقرب من ٤٥٠٠ سوبر ماركت، يتراكم فيه بشكل نمطي ما يتجاوز ٣٠ ألف مخزون سلعى مختلف وهناك أربع سلاسل ضخمة هي التي تهيمن في السوق البريطانية وهي

تيسكو، سانسبيرى، أسدا (وويكها الآن متجر وإل مارت الصالح الأمريكى) وسيف واى. وفي عام ١٩٨٥، كان هناك حوالي ٢٢ ألف محل جزارة. ومع حلول عام ٢٠٠٠ تبقى منها عدد لا يتجاوز ٩٧٢١ فقط. وفي العام الماضى كانت محال بيع الصنف والمجالات تتعرض للإغلاق بعدل محل واحد في اليوم. وفي أيامنا هذه، هناك فقط حوالي ١٦٪ من المستهلكين يستفيدون من المحال المتخصصة مثل محال الجزارة وتجار الأسماك والى الخضراوات والفواكه.

وهناك مجموعة من الظواهر ترتبط بإنشاء سوبر ماركت في أى مكان من العالم وأهمها:

العمالة المؤقتة

حتى لو كانت هناك عمالة دائمة إلا أنها تقسم بالضرورة، وحسب دراسة بريطانية، فإن افتتاح سوبر ماركت جديد في أحد التجمعات يعنى أن يفقد حوالي ٢٦٦ عاملاً وظائفهم على الفور.

البيع أقل من التكلفة

هناك دول مثل ألمانيا، أيرلندا، وفرنسا لديها قوانين تعارض هذا المفهوم، وذلك لحماية أصحاب المحال التجارية الصغيرة الذين لا يتقنون على هذا النوع من المنافسة. وهناك نوع من السلع يسمى سلعاً معروفة القيمة مثل الخبز. لقد اكتشف أصحاب متاجر السوبر ماركت أن وعى المستهلك بسمو السلعة هو أمر جزئى وأن الصلابة عن القيمة يتشكل بشكل كبير من خلال عدد قليل من الأصناف المعروفة يمكن القياس عليها. إن استراتيجية السوبر ماركت هي تخفيض الأسعار بشدة على تلك السلع وزيادة هامش الربح في الوقت ذاته على أصناف لا يعرف أحد عنها شيئاً. هل نلتك، على سبيل المثال أى فكرة عما يجب أن يكون عليه سعر العنب المزروع جنوب أفريقيا؟

ممارسات قسرية

في نوع التعامل بين متاجر السوبر ماركت والموردين. وقد قامت لجنة المنافسة البريطانية بالتحقيق مع ٥٢ متجراً في عام ٢٠٠٠، وتضمن ذلك مطالبة السوبر ماركت الموردين بدفع فواتير المحلات الصغيرة التي تتخذ شعاراً واشترى واحدة وأحصل على الثانية مجاناً، أو دعوة الموردين للاشتراك في أعمال خيرية لترويج سلعة ما دون موافقة المورد ثم مطالبتهم بدعم هذا العمل، بالإضافة إلى مطالبتهم بتقديم تخفيضات على السلع الراجعة مقابل ميزة وجود السلعة على أرفف تاجر التجزئة.

أسعار مختلفة للسلعة

إن المفهوم الرسمى هنا هو دى مثل سعر السلعة، وهو ما يعنى أن سلسلة ما يمكنها أن تضع سعر بيع تجزئة مختلفاً لمنتج في أى منطقة جغرافية. بكلمات أخرى، يمكن أن ينتهى بك الأمر إلى دفع مبلغ أكبر من المال من أجل شراء البطاطس في مدينة ما، عما يمكن أن تدفعه إذا كنت تقطن في مدينة أخرى.

كتاب الزاوية

أوراق مصطفى كامل

اتحاد كلمة المسلمين

يشتمل رجال السياسة والأقلام في أوروبا كثيراً بأمر المسلمين وما يدور بينهم من الأحداث في شئون بلادهم وتأخرها واستيلاء الأجانب عليها. وقد ملأ كتاب أوروبا الدنيا بصراخهم ضد الإسلام والمسلمين ونادوا في كل واد بالويل والنشور وهولوا في الأمر حتى ظن أهل أوروبا قاطبة أن الإسلام كله مجتمع حول لواء واحد لأخذ بالثأر واسترداد أملاكه من أيدي الدولة الأجنبية.

والذي يطالع كتابات هؤلاء الكتّابين ولم يكن رأى الشرق وأهله وعرف مقدار سوء معاملة أوروبا لأبناء الإسلام يظن لأول وهلة أن المسلمين قوم متوحشون. وأنهم ناكرون لجميل أوروبا عليهم أقيع نكران. على أننا لو ناقشنا أوروبا الحساب وجدناها جنت على الإسلام والمسلمين، بل جنت على العالمين أكبر الجنايات المفضية. فممن يشتكى المسلمون؟ نشكى معاشر المسلمين من أن أوروبا المتقدمة لا تعاملنا كما يجب أن يعامل بنو الإنسان. نشكى من أنها دخلت بلادنا بدعوى الإصلاح فأفسدت، ونشر المدنية فأعادت همجية العصور الأولى، نشكى من أنها تكرهنا كراهية دينية شديدة، وهي المنادية بمبادئ العدل والحرية والمساواة، نشكى من أنها تقصد إبادةنا كما إبادة الحيوانات الضارة، وكما أبعد الهنود من أمريكا وهم أصحاب البلاد الأولون، نشكى من كل أعمال التمدن والمدنية. ويودنا لو كنا غير شاكين هذا ما نشكى منه، فممن تشكى أوروبا؟ انشكى من أننا سلمنا إليها بلادنا ووثقنا بأقوالها ووعودها؟ انشكى من أنها سادت علينا بإرادتنا وضمت حقوقنا واستزفت أموالنا، وضيق علينا في حياتنا؟



أسدا. وذكرت سيف واى أنها عوضت المستهلك ثم طالبت المورد بدفع ما بين ٢٠. ٢٥ جنيهها استرلينياً لكل شكوى.

حتى لو كنت تقوم بالتسوق من مجرد أفرع مختلفة للسلسلة ذاتها.

تبييد الطاقة

من خلال الفرع الدولية لتاجر السوبر ماركت العملاقة. إن كيلو جراماً واحداً من البنوت الأزرق الذى يتم استيراده بالطائرة من نيوزيلاندا ينتج الكمية ذاتها من انبعاث أكسيد الكربون وللناجمة من غلى وعاء بالماء لمدة ٢٩٨ مرة.

المواقع الساخنة

يتنافس تجار التجزئة من أجل مواقع على الرف حيث تباع السلع بشكل أفضل. مثل تلك التى توافر مستوى النقل، أو تلك التى تقع في منتصف أرفقة السوبر ماركت، وعلى الموردين أن يدفعوا رسوماً خاصة للسوبر ماركت إذا أرادوا أن تعرض بضاعتهم في هذه المواقع البارزة.

قلة المنتج الحلى

قامت جمعية اصطفاء الأرض البريطانية بفحص أرفف متاجر السوبر ماركت في أوج موسم التفاح في بريطانيا عام ٢٠٠٢، وقد وجدت أن أكثر من نصف كمية التفاح المعروضة للبيع واردة من الخارج. الاستنتاج الوحيد كان لدى ماركس أند سبنسر، حيث كانت نسبة تقشير ٥٠٪ حصى من التفاح البريطانى.

ضمان إرجاع السلعة

إذا لم يرض العميل من البضاعة التى قام بشرائها فمن حقه إرجاع السلعة. ولكن من يدفع الفاتورة؟ إن المورد هو من يقوم بدفعها مع فاتورة إضافية لإصلاح هذا المنتج. حينما يستعيد المستهلك أمواله، فإن المنتج يصبح ما يطلق عليه «مرتجع للمصنع». لقد أفضت أسداه للجنة المناهضة في عام ٢٠٠٠ بأنها ألزمت مورديها بدفع ٤٠ جنيه استرلينياً لتغطية تكاليف التعامل مع أى شكوى مقدمة من مستهلك ما في أحد فروع

هوامش الريح الكبيرة

وهي مرادف لأرباح تجار التجزئة في المملكة المتحدة بالنسبة للمنتجات الغذائية وتعد أعلى من مثيلتها على مستوى القارة الأوروبية. وفي مقارنة مفصلة قامت بها لجنة المنافسة في عام ١٩٩٩، وجدت أن تجار التجزئة في المملكة المتحدة قد حققوا أرباحاً تصل إلى ٢٧.٩٪ في مقابل ٢٢.٩٪ نظرائهم خارج المملكة. وفي العام ذاته كانت أسعار الفاكهة في المملكة المتحدة أعلى بنسبة تتراوح ما بين ١٢. ٢٦٪ في مقابل أسعارها في فرنسا، ألمانيا، وهولندا.

سوبرماركت

ذاتى الخدمة

بدأت ذاتية الخدمة في الظهور في المملكة المتحدة منذ الخمسينيات من القرن الماضي فصاعداً، وحرماً على أن ينظر إليها بشكل عصري بالمقارنة بمحال البقالة التقليدية، لجأ سيسنبري في عام ١٩٩٣ إلى مصمم أزياء هاردي أميز لعمل بروتات لسون أرنوك فلتسج للمصاحبات العاملات بالتجزئة واللاتي يطلق عليهن فتيات الجوندولا، والجوندولا هي العربة الخاصة بحمل المشتريات داخل المتجر.

الخدمات الإضافية

وهي استراتيجية لتجلب إليها محلات السوبر ماركت لجذب المزيد من العملاء من المتاجر الأخرى والمحال الصغيرة، وهي عادة خدمات لا تتعلق بالخدمة الغذائية، مثل التأمين على الحيوانات الأليفة، الرهن العقاري، أجنحة خاصة بالترفيه، خدمات الإنترنت، الصيدليات، خدمات خاصة لقياس ضغط الدم والسكر، مراكز لطبع وتحميض الأطفال، بيع الذهب، نظارات طبية، وخدمات التجميل.

الأهلى والزمالك

حسن السكاوى

نفس الأمر يتكرر في الكويت، وإن كان كاتمة والقادسية يمتلآن الأهلى والزمالك، ودخل بينهما فريق السالمية. أما في البحرين، فالقائمة تكون بين الرفاع الغربي والمحرق.



والقطبية الرياضية، أو ظاهرة الأهلى والزمالك موجودة أيضاً في اليمن، وتعتبر القطبية لمزمل عبد الله الصغفاني الذي كتب مقالاً في جريدة الرياضية السعودية قال فيه، «من الواضح أن القطبية في عالمنا تحولت إلى مشكلة تنعكس ظلالها على كل شيء، فكلنا يعرف كيف يصير يهتز الشارع الرياضي في مصر، وتتهب البيوت العربية انشغلت بالقطبية، وبظاهرة التنافس التقليدي بين الفريقين في كل مدينة، وعندما في اليمن لتهب الأجواء بين الوحدة والأهلى، وكلاهما من فرق العاصمة، وعندما يلعبان مباراة ضمن الدوري الممتاز تبرز المناوئين والتحليلات التي تقول أن المباراة تساوي بطولة بذاتها، وأن التقليدية في اللقاء تتطلب حكماً على مستوى عال، ورياسة الحادية على درجة عالية، ومتابعة أمنية مركزة، ولا يبقى إلا المطالبة بتوعية خاصة من الجمهور مع تحديد أسماء إعلامية متميزة للقيام بواجب القطبية الصحفية، ومثل هذا الوضع يتكرر عندما تلتقي أندية مثل الهلال والوحدة في عدن، قبل سقوط الأخير، وأيضاً الجبل والأهلى في الجديدة قبل سقوط الأول».

ونترك اليمن.. إلى العراق، حيث يعتبر الزوراء والشرطة مثل الأهلى والزمالك، وفي سلطنة عمان هناك النصر والحروية، وفي الإمارات العين والشارقة أو الوصل، وفي تونس الصراع والقطبية والخصومة بين الترجي والأفريقي، وفي مصر أيضاً، ومثل هذا الوضع يتكرر عندما تلتقي أندية مثل الهلال والوحدة في عدن، قبل سقوط الأخير، وأيضاً الجبل والأهلى في الجديدة قبل سقوط الأول».

العدد الرابع والخمسون، يوليو ٢٠٠٢ م

والأهلى.. وفي المنطقة الشرقية الاتفاق والشباب، وعن طيبة وشدة المنافسة بين الهلال والنصر رويت لي هذه الرواية، «عندما قرر نادي النصر إنشاء مسجد في مقره، واجهت إدارة النادي مشكلة، وهي كيف يوضع الهلال على رأس منطقة المسجد؟.. وكان الحل أن يستبدل هلال المنذنة بلطف الجلالة الله، وقد وجد النصارويون أنه من الصعب أن يكون هناك أي هلال من أي نوع داخل مقر النادي».

ويضيف صاحب هذه الرواية، «أن الأمير عبدالله بن سعد، رحمه الله، والرئيس الأسبق لنادي الهلال، رفض إنشاء إقامته في الولايات المتحدة الأمريكية، استخدام لوحات معدنية لسيارته في الولاية التي يقبع بها، لأن لوحات بلوئي النصر: الأزرق والأصفر، وقد تعرض لدفع غرامات ومخالفات مالية بسبب ذلك».

وظاهرة الأهلى والزمالك موجودة في الأردن بين الوحدات والخصمى، وكثير من المشاكل تحدث في لقاءات الفريقين، وترجع جذور الخصومة بين الوحدات والخصمى إلى أسباب اجتماعية وسياسية، إلا أن الوحدات يمثل في الأصل مخيماً فلسطينياً، والخصمى يمثل الجندور الأردني».

لكن قد تختلف أسباب الخصومة في بلد آخر مثل قطر، وهي بين السد والريان، والأول هو النادي الذي ينتمى إليه النخبة من الشيوخ والأسرة الحاكمة وكبار رجال الدولة، والثاني يعتبر نادياً شعبياً. وفي سوريا كانت المنافسة حتى وقت قريب بين فريق الجيش والشرطة، وأن يكون التنافس بين هذين الفريقين مثالاً لما بين الأهلى والزمالك، فلا غرابة في ذلك».

والزمالك.. محاربة والله... وكانت مصر في ذلك الوقت تبدو وكأنها تعيش هذه الحيرة، فجماهير كرة القدم منقسمة بين التأييد، ونجوم ومشاهير المجتمع في الصم والادب والسياسة والصحافة. حائزون بين الاثنين.. الأهلى والزمالك.. وأصبحت هذه الأغنية تشيخاً كروياً يعزف كلما وقعت مواجهة بين الفريقين! وفي يوم من أيام الستينيات كان أبي عجب المستكاوى، رحمه الله، عائداً إلى المنزل في العادي بسيارة تاكسي، وعندما عرفه السائق، التفت إليه وسأله: أنت أهلاوى يا كاتين؟

فقال أبي: لا.

عاد السائق وقال: أكيد أنت

مركاوى؟

فقال أبي: لا.

وهنا أوقف السائق السيارة واستدار وقال متعجباً: «أياه يا كاتين.. حضرتك خوزجة منى من البلد ده؟»

وعكس كلام السائق حالة الشارع الكروى المصرى، فكل من لا ينتمى إلي الأهلى أو الزمالك يعتبر غريباً وأجنبياً عن مصر!

النصر السعودى

يستبدل هلال المنذنة

يلفخ الجلالة

والأهلى والزمالك ظاهرة عربية وعالمية، وقد تلاوت حديثاً من بلد إلى بلد، ومن مدينة إلى مدينة، ففي السعودية هناك النصر والهلال، وهما كبيرتا العاصمة الرياض، لكن في جدة نجد منافسة تقليدية بين الاتحاد

■ يقول أساتذة الدراما: «إن مفتاح الدراما القوية التي تشد أنظار المتفرجين وتحبس أنفاسهم، هي التي يتخاضم فيها طرفان على مستوى واحد من القوة ووجود أي طرف ثالث يشتت انتباه السائح».

ومنذ قرابة المائة عام تعيش كرة القدم المصرية والعربية ظاهرة الأهلى والزمالك، التي تشد أنظار المتفرجين وتحبس أنفاسهم، كلما التقيا في مباراة.. وكان يقال إن القاهرة ترتجف في مباريات القمة، وأن الأمن يستريح بانتهاء اللقاء بالتعادل حتى لا يغضب أحد الجمهوريين، وهى في جميع الأحوال بطولية خاصة بحسب فيها كل مستمرر عدد مرات فوز، وعدد الأهداف التي سجلها، وتشهد بعض المباريات الزمات عنيفة، وتشهد مباريات أخرى انتصارات مدوية لطرف على طرف فتعطي القاهرة مظهرها فح صاخبة. وقد تداول المصريون هذه النكتة في السبعينيات وهي أن خرتشوف رئيس الوزراء السوفيتي كان في زيارة للعاصمة، وتصادف أن انتهت مباراة بين الفريقين الكبيرين بفوز الأهلى، فانتشرت جماسيره رافعة الرايات والأعلام الحمراء في الشرفات والميادين والشرفات، فألقى خرتشوف نظرة فاصمة لتأنيب انبساطه وقال لمراقبيه: لم أكن أعرف أن الشعب المصرى سعيد بزيارتي لهذه الدرجة. فهيل له: السيد رئيس الوزراء.. الشعب المصرى سعيد بفوز الأهلى على الزمالك!



ومثل الدراما المحبوبة، تتصاعد الأحداث، وتوتر الأعصاب عندما يشتد الصراع وتكون كمتا الطرفين متساويتين في القوة، وأعتقد أن فترة الستينيات من القرن العشرين شهدت أقصى درجات المنافسة والصراع بين الأهلى والزمالك لأسياب رياضية واجتماعية وسياسية عديدة. وقد جسد الفن هذه الصورة عندما ترملت الفنانة صباح، وترنم معها ملوك المصريين بأغنية: «بين الأهلى

الناديين في الدول العربية وريادتهما، فلم تعرف الكثير من دول المنطقة - لاسيما الخليج - كرة القدم على المستوى التنافسي بينما كانت المنافسة على أندية بين الأهلي والزمالك في الستينيات فجدبت أنظار الملايين من الشرق والغرب العربي! والعالم أيضاً فيه ظاهرة القطبية أو برشوتة وريال مدريد في إسبانيا، وماشيستر يونايتد ومانشستر سيتي، ويوفنتوس وميلان في إيطاليا وإياكس وأيندهوف في هولندا، ويانغينغ في الصين وأولمبياكوس باليونان، ومرسيليا وموناكو بفرنسا، رسلتيك وإيرلندا، باسكتلندا، وسوايلو وسانتوس بالبرازيل، ريفرليت و بوكاجوريز بالأرجنتين، وباير ميونيخ هامبورج في ألمانيا.



ولكن قاعدة المنافسة في معظم دول العالم متسعة، إذ تظهر بين الحين والحين الفرق الشابة الجديدة التي تنافس الفرق الكبيرة على البطولات، وليس كما هو الحال في مصر، السباق دائما بين الأهلي والزمالك، من كرة القدم إلى تنس الطاولة، باستثناء فترات نادرة ولعبات محدودة ظهر فيها الأولمبي أو الإسماعيلي والشرطة، ويكفي أن الأهلي فاز بالدوري ٢٩ مرة والزمالك ١٠ مرات مقابل ثلاث مرات الأولمبي وغزل الحلة والشرطة الأولمبي وغزل الحلة والشرطة والمقاولون! وفي العترة التي تلت الثور، تحولت ظاهرة الأهلي والزمالك وزادت حدتها، وتخطت حدود الرياضة، كما قال الكاتب اللبناني سليم الحلواني مؤسس مجلة الحوادث، إن الأهلي والزمالك هما الحزبان الوحيدان في الوطن العربي. وفي نفس امر كتبه د. يوسف إريس في واحدة من مقالاته السياسية إذ قال: إن الأهلي والزمالك هما الحزبان السياسيان الوحيدان في مصر! وفي يوم من الأيام كتب الأديب الدكتور حسين هوري الذي اشتهر بلقب السنجداد



رسالة دكتوراه في

السوريون عنوانها،

الأنديية فكرة

سياسية إطارها رياضي!

ويؤكد الباحث محمد سالم منصور الذي أعد رسالة دكتوراه في جامعة السوربون عن موضوع: «الأنديية فكرة سياسية إطارها رياضي وعنوانها وطني: بأن سر التقاف الجماهير العربية حول الأهلي هو نشأته الوطنية، وأن الزمالك خسر بسبب نشأته الأجنبية في السنوات الأولى من عمره، وعوضها بدءاً من مرحلة الستينيات! وهناك توزيع شبه مصروف لجماهيرية الأهلي والزمالك في الدول العربية، فالسعودية والكويت وقطر والمملكة والأردن والمغرب والإمارات يشجعون الزمالك، وفي سوريا وتونس ولبنان والبحرين والعراق والجزائر وليبيا يشجعون الأهلي. ومن أهم أسباب شعبية

بيت هينا روح العروبة التي حاول الاستعمار الفرنسي قتلها، بالضغط كما كانت أم كلثوم هي الوسيطة الوحيدة التي كنا نعلم أولادنا منها النطق الصحيح للكلمات الفصحى العربية بعدما فرض علينا المستعمر نسيانها.

وقال محمد بن قاسم المزواوي أحمد الحسيني لنادي مولودية الجزائر: الأهلي والزمالك وراء تأسيس الأنديية الجزائرية يشكلها المصري مثلنا مثل كل البلاد العربية الأخرى.

وفي البلدين الشقيقتين كانت كرة القدم شأن العديد من الدول العربية ما زالت اللعبة في مهدها. وتشهد مرحلة عريقة تعود إلى مطلع القرن العشرين. وفي فترة الستينيات كانت مصر قبلة الحضارة والثورة والسياسة والفن والرياضة في الشرق برئيسها جمال عبد الناصر وموسيقارها محمد عبد الوهاب ولأعبيها صالح سليم.

الحرب تكون القمة بين الجيش الملكي وطبعا أنت تعرف الموقف في جنوب الوادي، في السودان فهناك أهلى وزمالك فعلا، أو الهلال والريخ، ويعتبر الهلال هو أهلى السودان، أما المريخ فهو زمالك السودان. وفي لبنان يعتبر فريقاً الأنصار والنجمة الإخوة الأصدقاء وهما أهل القمة هناك. ومثل الكثير من مباريات القمة في الوطن العربي، تشهد مباراة الأنصار والنجمة ترتيبات أمنية خاصة بسبب شدة التنافس.



ولذا كان الأهلي والزمالك ظاهرة مصرية وعربية من جهة التنافس والخصومة، فإن للناديين الكبيرين جماهير عريضة في الدول العربية، وقد قال محمد بن جالون مؤسس نادي الوداد المغربي: كانت لقاءات الأهلي والزمالك بالنسبة لنا منشورا وطنيا



حدة التعصب للأهلى والممالك
زادت بصورة واضحة بعد قيام ثورة
يوليو، حيث بدأت الجماهير تتعزب
إلى النوادي بعد إلغاء الأحزاب
وظهور فراغ سياسي



الثالث في عام ١٩٢٠ تقيا ملكيا إلى
ريال مدريد فسر ذلك في مقاطعة
الكاتالونيا على أنه تحيز إلى ريال مدريد
كما استمر ذلك في أيام حكم الجنرال
فرانكو الذي استغل الشعبية العريضة
للنادي في الصياغة لحكمه. وكانت
مقاطعة برشلونة خلال الحرب الأهلية
الأسبانية في الفترة من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩
معارضة لحكم فرانكو واستخدم سكان
برشلونة اللغة الكاتالونية خلال مباريات
الفرق في نوكامب للتعبير عن هذه
المعارضة.

وأحياناً أخرى تكون الخصومة بين فريقين من شعب واحد لأسباب دينية، ففي عام ١٩٤٨م، بين أولئك الشماليين أربعة بين فريق بلغامست سينليك الذي الأغلبية الكاثوليكية وفريق أولئك الذين تشجعوا أغلبية البروتستانتية. وقع شعب ديتي وسقط الجرحى، ولفس الأمر في سكتلندا بين سينليك الكاثوليكي والبروتستانت، وكان تكون المناهضة والمؤمنين بين أولئك الذين هم من الأغلبية والذين هم من الأقلية في مدينة واحدة مثل ميلان في إيطاليا أو مانشستر في إنجلترا، هناك مناهضة بين فريقى المدينة الواحدة. مانشستر هذه المناهضة ليست بين الشعب السامية أو الذين أو صراع العنصر والفرق أو السلطة كما هو الحال في العديد من المجتمات بين أندية أخرى، ولكنها مناهضة المنحصرات الاجتماعية أو طبقة مثال كيانة الحديد التي يمشها. مانشستر يونية طبقة الموظفين التي يمشها مانشستر سيتي.

قصة تأسيس النادييين..

وحسين بك حجازى

من الباب المكشوف

بين الأهل والزمالك:

وقد كانت قصة تأسيس الأهلي
والتمالك من أسباب الخصومة الأهلية
بين النابليين وجماهيرها في مصر
والوطن العربي، وفي مطلع القرن
الشرين كانت مصر تعاني من الاحتلال
البريطاني وكانت تحت حكم الخديوي
عباس الثاني الذي اتبع الفكر اللبني
لتوقيف، وكان عدد سكان مصر ١١ مليونا،
وعدد كامل القاطن من ٧٠٠ ألف مواطن
مصطنعي كامل يتقود الحركة الوطنية
المصرية، ورغم أن القاهرة كانت عاصمة
النش في الشرق، فلم تكن مصر تعرف
السينما في مطلع هذا القرن، ولا تعرف
الإذاعة، ولا تعرف الطائرة، ولا تعرف

وأحياناً أخرى على الرغم منه، فهو يستمر إلى أسرة ثم مدرسة ثم عمل ثم أسرة جديدة، وهو متمسك إلى وطن على نفاقية وإلى ذاك. وجهود التكريش يتسبب في إبداع الاتحاد ويوجد مجالاً في التسجيع إلى ذم معين والتوصس له. وعندما يخطئ وينادي بوضعيته ويصرح بمشاكله لا يتصمما شخصيته، بل يبادر بالتصامير، لأنه يشعر بأنه التصار له هو في النهاية. وما لافك فيه إلا نجاح ذم في كسب بطولات متتالية هو أكبر حافز لاجتهاد الكرة على الانتماء إليه، فاشيع في هذه الحالة بعض عناكب نفسية ترويه، ثم يأتي بعد ذلك علم مهم الترويه، الذي يخلو أو ذاك وهو حجم الجمهور الذي يشجعه. فإن المزيد يوجب المزيد، وتماد الانتماء هو الهدف الأول من

القرن العشرين .
ويؤكد الأطباء النفسيون أن مشاهدة مباريات الكرة لها هدف، فهي عملية إثارة للتوتر وربما تصريح له. وهذا يكون مفيداً إذا كان في حدود معينة. لأن الإنسان في حاجة دائماً إلى التمرد على القيود وإلى التصرف الانفعالي المنطلي.



والصراع بين النافذين بختصر
تاريخاً طويلاً من الحكايات الرياضية
والاجتماعية والسياسية، فليست مباراة
الأعلى والأزمالك مجرد معركة بين ١٢
لاعباً يركلون بالونة موشوخة، ولا يمكن
التعامل مع كرة القدم على أنها مجرد
لعبة رياضية، لأن تاريخ الأندية في
العالم يرتبط بصورة ما بصراعات
سياسية واجتماعية ومثنية أيضاً. فقل
سبيل المثال عندما مدّني الملك الفونسيو

وإنما هي شيء صنعته الجمهور ليتمتع
بنفسه. وصاحبها ليس العاصيون، وإنما
المتبرجون. وهؤلاء المتبرجون لا يعلون
أصلاً، ولكنهم يفتخرون لكي يعلب الأهل
والزما لك وهم جالسون، ولكي يتباهوا لهم
بمناسبة سانخة يفتخون فيها. ومن أن
يتحروا، وفرصة يمايز بينهم بعضهم
البعضي بانتمسار لم يتشاركوا فيه،
ومناسبة يعيشون بعدها أسابيع وربما
شهوراً يتجادلون فيها حول أهداف
يتسجلوها، وأن خطاهم الحكماء ظلماً
ضدهم وهم في الخطأ.

مهرجان سئوى من صنع المتفرجين،
هم الدين يستمتعون به، وهم الذين
يتخارون القسطنطينية المتصارعين فيه،
وسعى إلى دفع أعباء اختيار المتفرجين على
قسطنطين غير الأهل والزمارك، وليس
أحد أن يعترض على اختيارها ما داموا
هم الذين يصفون، وما داموا يخرجون في
النهاية الحياء.

وينتهي هذا المقال الذى كتبه الأستاذ
صلاح حافظ في تقييم ظاهرة الأهل
والزمارك.



ومند قرابة ٣٠ سنة، تمت أنظار علماء النفس والاجتماع سلوك واحد التكررة، وأعصاب جامعيير الكثرة، وقادر تركة علماء النفس في مصر عام ١٩٧٠ إلى أن كره القدم متنفس حقيقي لشاعر الناس وانفصالاتهم، وهذا التكررة قد يأخذ صورة حية، وقد يأخذ الكفسي

ووصف المذكور يحسب الرخاوى

تضجيع النفس للكررة بأنه كائنات غير

الانتماء ومظهر له، فالإنسان لا يغير عن

نفسه إلى أشياء معينة أحياناً بإرادته

المصري كتب في الأهرام: «إن جمهور الكرة عموماً ظاهرة اجتماعية. وإن موت الأحزاب عندنا وحاجة الناس إلى شيء يتحيزون له وراء ظاهرة كرة القدم في مصر».

والواقع أن حدة التصعب لاهلبي
والزمالك رابت بصورة واضحة بعد قيام
ثورة يوليو، حيث نادت الجماهير بتحزيب
الانانيين بعد إلغاء الأحزاب وظهور
فراغ سياسي، وكانت الأحزاب قبل
الثورة - لها وجودها المؤثر في الشارع
خاصة ان قضية الاحتلال والاستقلال
كانت مطروحة، وكانت مقاومة الانجليز.
قضية الحركة الوطنية المصرية الصرية الأولى
منذ مطلع القرن العشرين.

والأول والحياة والحريّة، وإليها أيضاً درس
في تحصيل الانتماء، وإليها أيضاً في
الانتماء هو العصب، وقد كتب ثلاث مرة
الصحفي الكبير صلاح حافظ عن
الأهلي والتمالك قال: جلاء الكثرة في
مصر وفي خارج مصر تهيئ دائماً إلى
انقراض المنافسة بين قطيعي، وتؤكد أن
تكون بين أطراف متعددة، وتعيش هذه
حقيقة مصرية وإنما عالمية. في جميع
صورها. لا يلعب إلا الإشارة إلى عندما
يكون بين طرفين.

واسألو الذين ينظّمون مباريات
الأمم أو الصراعة أو التنس ويرتفعون
منها، فهم يقولون صراحة إن سر هذه
المباريات وسبب اجتذابها يكمن في أنها
تجرب بين طرفين لا أي طرف متعددة،
وقد رأينا الدعاية التي تطلق في عبارة
ملائمة لروحها وجدانها تنص على
تأكيد قوة كل الطرفين، وعلى نشر
ما يقول كل منهما على الآخر، وعلى
تأكيد كل طرف أنه هو الذي سيهزم

ووضيبت الأستاذة صلاح حافظه
وعتادوا السبب في إصرار الحجة
الهمري على أن يكون له في عالم العرب
غير قطبين، (أهل ورمال) يبرز نجم
جديد، كألساعصي وسوق الكاميرا
الهدى، ويظهر المثلون مرة كأنه هو
ويخفف الحلة كأنه حرير، ويتدهور
أهل أحياء وأهالي سبجدى لتسجيل
الهدى، ويتدهور الزملاك أحياءاً ثكن
يكاد يستحق (معاش السادات) لكن
الجماهير ترفض أن تعترف بغيره، لها
قبيها، لكن حينها سبب متتها
وإصراره على أن تنزع على الصراع بين
قطبين لا تنزع لها ثكن لا حرم نفسها
الاستاذة بغيره سافحه

ودراما الأهل والأولاد من صنع الجمهور. لا من صنع الناديين، والأهمية الخارقة التي تتمتع بها مباريات الضيقين ليس لها سبب رياضي مقنع،



كان عزيز عزت باشا أول رئيس مصري لنادى الأهلى بدءاً من ١٩٠٨ حتى ١٩١٦، أما الرئيس الأول للزمالك فهو البلجيكي مريخا، أما أول رئيس مصري لنادى الزمالك فهو حيدر باشا وتولى المهمة عام ١٩٢٣



أحمر هاتى بحروف بيضاء. وكان شعار النادي مزينا بآيات الملك. وهو رمز الحكم فى الطرف الأعلى. وفى الطرف الأسفل كتب اسم الأهلى. وفى الوسط الترس الحلق. أما الزمالك فقد اختار اللون الأبيض. لأنه لون السلام. وكانت الصالات لها بقعة حمراء فى البداية. واستبدلت بخطين أحمرين على الصدر باعتبار اللون الأحمر يرمز إلى الكفاح فى سبيل النصر. أما شعار النادي فهو عبارة عن راسى السهم فى زى فرعونى. وعلى العنبر فى اختيار هذا الشعار هو أن راسى السهم كالنادى تماماً كالأهلى له هدف. والذى المرعوى مستمد من المنطقة. أو من محافظة الجيزة. التى تحتضن أعظم أثر فى العالم. وهو أهرامات الجيزة العجيبة الوحيدة الباقية من عجائب الدنيا السبع القديمة.

تلك باختصار شديد. نبذة عن بداية الأهلى. والزمالك. ولون كل فريق وشعاره. ولكن ماذا عن فريقى كرة القدم فى الناديين. ومشى التقيا لأول مرة؟ وكيف ولدت الخصومة بينهما؟



تأسس فريق لكرة القدم فى النادي الأهلى عام ١٩٠٩. وتأسس أول فريق لكرة القدم فى نادى الزمالك عام ١٩١٣. ولكن أول لقاء بين الفريقين كان بدياً. وذلك يوم ٩ فبراير عام ١٩١٧ وفاز الأهلى ١/٠. وفى ٢ مارس من نفس العام لعب الفريقان مباراة على أرض الأهلى بالجيزة وفاز الزمالك ١/٠. صفر وهدف. ذلك الوقت التقى الفريقان عشرات المرات فى الدورى والكأس. وحتى فى بطولة كأس السوبر الأفريقية. وفى حين مصر يوشح.

كانت المباريات الساخنة بين الفريقين من أسباب ترسيخ الخصومة التى بدأت فى الواقع عام ١٩١٤. وفى ذلك العام عاد حسين حجازى إلى مصر بعد أن لعب لنادى فوهام الإنجليزي الذى يملكه الآن رجل الأعمال المصرى الشهير القحيم فى إنجلترا محمد الفايذ. وقد لعب حجازى محترفاً فى وثل منتخب جامعة كمبريدج - حيث كان يدرس. فى بطولة الجامعات الدولية. وكان حجازى قد اشهر كلاعب وهو طالب فى المدرسة السعيدية قبل السفر إلى إنجلترا.

اهم عاد حجازى إلى مصر عام ١٩١٤ وتم بشأن أن ينضم إلى أى نادى. وإنما عمل فريقاً خاصاً به عام ١٩١٥ أطلق عليه اسم حجازى (السن). إلى حجازى (١١) وأخذ يتحدث به الفرق الإنجليزية. وحدث أن تكونت فرقة من

الأول الجليزي. ويدهى ميتشل أنس. ويعمل مستشاراً فى وزارة المالية. وقد استقال من رئاسة الأهلى عام ١٩٠٨ بعد تعيينه سفيراً ببلاده. وفى واشنطن. وكان عزيز عزت باشا أول رئيس مصرى لنادى الأهلى بدءاً من ١٩٠٨ حتى فبراير ١٩١٦. لكن أهم رئيس فى تاريخ الأهلى هو أحمد عبد باشا. رجل الاقتصاد الذى أضحى قرابة ١٥ عاماً فى منصبه وقدم خلال تلك الفترة ٤٠ ألف جنيه من ماله الخاص لتمويل مشروعات النادي. وقد عهد أنشء حمام السباحة والمطعم الرئيسى لكرة القدم كما رسم خريطة مقر النادي بالجيزة أما الرئيس الأول للزمالك فهو بطبيعة الحال البلجيكي مريخا. والرئيس الثانى كان فرنسياً ويدهى ييانكى. أما أول رئيس مصرى لنادى الزمالك فهو حيدر باشا وتولى المهمة عام ١٩٢٣ وظل لمدة ٢٣ عاماً رئيساً لنادى الحكم مناصبه كورير للحرية من مصادر قوة الزمالك. وهو قائد الحركة الوطنية المكثفة لنادى فى سنواته الأولى. ويدهى وأبرز رؤساء الزمالك على مدى تاريخه.

جذور التوازن

الأهلى والزمالك

وقد استمد الأهلى لون فاناته الحمراء من لون علم مصر. وقد كان هو العلم العثمانى فى فترة حكم الخديو عباس حلمى الثانى. الذى يتوسطه الهلال وفى قلب الهلال نجمة. وكانت ألوان الفانات حمراء مقلمة طويلاً باللون الأبيض. ثم تحولت إلى فانات نصفها أحمر ونصفها أبيض. ثم إلى فانات لونها

ثكنات الإنجليز. ولأن المساحة كانت محدودة وضيقه ومريخا يسعى لتطوير النادي. فقد قرر نقل النادي إلى مكان آخر. وحصل بالتصالحات وعلاقاته على مساحة كبيرة من الأرضى تشتهل الآن مباني دار القضاء المحلى المخططة على شارع رئيسى ٣٦ ويوليو ومنها مينيها نقابتي الحاميين والصحفيين. وانتقل النادي إلى المكان الجديد وتغير اسمه إلى نادى (المختلط) نسبة إلى اسم الحاكم المختلط. وكانت هذه الحاكم نوعاً من القضاء الخاص أنشاء الانجليز فى مصر للنظر والفصل فى المنازعات القضائية المدنية والجنائية بين الأجانب المقيمين فى مصر. ويضمهم البعض من ناحية. وبين هؤلاء الأجانب والمصريين من ناحية أخرى. وأصبح الاسم (المختلط) فى عام ١٩١٣. ثم تحول إلى فاروق عام ١٩٤٤. ولم يكن السبب فى تغير هذا الاسم (مكان جديد). طبعاً. إنما مبرارة تأتي فيها الزمالك وهزم الأهلى ٦/٠ صفر وجرت بميلب اتحاد القوات المسلحة بالقية. وكان يحضرها الملك فاروق. ومن فرط إعجاب الملك بأداء الزمالك فقد قرر أن يسميه نادى فاروق. هذا علماً بأن ملعب النادي الأهلى بالجزيرة يدهى الاسم (المختلط) يسمى ملعب فاروق أيضاً. المهم أن التغيير الأخير الذى طرأ على اسم الزمالك كان بعد ثورة يوليو ١٩٥٢. ومازال الاسم قائماً حتى الآن. ولاشك أن النشأة الأجنبية للزمالك أثرت على تقسيم المنافسة بين الناديين الكبريين على أنها صراع بين الوطنية والاستعمار. واستمر الأهلى. بصوتاً من هذا التصور. وعزز لجلب المزيد من الألمان من خلال أنه الإعلامية القوية فى مصر والوطن العربى.

وتعود إلى الأهلى. فقد كان رئيسه

التكرف. ولكنها عرفت الأندية الرياضية. ففى عام ١٩٠٣ تأسس نادى هوكل يولاف (السكة الحديد). ونادى النجمة الحمراء الذى أصبح نادى الموظفين ثم الأولمبيى السكندري وتأسس عام ١٩٠٥. وعدة أندية أخرى انتشرت فى العاصمة وفى مدن القضاء. وكانت كل هذه الأندية للحايات الأجنبية ولوظيفة بعض الهيئات. وكبار رجال الدولة.



وتأسس النادي الأهلى فى أبريل عام ١٩٠٧. تحت اسم (النادى الأهلى للألعاب الرياضية) وكانت عضويته موجهة أصلاً لطلبة المدارس العلمى. وهم وقود الحركة الوطنية التى كان يقودها مصطفى كامل فى مطلع القرن العشرين. والواقع أن الكثرين اختلط عليهم الأمر بشأن الاسم الذى تأسس به الأهلى. فقبل إنه (منتدى طلبة المدارس العلمى). وسبب هذا الخلط أن الهدف من تأسيس الأهلى فى مطلع القرن كان جعله المنتدى الذى يلتقى فيه طلبة المدارس العلمى. حسب ما جاء فى رواية عبد الخالق ثروت باشا رئيس الأهلى فى جمعيته العمومية التى عقدت يوم ٦ فبراير عام ١٩١٩. وقد تغير اسم الأهلى فيما بعد. وتحديداً فى عام ١٩٠٨ واختير اسم: (النادى الأهلى للرياضة البدنية) لال الرياضة البدنية. أم وأشمل من عبارة الألعاب الرياضية. وكان ذلك بإقتراح من أمين سامى باشا عضو مجلس إدارة الأهلى فى ذلك الوقت. ومازال الأهلى يتحدث بهذا الاسم.

وكان عمر لطفى بك هو صاحب فكرة إنشاء الأهلى. وكان محاسباً وصديقاً لتزليم مصطفى كامل. ورئيساً لنادى طلبة المدارس العلمى الذى تأسس عام ١٩٠٥.

وبعد ٩ سنوات عام ١٩١١ تأسس نادى الزمالك. تحت اسم (نادى قصر النيل) وتميز اسمه ثلاث مرات. ففى البداية حين أسسه المستشار القضائى البلجيكي مريخا. الذى كان رئيساً لإحدى الحكام المختلط كان الاسم هو نادى قصر النيل. بسبب موقعه. فقد اختارت مجموعة من اللاعبين وهم من البلجيكي. والألمان ضفة نهر النيل فى مواجهة نادى الجزيرة. وكان بجوار مقر النادي واحد من أكبر معسكرات الاحتلال البريطانى فى الشرق الأوسط وأفريقيا واسمه (ثكنات قصر النيل). ومكانة هذا النول فشكل هيلتون النيل بجامعة النيل العربية. وقد اختار مريخا الاسم الأول نادى قصر النيل. بسبب وجود بجوار



وضع حسين حجازي بذرة التنافس والخصومة التقليدية بين الأهلي والزمالك، لكن هذا التنافس وهذه الخصومة أخذتا يتنامون تدريجيا



ان اتحاد الكرة قرر في عام ١٩٥٧ تطبيق لائحة جديدة، وتطبيقها أصبح محمرا على اللاعبة الانتقال من ناد إلى آخر إلا بموافقة ناديه الأصلي وحصوله على استفتاء منه، وحدد الاتحاد نفس العام تشييد آخر موسم انتقالات في تاريخ الكرة المصرية، قبل تطبيق الاحتراف في مطلع التسعينيات، وشهد عام ١٩٥٧ حركة انتقالات واسعة بين لاعبي الأندية، وفشلت محاولات الزمالك في ضم عادل هيكل حارس مرمى الأهلي، ونجح الأهلي في خطف ميمي الشربينى وطه إسماعيل قبل ان يفعما في شراك الزمالك، وقام عبده الهشال بكشف النادى الأهلي بإخفاء الشربينى وطه إسماعيل في راس البرلة امسويين بعيدا عن أعين الزمالك حتى تم لهم التوقيع للأهلى .

وفي يوليو عام ١٩٥٧ أجرى الأهلي والزمالك اتفاقا بخصوص اللاعبين وانفق الناديين على ايجال احدهما ضم إلى لاعب من النادى الآخر إلا بعد الحصول على موافقة النادى التابع له بالاستفتاء عنه، وقد تبادل رئيسا الناديين عبود باشا والدكتور محمود شوالى خطابين يتضمنان عدم قبول الضم إلى لاعب من لاعبي الناديين إلى الآخر إلا إذا كان معه تزامن من النادى يتيمه.

لكن هذا الاتفاق لم يستمر، ومضى الناديان يحاولان خبط الوهاب والتجوز من الاندية الأخرى ويتناصفان عليها، وفي سنة ١٩٦٦ حاول الأهلي ان يضم لى لاعب المنصورة، ودخل الزمالك مهنسا له، وقامت الدنيا ولم تقعد في الوسط الكروى، وباتت كالمية في قصة رئيسية في صفحات الرياضة، واستدعى الأمر تدخل طلع خيرى وزير الشباب لإقناع لى بالانضمام للزمالك، إلا ان لى اختار الأهلي:

وكانت تلك قصة أخرى من القصص التى ساهمت في زيادة حدة الخصومة بين الناديين وتكررت بصورة أخرى وبأسماخ أخرى، ولمر قصة رعا عبود باشا فى الأذهان، فقد كان عبد العال نجما من نجوم الزمالك، وفجأة استيقظ شارع الكرة المصرية على خبر يقول ان رعا عبد العال وقع للأهلى، واشتعل الراى العام للعبة وبالأندية التى جرت على الاتحاد، وقام الزمالك بمحاولة جرد لى عن الانضمام لنادى العال للأهلى بالحصول على توقيع التزم حسام حسن وإبراهيم في عام ١٩٩٩، لكن المحاولة لم تنتج الا في عام ٢٠٠٠

الكثيرون يتبعونه، فإذا لعب حجازي للأهلى فهم يشجعون الأهلي، وإذا لعب للزمالك فهم يشجعون الزمالك! هكذا وضع حسين حجازي بذرة التنافس والخصومة التقليدية بين الأهلي والزمالك، لكن هذا التنافس وهذه الخصومة أخذتا يتنامون تدريجيا، وتوافقت متشابهة خاصة بالانتقالات اللاعبين بين الناديين أو بسبب إزمت أو ميازل عاصفة!



في عام ١٩٦٣ كان عبد الكريم صقر طالبا في مدرسة فؤاد الأول الثانوية وتوافق في دورى المدارس، وكان ابن عمه ممدوح مختار مديرا لكرة بالأهلى، فاقنعه بالانضمام للنادى ولم يكن عمره قد تجاوز ١٦ عاما، وبعد سنوات انتقل ممدوح مختار إلى المخطط مديرا للكرة، ولحق به عبد الكريم صقر، وإيماها كان حيدر باشا هو رئيس المخطط ورئيس اتحاد الكرة، وعندما نشبت أزمة بين الأهلي والمخطط بسبب عبد الكريم صقر الذى تسلك به أهلى، قرر حيدر باشا ان يترك الأمر لعبد الكريم صقر ليختار الذى يلعب له فاختار الزمالك. وزادت الخصومة بين الناديين وبين جماهير الناديين بسبب انتقال عبد الكريم صقر من الأهلي للزمالك، وتكررت قصص الكنية بأسماء أخرى، فقد جذب عبد الكريم صقر صديقه محمد الجندى لاعب الأهلي إلى الزمالك، وفي عام ١٩٥١ انتقل بكر حسين وزكى عثمان من الأهلي إلى الزمالك، وكان موسم الاستقالات يسمح بانتقال اللاعب من ناد إلى آخر عقب نهاية كل موسم، غير

مباشرا في فرس مشاعر الغضب والضيق لدى الجمهور الذى كان يبعيه ويشجعه، وفي عام ١٩٦٨ عاد حسين حجازي إلى الزمالك غاضبا من الأهلي الذى أوقفه بسبب واقعة عدم تسليم لاعبي الفريق لبيدليات المركز الثانى من الفريق صادق باشا يحيى الأهلي في مشرب الملك بعد هزيمة الأهلي في نهائى الكأس أمام الترسانة، وعاد حجازي ليحشد شباب الزمالك (المخطط)، حيث كونه فريقا جديدا باسم المخطط الجديد، أسوة بفريق الأهلي الأبيض، وكان دورى منطقة القاهرة يتكون من خمسة اندية تنافس فيما بينها على البطولة، وهى الأهلي والمخطط والسكة الحديد ونادى البوليس والنادى اليونانى.

والواقع ان حسين حجازي ساهم في صناعة شعبية وجماهيرية الأهلي والزمالك، وكان انتقاله من هذا النادى إلى ذاك وراء روح التنافس والتحدى التى ظهرت بينهم، فمع انتقال حسين حجازي من الأهلي إلى الزمالك انتقلت معه جماهير كبيرة، وبقي عدد كبير آخر من الجماهير متمسكا بالانتقال حول الأهلي، ومع انتقال حجازي من الزمالك إلى الأهلي، يحدث نفس الأمر، تذهب خلفه جماهير ويتبقى جماهير متفانية حول الزمالك، وكان الانتقال في حد ذاته يصيب الجمهور الباقى على حب فريقه الأصلي سواء الأهلي أو الزمالك، وبغضب من الفريق الآخر الذى انتقل إليه نجم الكرة المصرية الأول، وكان حب الجماهير والتفافهم حول حسين بك حجازي يرجعان إلى فريق حجازي الإفرنجى، أرضى الغرائز المفترية الكارثة للاستعمار بكثرة ما كان يحققه من انتصارات على الفرق الانجليزية وكان

معنى جنود الاحتلال الدس كانوا يلعبون في اندية إنجلترا قبل تجنيدهم، وأشرف عليهم رجل انجليزى يدعى ستانلى، ويسمى الفريق باسم (ستانلى تيم) وتحدى بمرفق هرة حسين حجازي على رهان قدره عشرة جنيهات، وفار فريق حجازي، فجن جنون ستانلى وصمم على إقامة مباراة ثانية أرفع فيها الرهان إلى ١٨٠ جنيها، وكان هذا المبلغ يعتبر ثروة على ذلك الوقت، وبعد مباراة عنيفة حامية الوطيس، كما يقال، فاز فريق حجازي، وكان هذا الفريق يضم كلا من حسين منصور حراسة الرمى والظهيرين محمد حسين زوية ويوسف وهبة وخط الدفاع عبد الحميد محرم ومحمد جبر وسعيد الهندس وكثرت محمد أباطة أو حسن علومه وعبد الفتاح طاهر ويوسف محمد.. وكان حسين حجازي يلعب بفريقه على الشوارع والميادين والأندية، ومنها النادى الأهلى ونادى السكة الحديد، ولعب بمفرقه في الإسكندرية وطنطا، والمنصورة وأسيوط، ولبنيا.

ومع تألق حسين بك حجازي سعى النادى الأهلى إلى ضمه لضموفه، وانضم حجازي بالفعل للأهلى عام ١٩٦٧ ولحق به مجموعة من فرقته، بينما انضم إلى الزمالك أضى على الفريقين عناصر قوة وتميز وصنع الندية بينهم، ثم مكث حجازي في الأهلى عدة عامين، ثم انتقل إلى الزمالك في عام ١٩٦٩، فاضاع الزمالك أقوى القوى المصرى، وارتدت جودة المنافسة والخصومة، وفي عام ١٩٧٢ أقيمت بطولة كأس الأمير فاروق وفار المختلط (الزمالك)، بالكأس، وفي عام ١٩٧٤ بعد انتقال المختلط إلى مقره الثالث الجديد قرر حجازي ان يترك الفريق لأن لى الجديد لا يوجد به مكان للعب البريد والبلاديون، وانتقل حسين حجازي إلى الأهلى، وعلى مدى سنوات متتالية هبط مستوى فريق كرة القدم في الزمالك لعباب حجازي، وارتفع مستوى فريق الأهلى لوجود حجازي.

وكان حسين حجازي عندما ينتقل من الزمالك إلى الأهلى أو من الأهلي إلى الزمالك يقول محذر صفحة الرياضة في جريدة الأهرام: «دار دوره الفلك، وقد كان الانتقال من أسباب غرس جذور المنافسة والفكره العرا من بين الأهلي والزمالك، فكأنه كما كان بدنا يكون الشعبية والجماهيرية، وكان انتقال حجازي بين الناديين سببا

وطبيعة الحال لم تولد المنافسة التقليدية بين الأهلى والزمالك من بطن الانتقالات فقط، ولكنها زادت بسبب التندية بين العريقين، وصراعهما المستمر على البطولات، ويسبب الأزمات، ومنها أزمة أحسب أنها أضافت الكثير من أسباب الخصومة بين فرعى الأسرة الكروية الكروية!

كان ذلك عام ١٩٤٣ عندما طلب لبقون كاشيشيان المحرر الرياضى فى إحدى الصحف الفلسطينية سفر النادى الأهلى للعب ٣ مباريات ودية خلال الصيف، فأجرى الأهلى اتصالاً باتحاد الكرة للحصول على الموافقة، فرفض الاتحاد، وبدخل فؤاد سراج الدين باشا، وكان عضواً بالأهلى وزيراً للدخالية، ووافق على سفر الفريق إلى فلسطين، وأرسل الموافقة إلى وزارة الشؤون الاجتماعية التى تشرف على الأندية، إلا أن رئيس اتحاد الكرة حيدر باشا ووزير الحرية حصل على هذه الموافقة ومزقها، ويبدو أن الأمر خلافاً بين حيدر باشا وفؤاد باشا، الذى علم بما جرى، فأمر بسفر الفريق واستخرج جوازات سفر للأهلى، وأن يتشكل الفريق تحت مسمى منتخب نجوم القاهرة، وليس فريق الأهلى.

وبالفعل سافر فريق الأهلى إلى فلسطين لحسم جدل حقوق القاهرة، فقرر الاتحاد كرة القدم برئاسة حيدر باشا شطب ١٤ لصبا، وتوقف نشاط اللعبة فى الأهلى لمدة شهر، وعندما جاء موعد كأس الملك تدخل أحمد باشا حسيين لى يعضو الاتحاد من اللاعبين بشرط الاعتذار للملك رسمياً، وفى يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٤٣ اجتمع مجلس إدارة النادى الأهلى فى منزل جعفر ولى باشا رئيس النادى بطبيعة الزئنون، جرت مناقشة موضوع الإيقاف والشطب، وتنازل الحضور مسألة سلطة الاتحاد على الأفراد وحقه فى منعه من اللعب خارج القطر، وانتهى الاجتماع بإقتراح من فكرى أبازة برفع مذكرة إلى الاتحاد كبر القدم بملاحظات المجلس، التى تتلخص فى أن العقوبة وهى الشطب، أبدية، وأن السبب لم يذكر فى إنذار الشطب، وأن اللاعبين لم يحقق معهم، فإذا رأى الاتحاد ألا يؤخذ بوجه نظر المجلس فإن النادى الأهلى مع الأسف الشديد لا يستطيع عملياً أن يدمر بحال إزاء شطب ١٤ من أبرز لاعبيه فريقاً لثقاً لجاريات الموسم، وانتهت هذه الأزمة بعد أن وصلت للذروة بتهديد الأهلى بالانسحاب من اتحاد الكرة، وتدخل فيها القصر وأمر الملك فاروق وزير حريته حيدر باشا بإنهاء المنافسة ولعب الأهلى والزمالك نهائى

كأس الملك وفاز الزمالك ١/ صفر وهى الميزة التى أعجب بنتيجتها الملك ويعدّها تحول اسم الزمالك إلى فاروق، وهذه المشكلة بكل جوانبها، وبالنسبة التى انتهت بها الميزة أثارت جماهير الأهلى ضد الزمالك، قبل اتحاد الكرة إذ تصور جمهور الأهلى أن حيدر باشا رئيس الاتحاد ورئيس الزمالك فى الوقت نفسه لعب دوراً كرئيس للاتحاد لصالح موقعه كرئيس للزمالك، وقد أضفت تلك الأزمة الكثير على جذور الخصومة بين الناديين الكبيرين! وإذا كان السباق بين الناديين على ضم النجوم انعكس على طبيعة المنافسة بينهما، فإن التندية، وهى من قوانين الكون، زادت من حدة المنافسة، والحقيقة أن الجميع تعامل مع الأهلى والزمالك باعتبارهما قوتين متساويتين ومتصادتين والمنافسة بين الفريقين بدأت مبكراً، وقبل بدء بطولة الدورى العام فى ١٩٤٨ إذ كانت هناك كأس السلطان حسين من ١٩١٧ إلى ١٩٣٥ وقد فاز بها الزمالك مرتين عامى ١٩٢١ و ١٩٢٢، أما الأهلى ففاز بها ٢ مرات فى أعوام ١٩٣٣ ١٩٣٥ ١٩٣٦ ١٩٣٧ ١٩٣٨ ١٩٣٩. وفى الفترة من ١٩٢٢ إلى ١٩٣٩ كانت قاعدة الزمالك على بطولة كأس التوفيق المصرية واسعة وتضم عدداً من الأندية، إذ فاز بها الزمالك ٧ مرات مقابل ٤ مرات للزمالك، والمرتين لكل من الاتحاد السكندري والأهلى والترسانة، ومرة واحدة للكرام، وفى الفترة من ١٩٤٠ إلى ١٩٤٧ فاز الأهلى بكأس الأمير فاروق ٤ مرات مقابل ٣ مرات للزمالك.

وانتقل الصراع بين الناديين من إطار الحيلة إلى المسوى الإفرقي، فقد توج الأهلى نادياً للفرق الضعيفين فى إفريقيا واحتل الزمالك المركز الثالث، وسبق الناديين أندية عربية وإفريقية كبيرة، وتعد الفترة من ١٩٨٢ إلى ٢٠٠٣ من أزهى فترات الكرة المصرية فى القاهرة، فقد أحرز الأهلى ٨ بطولات وهى بطولة أبطال الكؤوس أعوام ٨٤ و٨٥ و٨٦ و٨٧ و٨٨ و٨٩ و٩٠ و٩١، و٩٢ و٩٣ و٩٤ و٩٥ و٩٦ و٩٧ و٩٨ و٩٩ و١٠٠، و١٠١ و١٠٢ و١٠٣ و١٠٤ و١٠٥ و١٠٦ و١٠٧ و١٠٨ و١٠٩ و١١٠ و١١١ و١١٢ و١١٣ و١١٤ و١١٥ و١١٦ و١١٧ و١١٨ و١١٩ و١٢٠ و١٢١ و١٢٢ و١٢٣ و١٢٤ و١٢٥ و١٢٦ و١٢٧ و١٢٨ و١٢٩ و١٣٠ و١٣١ و١٣٢ و١٣٣ و١٣٤ و١٣٥ و١٣٦ و١٣٧ و١٣٨ و١٣٩ و١٤٠ و١٤١ و١٤٢ و١٤٣ و١٤٤ و١٤٥ و١٤٦ و١٤٧ و١٤٨ و١٤٩ و١٥٠ و١٥١ و١٥٢ و١٥٣ و١٥٤ و١٥٥ و١٥٦ و١٥٧ و١٥٨ و١٥٩ و١٦٠ و١٦١ و١٦٢ و١٦٣ و١٦٤ و١٦٥ و١٦٦ و١٦٧ و١٦٨ و١٦٩ و١٧٠ و١٧١ و١٧٢ و١٧٣ و١٧٤ و١٧٥ و١٧٦ و١٧٧ و١٧٨ و١٧٩ و١٨٠ و١٨١ و١٨٢ و١٨٣ و١٨٤ و١٨٥ و١٨٦ و١٨٧ و١٨٨ و١٨٩ و١٩٠ و١٩١ و١٩٢ و١٩٣ و١٩٤ و١٩٥ و١٩٦ و١٩٧ و١٩٨ و١٩٩ و٢٠٠ و٢٠١ و٢٠٢ و٢٠٣ و٢٠٤ و٢٠٥ و٢٠٦ و٢٠٧ و٢٠٨ و٢٠٩ و٢١٠ و٢١١ و٢١٢ و٢١٣ و٢١٤ و٢١٥ و٢١٦ و٢١٧ و٢١٨ و٢١٩ و٢٢٠ و٢٢١ و٢٢٢ و٢٢٣ و٢٢٤ و٢٢٥ و٢٢٦ و٢٢٧ و٢٢٨ و٢٢٩ و٢٣٠ و٢٣١ و٢٣٢ و٢٣٣ و٢٣٤ و٢٣٥ و٢٣٦ و٢٣٧ و٢٣٨ و٢٣٩ و٢٤٠ و٢٤١ و٢٤٢ و٢٤٣ و٢٤٤ و٢٤٥ و٢٤٦ و٢٤٧ و٢٤٨ و٢٤٩ و٢٥٠ و٢٥١ و٢٥٢ و٢٥٣ و٢٥٤ و٢٥٥ و٢٥٦ و٢٥٧ و٢٥٨ و٢٥٩ و٢٦٠ و٢٦١ و٢٦٢ و٢٦٣ و٢٦٤ و٢٦٥ و٢٦٦ و٢٦٧ و٢٦٨ و٢٦٩ و٢٧٠ و٢٧١ و٢٧٢ و٢٧٣ و٢٧٤ و٢٧٥ و٢٧٦ و٢٧٧ و٢٧٨ و٢٧٩ و٢٨٠ و٢٨١ و٢٨٢ و٢٨٣ و٢٨٤ و٢٨٥ و٢٨٦ و٢٨٧ و٢٨٨ و٢٨٩ و٢٩٠ و٢٩١ و٢٩٢ و٢٩٣ و٢٩٤ و٢٩٥ و٢٩٦ و٢٩٧ و٢٩٨ و٢٩٩ و٣٠٠ و٣٠١ و٣٠٢ و٣٠٣ و٣٠٤ و٣٠٥ و٣٠٦ و٣٠٧ و٣٠٨ و٣٠٩ و٣١٠ و٣١١ و٣١٢ و٣١٣ و٣١٤ و٣١٥ و٣١٦ و٣١٧ و٣١٨ و٣١٩ و٣٢٠ و٣٢١ و٣٢٢ و٣٢٣ و٣٢٤ و٣٢٥ و٣٢٦ و٣٢٧ و٣٢٨ و٣٢٩ و٣٣٠ و٣٣١ و٣٣٢ و٣٣٣ و٣٣٤ و٣٣٥ و٣٣٦ و٣٣٧ و٣٣٨ و٣٣٩ و٣٤٠ و٣٤١ و٣٤٢ و٣٤٣ و٣٤٤ و٣٤٥ و٣٤٦ و٣٤٧ و٣٤٨ و٣٤٩ و٣٥٠ و٣٥١ و٣٥٢ و٣٥٣ و٣٥٤ و٣٥٥ و٣٥٦ و٣٥٧ و٣٥٨ و٣٥٩ و٣٦٠ و٣٦١ و٣٦٢ و٣٦٣ و٣٦٤ و٣٦٥ و٣٦٦ و٣٦٧ و٣٦٨ و٣٦٩ و٣٧٠ و٣٧١ و٣٧٢ و٣٧٣ و٣٧٤ و٣٧٥ و٣٧٦ و٣٧٧ و٣٧٨ و٣٧٩ و٣٨٠ و٣٨١ و٣٨٢ و٣٨٣ و٣٨٤ و٣٨٥ و٣٨٦ و٣٨٧ و٣٨٨ و٣٨٩ و٣٩٠ و٣٩١ و٣٩٢ و٣٩٣ و٣٩٤ و٣٩٥ و٣٩٦ و٣٩٧ و٣٩٨ و٣٩٩ و٤٠٠ و٤٠١ و٤٠٢ و٤٠٣ و٤٠٤ و٤٠٥ و٤٠٦ و٤٠٧ و٤٠٨ و٤٠٩ و٤١٠ و٤١١ و٤١٢ و٤١٣ و٤١٤ و٤١٥ و٤١٦ و٤١٧ و٤١٨ و٤١٩ و٤٢٠ و٤٢١ و٤٢٢ و٤٢٣ و٤٢٤ و٤٢٥ و٤٢٦ و٤٢٧ و٤٢٨ و٤٢٩ و٤٣٠ و٤٣١ و٤٣٢ و٤٣٣ و٤٣٤ و٤٣٥ و٤٣٦ و٤٣٧ و٤٣٨ و٤٣٩ و٤٤٠ و٤٤١ و٤٤٢ و٤٤٣ و٤٤٤ و٤٤٥ و٤٤٦ و٤٤٧ و٤٤٨ و٤٤٩ و٤٥٠ و٤٥١ و٤٥٢ و٤٥٣ و٤٥٤ و٤٥٥ و٤٥٦ و٤٥٧ و٤٥٨ و٤٥٩ و٤٦٠ و٤٦١ و٤٦٢ و٤٦٣ و٤٦٤ و٤٦٥ و٤٦٦ و٤٦٧ و٤٦٨ و٤٦٩ و٤٧٠ و٤٧١ و٤٧٢ و٤٧٣ و٤٧٤ و٤٧٥ و٤٧٦ و٤٧٧ و٤٧٨ و٤٧٩ و٤٨٠ و٤٨١ و٤٨٢ و٤٨٣ و٤٨٤ و٤٨٥ و٤٨٦ و٤٨٧ و٤٨٨ و٤٨٩ و٤٩٠ و٤٩١ و٤٩٢ و٤٩٣ و٤٩٤ و٤٩٥ و٤٩٦ و٤٩٧ و٤٩٨ و٤٩٩ و٥٠٠ و٥٠١ و٥٠٢ و٥٠٣ و٥٠٤ و٥٠٥ و٥٠٦ و٥٠٧ و٥٠٨ و٥٠٩ و٥١٠ و٥١١ و٥١٢ و٥١٣ و٥١٤ و٥١٥ و٥١٦ و٥١٧ و٥١٨ و٥١٩ و٥٢٠ و٥٢١ و٥٢٢ و٥٢٣ و٥٢٤ و٥٢٥ و٥٢٦ و٥٢٧ و٥٢٨ و٥٢٩ و٥٣٠ و٥٣١ و٥٣٢ و٥٣٣ و٥٣٤ و٥٣٥ و٥٣٦ و٥٣٧ و٥٣٨ و٥٣٩ و٥٤٠ و٥٤١ و٥٤٢ و٥٤٣ و٥٤٤ و٥٤٥ و٥٤٦ و٥٤٧ و٥٤٨ و٥٤٩ و٥٥٠ و٥٥١ و٥٥٢ و٥٥٣ و٥٥٤ و٥٥٥ و٥٥٦ و٥٥٧ و٥٥٨ و٥٥٩ و٥٦٠ و٥٦١ و٥٦٢ و٥٦٣ و٥٦٤ و٥٦٥ و٥٦٦ و٥٦٧ و٥٦٨ و٥٦٩ و٥٧٠ و٥٧١ و٥٧٢ و٥٧٣ و٥٧٤ و٥٧٥ و٥٧٦ و٥٧٧ و٥٧٨ و٥٧٩ و٥٨٠ و٥٨١ و٥٨٢ و٥٨٣ و٥٨٤ و٥٨٥ و٥٨٦ و٥٨٧ و٥٨٨ و٥٨٩ و٥٩٠ و٥٩١ و٥٩٢ و٥٩٣ و٥٩٤ و٥٩٥ و٥٩٦ و٥٩٧ و٥٩٨ و٥٩٩ و٦٠٠ و٦٠١ و٦٠٢ و٦٠٣ و٦٠٤ و٦٠٥ و٦٠٦ و٦٠٧ و٦٠٨ و٦٠٩ و٦١٠ و٦١١ و٦١٢ و٦١٣ و٦١٤ و٦١٥ و٦١٦ و٦١٧ و٦١٨ و٦١٩ و٦٢٠ و٦٢١ و٦٢٢ و٦٢٣ و٦٢٤ و٦٢٥ و٦٢٦ و٦٢٧ و٦٢٨ و٦٢٩ و٦٣٠ و٦٣١ و٦٣٢ و٦٣٣ و٦٣٤ و٦٣٥ و٦٣٦ و٦٣٧ و٦٣٨ و٦٣٩ و٦٤٠ و٦٤١ و٦٤٢ و٦٤٣ و٦٤٤ و٦٤٥ و٦٤٦ و٦٤٧ و٦٤٨ و٦٤٩ و٦٥٠ و٦٥١ و٦٥٢ و٦٥٣ و٦٥٤ و٦٥٥ و٦٥٦ و٦٥٧ و٦٥٨ و٦٥٩ و٦٦٠ و٦٦١ و٦٦٢ و٦٦٣ و٦٦٤ و٦٦٥ و٦٦٦ و٦٦٧ و٦٦٨ و٦٦٩ و٦٧٠ و٦٧١ و٦٧٢ و٦٧٣ و٦٧٤ و٦٧٥ و٦٧٦ و٦٧٧ و٦٧٨ و٦٧٩ و٦٨٠ و٦٨١ و٦٨٢ و٦٨٣ و٦٨٤ و٦٨٥ و٦٨٦ و٦٨٧ و٦٨٨ و٦٨٩ و٦٩٠ و٦٩١ و٦٩٢ و٦٩٣ و٦٩٤ و٦٩٥ و٦٩٦ و٦٩٧ و٦٩٨ و٦٩٩ و٧٠٠ و٧٠١ و٧٠٢ و٧٠٣ و٧٠٤ و٧٠٥ و٧٠٦ و٧٠٧ و٧٠٨ و٧٠٩ و٧١٠ و٧١١ و٧١٢ و٧١٣ و٧١٤ و٧١٥ و٧١٦ و٧١٧ و٧١٨ و٧١٩ و٧٢٠ و٧٢١ و٧٢٢ و٧٢٣ و٧٢٤ و٧٢٥ و٧٢٦ و٧٢٧ و٧٢٨ و٧٢٩ و٧٣٠ و٧٣١ و٧٣٢ و٧٣٣ و٧٣٤ و٧٣٥ و٧٣٦ و٧٣٧ و٧٣٨ و٧٣٩ و٧٤٠ و٧٤١ و٧٤٢ و٧٤٣ و٧٤٤ و٧٤٥ و٧٤٦ و٧٤٧ و٧٤٨ و٧٤٩ و٧٥٠ و٧٥١ و٧٥٢ و٧٥٣ و٧٥٤ و٧٥٥ و٧٥٦ و٧٥٧ و٧٥٨ و٧٥٩ و٧٦٠ و٧٦١ و٧٦٢ و٧٦٣ و٧٦٤ و٧٦٥ و٧٦٦ و٧٦٧ و٧٦٨ و٧٦٩ و٧٧٠ و٧٧١ و٧٧٢ و٧٧٣ و٧٧٤ و٧٧٥ و٧٧٦ و٧٧٧ و٧٧٨ و٧٧٩ و٧٨٠ و٧٨١ و٧٨٢ و٧٨٣ و٧٨٤ و٧٨٥ و٧٨٦ و٧٨٧ و٧٨٨ و٧٨٩ و٧٩٠ و٧٩١ و٧٩٢ و٧٩٣ و٧٩٤ و٧٩٥ و٧٩٦ و٧٩٧ و٧٩٨ و٧٩٩ و٨٠٠ و٨٠١ و٨٠٢ و٨٠٣ و٨٠٤ و٨٠٥ و٨٠٦ و٨٠٧ و٨٠٨ و٨٠٩ و٨١٠ و٨١١ و٨١٢ و٨١٣ و٨١٤ و٨١٥ و٨١٦ و٨١٧ و٨١٨ و٨١٩ و٨٢٠ و٨٢١ و٨٢٢ و٨٢٣ و٨٢٤ و٨٢٥ و٨٢٦ و٨٢٧ و٨٢٨ و٨٢٩ و٨٣٠ و٨٣١ و٨٣٢ و٨٣٣ و٨٣٤ و٨٣٥ و٨٣٦ و٨٣٧ و٨٣٨ و٨٣٩ و٨٤٠ و٨٤١ و٨٤٢ و٨٤٣ و٨٤٤ و٨٤٥ و٨٤٦ و٨٤٧ و٨٤٨ و٨٤٩ و٨٥٠ و٨٥١ و٨٥٢ و٨٥٣ و٨٥٤ و٨٥٥ و٨٥٦ و٨٥٧ و٨٥٨ و٨٥٩ و٨٦٠ و٨٦١ و٨٦٢ و٨٦٣ و٨٦٤ و٨٦٥ و٨٦٦ و٨٦٧ و٨٦٨ و٨٦٩ و٨٧٠ و٨٧١ و٨٧٢ و٨٧٣ و٨٧٤ و٨٧٥ و٨٧٦ و٨٧٧ و٨٧٨ و٨٧٩ و٨٨٠ و٨٨١ و٨٨٢ و٨٨٣ و٨٨٤ و٨٨٥ و٨٨٦ و٨٨٧ و٨٨٨ و٨٨٩ و٨٩٠ و٨٩١ و٨٩٢ و٨٩٣ و٨٩٤ و٨٩٥ و٨٩٦ و٨٩٧ و٨٩٨ و٨٩٩ و٩٠٠ و٩٠١ و٩٠٢ و٩٠٣ و٩٠٤ و٩٠٥ و٩٠٦ و٩٠٧ و٩٠٨ و٩٠٩ و٩١٠ و٩١١ و٩١٢ و٩١٣ و٩١٤ و٩١٥ و٩١٦ و٩١٧ و٩١٨ و٩١٩ و٩٢٠ و٩٢١ و٩٢٢ و٩٢٣ و٩٢٤ و٩٢٥ و٩٢٦ و٩٢٧ و٩٢٨ و٩٢٩ و٩٣٠ و٩٣١ و٩٣٢ و٩٣٣ و٩٣٤ و٩٣٥ و٩٣٦ و٩٣٧ و٩٣٨ و٩٣٩ و٩٤٠ و٩٤١ و٩٤٢ و٩٤٣ و٩٤٤ و٩٤٥ و٩٤٦ و٩٤٧ و٩٤٨ و٩٤٩ و٩٥٠ و٩٥١ و٩٥٢ و٩٥٣ و٩٥٤ و٩٥٥ و٩٥٦ و٩٥٧ و٩٥٨ و٩٥٩ و٩٦٠ و٩٦١ و٩٦٢ و٩٦٣ و٩٦٤ و٩٦٥ و٩٦٦ و٩٦٧ و٩٦٨ و٩٦٩ و٩٧٠ و٩٧١ و٩٧٢ و٩٧٣ و٩٧٤ و٩٧٥ و٩٧٦ و٩٧٧ و٩٧٨ و٩٧٩ و٩٨٠ و٩٨١ و٩٨٢ و٩٨٣ و٩٨٤ و٩٨٥ و٩٨٦ و٩٨٧ و٩٨٨ و٩٨٩ و٩٩٠ و٩٩١ و٩٩٢ و٩٩٣ و٩٩٤ و٩٩٥ و٩٩٦ و٩٩٧ و٩٩٨ و٩٩٩ و١٠٠٠ و١٠٠١ و١٠٠٢ و١٠٠٣ و١٠٠٤ و١٠٠٥ و١٠٠٦ و١٠٠٧ و١٠٠٨ و١٠٠٩ و١٠١٠ و١٠١١ و١٠١٢ و١٠١٣ و١٠١٤ و١٠١٥ و١٠١٦ و١٠١٧ و١٠١٨ و١٠١٩ و١٠٢٠ و١٠٢١ و١٠٢٢ و١٠٢٣ و١٠٢٤ و١٠٢٥ و١٠٢٦ و١٠٢٧ و١٠٢٨ و١٠٢٩ و١٠٣٠ و١٠٣١ و١٠٣٢ و١٠٣٣ و١٠٣٤ و١٠٣٥ و١٠٣٦ و١٠٣٧ و١٠٣٨ و١٠٣٩ و١٠٤٠ و١٠٤١ و١٠٤٢ و١٠٤٣ و١٠٤٤ و١٠٤٥ و١٠٤٦ و١٠٤٧ و١٠٤٨ و١٠٤٩ و١٠٥٠ و١٠٥١ و١٠٥٢ و١٠٥٣ و١٠٥٤ و١٠٥٥ و١٠٥٦ و١٠٥٧ و١٠٥٨ و١٠٥٩ و١٠٦٠ و١٠٦١ و١٠٦٢ و١٠٦٣ و١٠٦٤ و١٠٦٥ و١٠٦٦ و١٠٦٧ و١٠٦٨ و١٠٦٩ و١٠٧٠ و١٠٧١ و١٠٧٢ و١٠٧٣ و١٠٧٤ و١٠٧٥ و١٠٧٦ و١٠٧٧ و١٠٧٨ و١٠٧٩ و١٠٨٠ و١٠٨١ و١٠٨٢ و١٠٨٣ و١٠٨٤ و١٠٨٥ و١٠٨٦ و١٠٨٧ و١٠٨٨ و١٠٨٩ و١٠٩٠ و١٠٩١ و١٠٩٢ و١٠٩٣ و١٠٩٤ و١٠٩٥ و١٠٩٦ و١٠٩٧ و١٠٩٨ و١٠٩٩ و١١٠٠ و١١٠١ و١١٠٢ و١١٠٣ و١١٠٤ و١١٠٥ و١١٠٦ و١١٠٧ و١١٠٨ و١١٠٩ و١١١٠ و١١١١ و١١١٢ و١١١٣ و١١١٤ و١١١٥ و١١١٦ و١١١٧ و١١١٨ و١١١٩ و١١٢٠ و١١٢١ و١١٢٢ و١١٢٣ و١١٢٤ و١١٢٥ و١١٢٦ و١١٢٧ و١١٢٨ و١١٢٩ و١١٣٠ و١١٣١ و١١٣٢ و١١٣٣ و١١٣٤ و١١٣٥ و١١٣٦ و١١٣٧ و١١٣٨ و١١٣٩ و١١٤٠ و١١٤١ و١١٤٢ و١١٤٣ و١١٤٤ و١١٤٥ و١١٤٦ و١١٤٧ و١١٤٨ و١١٤٩ و١١٥٠ و١١٥١ و١١٥٢ و١١٥٣ و١١٥٤ و١١٥٥ و١١٥٦ و١١٥٧ و١١٥٨ و١١٥٩ و١١٦٠ و١١٦١ و١١٦٢ و١١٦٣ و١١٦٤ و١١٦٥ و١١٦٦ و١١٦٧ و١١٦٨ و١١٦٩ و١١٧٠ و١١٧١ و١١٧٢ و١١٧٣ و١١٧٤ و١١٧٥ و١١٧٦ و١١٧٧ و١١٧٨ و١١٧٩ و١١٨٠ و١١٨١ و١١٨٢ و١١٨٣ و١١٨٤ و١١٨٥ و١١٨٦ و١١٨٧ و١١٨٨ و١١٨٩ و١١٩٠ و١١٩١ و١١٩٢ و١١٩٣ و١١٩٤ و١١٩٥ و١١٩٦ و١١٩٧ و١١٩٨ و١١٩٩ و١٢٠٠ و١٢٠١ و١٢٠٢ و١٢٠٣ و١٢٠٤ و١٢٠٥ و١٢٠٦ و١٢٠٧ و١٢٠٨ و١٢٠٩ و١٢١٠ و١٢١١ و١٢١٢ و١٢١٣ و١٢١٤ و١٢١٥ و١٢١٦ و١٢١٧ و١٢١٨ و١٢١٩ و١٢٢٠ و١٢٢١ و١٢٢٢ و١٢٢٣ و١٢٢٤ و١٢٢٥ و١٢٢٦ و١٢٢٧ و١٢٢٨ و١٢٢٩ و١٢٣٠ و١٢٣١ و١٢٣٢ و١٢٣٣ و١٢٣٤ و١٢٣٥ و١٢٣٦ و١٢٣٧ و١٢٣٨ و١٢٣٩ و١٢٤٠ و١٢٤١ و١٢٤٢ و١٢٤٣ و١٢٤٤ و١٢٤٥ و١٢٤٦ و١٢٤٧ و١٢٤٨ و١٢٤٩ و١٢٥٠ و١٢٥١ و١٢٥٢ و١٢٥٣ و١٢٥٤ و١٢٥٥ و١٢٥٦ و١٢٥٧ و١٢٥٨ و١٢٥٩ و١٢٦٠ و١٢٦١ و١٢٦٢ و١٢٦٣ و١٢٦٤ و١٢٦٥ و١٢٦٦ و١٢٦٧ و١٢٦٨ و١٢٦٩ و١٢٧٠ و١٢٧١ و١٢٧٢ و١٢٧٣ و١٢٧٤ و١٢٧٥ و١٢٧٦ و١٢٧٧ و١٢٧٨ و١٢٧٩ و١٢٨٠ و١٢٨١ و١٢٨٢ و١٢٨٣ و١٢٨٤ و١٢٨٥ و١٢٨٦ و١٢٨٧ و١٢٨٨ و١٢٨٩ و١٢٩٠ و١٢٩١ و١٢٩٢ و١٢٩٣ و١٢٩٤ و١٢٩٥ و١٢٩٦ و١٢٩٧ و١٢٩٨ و١٢٩٩ و١٣٠٠ و١٣٠١ و١٣٠٢ و١٣٠٣ و١٣٠٤ و١٣٠٥ و١٣٠٦ و١٣٠٧ و١٣٠٨ و١٣٠٩ و١٣١٠ و١٣١١ و١٣١٢ و١٣١٣ و١٣١٤ و١٣١٥ و١٣١٦ و١٣١٧ و١٣١٨ و١٣١٩ و١٣٢٠ و١٣٢١ و١٣٢٢ و١٣٢٣ و١٣٢٤ و١٣٢٥ و١٣٢٦ و١٣٢٧ و١٣٢٨ و١٣٢٩ و١٣٣٠ و١٣٣١ و١٣٣٢ و١٣٣٣ و١٣٣٤ و١٣٣٥ و١٣٣٦ و١٣٣٧ و١٣٣٨ و١٣٣٩ و١٣٤٠ و١٣٤١ و١٣٤٢ و١٣٤٣ و١٣٤٤ و١٣٤٥ و١٣٤٦ و١٣٤٧ و١٣٤٨ و١٣٤٩ و١٣٥٠ و١٣٥١ و١٣٥٢ و١٣٥٣ و١٣٥٤ و١٣٥٥ و١٣٥٦ و١٣٥٧ و١٣٥٨ و١٣٥٩ و١٣٦٠ و١٣٦١ و١٣٦٢ و١٣٦٣ و١٣٦٤ و١٣٦٥ و١٣٦٦ و١٣٦٧ و١٣٦٨ و١٣٦٩ و١٣٧٠ و١٣٧١ و١٣٧٢ و١٣٧٣ و١٣٧٤ و١٣٧٥ و١٣٧٦ و١٣٧٧ و١٣٧٨ و١٣٧٩ و١٣٨٠ و١٣٨١ و١٣٨٢ و١٣٨٣ و١٣٨٤ و١٣٨٥ و١٣٨٦ و١٣٨٧ و١٣٨٨ و١٣٨٩ و١٣٩٠ و١٣٩١ و١٣٩٢ و١٣٩٣ و١٣٩٤ و١٣٩٥ و١٣٩٦ و١٣٩٧ و١٣٩٨ و١٣٩٩ و١٤٠٠ و١٤٠١ و١٤٠٢ و١٤٠٣ و١٤٠٤ و١٤٠٥ و١٤٠٦ و١٤٠٧ و١٤٠٨ و١٤٠٩ و١٤١٠ و١٤١١ و١٤١٢ و١٤١٣ و١٤١٤ و١٤١٥ و١٤١٦ و١٤١٧ و١٤١٨ و١٤١٩ و١٤٢٠ و١٤٢١ و١٤٢٢ و١٤٢٣ و١٤٢٤ و١٤٢٥ و١٤٢٦ و١٤٢٧ و١٤٢٨ و١٤٢٩ و١٤٣٠ و١٤٣١ و١٤٣٢ و١٤٣٣ و١٤٣٤ و١٤٣٥ و١٤٣٦ و١٤٣٧ و١٤٣٨ و١٤٣٩ و١٤٤٠ و١٤٤١ و١٤٤٢ و١٤٤٣ و١٤٤٤ و١٤٤٥ و١٤٤٦ و١٤٤٧ و١٤٤٨ و١٤٤٩ و١٤٥٠ و١٤٥١ و١٤٥٢ و١٤٥٣ و١٤٥٤ و١٤٥٥ و١٤٥٦ و١٤٥٧ و١٤٥٨ و١٤٥٩ و١٤٦٠ و١٤٦١ و١٤٦٢ و١٤٦٣ و١٤٦٤ و١٤٦٥ و١٤٦٦ و١٤٦٧ و١٤٦٨ و١٤٦٩ و١٤٧٠ و١٤٧١ و١٤٧٢ و١٤٧٣ و١٤٧٤ و١٤٧٥ و١٤٧٦ و١٤٧٧ و١٤٧٨ و١٤٧٩ و١٤٨٠ و١٤٨١ و١٤٨٢ و١٤٨٣ و١٤٨٤ و١٤٨٥ و١٤٨٦ و١٤٨٧ و١٤٨٨ و١٤٨٩ و١٤٩٠ و١٤٩١ و١٤٩٢ و١٤٩٣ و١٤٩٤ و١٤٩٥ و١٤٩٦ و١٤٩٧ و١٤٩٨ و١٤٩٩ و١٥٠٠ و١٥٠١ و١٥٠٢ و١٥٠٣ و١٥٠٤ و١

منهاج التاريخ الفكري و هوية مصر ولحظاتها الكبرى



محمود السوردي

السيطرة، إلا أن الصاباط الشاب في الفرقة
الألبانية، محمد علي، استطاع التسلل
والنفاد لشايف الأتراك. أي الخبة في ذلك
الحين، ووثق علاقاته بمختلف القوى
والتيارات الناشطة في وطنه كان قد جرى
احتلاله لأكثر من ثلاث سنوات كما وثق
العلاقات وصلاته في نفس الوقت بقوات
السلطان العثماني

واستطاع أن يشهر قليلة أن يصبح
واحد من أهم الضباط، بل وانفقد عليه
إجماع الشايخ ومن ثم بقية الطوائف
المؤثرة بأمرهم، وشاءوا صبريون على
السلطان العثماني ورفضوا قبول الوالي
الذي قرر السلطان تعيينه، ورفضوا
محمد علي فرضاً، وهو أمر كان في ذلك
الحين متجاوزاً لكل ما هو مستقر من
شرايع وتقالييد وأعراف. على أي حال
الطالع محمد علي من مصر ليشتد ما
يكاد أن يكون إمبراطورية، وتضمن البعض
بأنها لحصر الحديثة بسبب مؤسسات
الحداثة التي أقامها على مدى سنوات
حكمه: الجيش والأسطول ومؤسسات
التعليم والإنتاج وإعادة هيكلة الأرض،
ويعد ما يقرب من ثلاثين سنة كانت
جيشه بقيادة ابنه (سكان الحن) -
إبراهيم باشا تقف على أبواب
القسطنطينية، وتولا التحالف الأوروبي
القائم وقتذاك لحسن دخلها بالفعل،
غير أن التاريخ تكسب الحق لا يعرف
كلمة، لو، كما يقولون.

تلك هي الخطوط العريضة لسيرة
محمد علي باشا، وهي خطوط منحنه
سحرًا أسطوريًا بوصفه المستبد العادل
وباني مصر الحديثة ومؤسس الجيش
وصاحب الإصلاحات والمسئول عن
تشكيل وهي الأمة بذاتها.

هذه الترساة من الأفكار والأفهام
التي تشكلت في مدى قرنين من الزمان
وأسمهم فيها أساطين المؤرخين من
الفرقة والتمسكين تصدى لها خالد
فهمي الذي هدف كما كتب مترجم
الكتاب، شريف يونس إلى «إسقاط
مجموعة متنوعة من الحصون التقليدية
المنية في تقاليد الكتابة التاريخية
المصرية، وضيض دعت فناء لطيف من
الأسلوب السلس والذرة الهادئة، وغير
الأنفعال زائد في معظم صفحاتها
إلى فضول خالده فهمي جدرانها
بأكملها من صرح المنع الوطني السائد
في الكتابة التاريخية المصرية ومسلحتها
ومعبرها وحججها.

العدد الرابع والخمسون - يوليو ٢٠٠٢ م

التاريخ الحديث من جامعة أوكسفورد،
ويشغل الآن منصب أستاذ مساعد تاريخ
الشرق الأوسط بجامعة نيويورك
بأولايات المتحدة.



ب طبيعة الحال، د. خالد فهمي باحث
مصري مرموق، ولا أضمه لكباحثين
التالين، جوان كول ولتر أرمبرست،
وربما كان السبب الوحيد لتناول كتابه
يوجد تبنية الواسي وتأثره بمنهج وكتابات
كل من ميشيل فوكو ومجموعة دراسات
التابع الهندية، وإن كان هذا التبن ليس
مصدراً أو تطبيقاً ميكانيكياً على واقع
مختلف بل هو امتلاك لمنهج واختيار
له حوار معه، مما شكل في نهاية الأمر
إضافة باهرة في تاريخنا الحديث.

أما وإلى مصر محمد علي باشا فقد
حظي بهالة من السحر والتألق رفعت إلى
مرتبة الأسطورة، بعد أن كان مجرد ضابط
من ضباط الفرقة الألبانية التي حلت على
مصر لفرض الأمن والسيطرة من جانب
السلطان العثماني عشية رحيل القوات
الفرنسية عائدة لبلاده بعد احتلال استمر
منذ ١٧٩٨ وحتى ١٨٠١. وكان من المتطرقين
يعين السلطان واليًا على البلاد لإعادة

واللائف للنظر أنهم استخدموا
مناهجهم الغربية وأقاموا بتأليفها على
نحو اقسام بالانفتاح والاستعداد للتلازم
مع واقع مختلف، فضلاً عن الدباب
والجنية والجهاد العلمي المضمّن الذي
يذلل بعضهم على النحو الذي ساهلوا
توضيحه في السطور التالية:

من مدين هؤلاء اخترت ثلاثة كتب
لثلاثة مؤلفين، الأول، كل رجال الباشا،
لخالد فهمي وترجمة، شريف يونس، دار
الشرق، والثاني، الأصول الاجتماعية
والثقافية لحركة عرابي في مصر، لجوان
كول، ترجمة، عثمان الشهاوي، المجلس
الأعلى للثقافة، والثالث، الثقافة
الجمهورية والحداثة في مصر، لولتر
أرمبرست، ترجمة، محمد الشراوي
وصدر أيضاً عن المجلس الأعلى للثقافة.

وعلى الرغم من أن الكتاب الأول
لباحث مصري (نابيه بحق) هو الدكتور
خالد فهمي الذي درس في الجامعة
الأمريكية بالقاهرة، إلا أنه يكتب
بالإنجليزية (وكما هو معروف اللغة
ليس مجرد اختيار من الكاتب ولا تشمل
مجرد الحروف، والمفردات وقواعد النحو
والصرف، بل هي أعقق وأكثر غوراً من
هذا الصطلح (الأمس)، وبعد حصوله على
الماجستير في العلوم السياسية من ذات
الجامعة، حصل على الدكتوراه في

■ ارتبط الاستشراق منذ بداياته
البكرة بتوجهات وأهداف استعمارية،
وشكل في بعض الأحيان الطليعة
الاستكشافية التي تسبق العزو
الكولونيالي. وفي أحيان أخرى لعب
الاستشراق دوراً استخباراتياً وتجسسياً
لصالح الإمبراطوريات والدول
الاستعمارية

من جانب آخر لعب الاستشراق دوراً
بالغ الأهمية على المستوى الثقافي
والأدبي من خلال تحقيق عدد هائل من
المخطوطات ونشرها وحفظها من
الضياع، فضلاً عن المصنفات الكبرى
والفهرسة في الدين والفلسفة والفكر
والأدب العربي التي وضعها المستشرقون.
بل لقدوا جانباً مهماً من التراث الصوفي
والمعنوي، وأولو اهتماماً متزايداً
للحركات الدينية السياسية التي تم
فرض ستر من السرية والإلغاء التعمد
لأصولها ومنايها ووقائعها.. حتى على
الرغم من أنه تمت الاستفادة من هذا
الدور وتوطيعه لخدمة الغرب وللصورة
المنطوية التي ظل الغرب يتنحها ويعيد
انتاجها عدة قرون عبر شرق متخيل..

لنصل كل هذا معروف ولا أضيف
جديده بالسطور السابقة.. غير أن هناك
مع ذلك بعض الباحثين والمستعربين
الجدد ذوي الرؤية اليسارية، بالمعنى العام
والواسع، والمنهج اليساري في تناول
وقراءة الأحداث وتحليلها قدموا في واقع
الامر اسهاماً بارزاً، بل وإضافة حقيقية
في تفسير وهيبة وتحليل الحركات
الاجتماعية والتاريخ والاقتصاد، ومن ثم
في السياسة.

١. كل رجال الباشا
خالد فهمي
ترجمة. شريف يونس
لقاهرة: دار الشرق، ٢٠٠١

٢. الأصول الاجتماعية والثقافية
لحركة عرابي في مصر
جوان كول
ترجمة. عثمان الشهاوي
القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١

٣. الثقافة الجمهورية والحداثة
في مصر
ولتر أرمبرست
ترجمة محمد الشراوي
لقاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠

في ثلاثة كتب لسم نكتبها نحن:



حياة الجنود المهمشين، الدين والحق عليهم عبء المعارك والموت، ليس في سبيل الوطن، بل في سبيل الباشا!

فعلى سبيل المثال، وعلى عكس ما هو شائع حول أسباب تجنيد الفلاحين، يتناول المؤلف هذه القضية مؤكداً أن التجنيد يكاد أن يكون قد جرى فرضه فرضاً على الباشا، والمعروف أن الولايات العثمانية كان يتم السيطرة على الأمن فيها وعلى حدودها من خلال فرق عسكرية مرتزقة تابعة للسلطان العثماني، ولم يكن مسموحاً لأهالي البلاد بالانخراط في صفوف الجيش، ولم يكن التجنيد الإجباري مطروحة على الإطلاق.

كذلك يؤكد الخطاب الرسمي وكتب الكتابات التاريخية أن محمد علي، بإنشائه لجيش وقراره بتجنيد الفلاحين قد دفع مصر خطوة واسعة نحو وعيا بذاتها وهويتها المستقلة، فالجيش الوطني هو البداية الحقيقية لانخراط الفلاحين وانتمائهم لأمة يداؤمون عنها ويستشهدون في سبيلها.



وعندما يعيد خالد فهمي قراءة المضابط والسجلات وأوامر الجهادية نقفياً في السكوت عنه، يكتشف أن الباشا ظل على آخر لحظة خالي الذهن تماماً من فكرة تجنيد الملايين، واتجه في البداية الاتجاه الطبيعي، وهو زيادة الجيش بالمزيد من تجنيد المرتزقة الألبان الذين ينتمي إليهم الباشا في الأساس، لكن الفكرة الألبانية الموجودة في الحروب وقتها كانت قد تكاثرت شذراتها وثوراتها الصغرى، من جانب كان أفراد المرتزقة مالوا ليعتبروه مجرماً واحداً منهم وليس حاكماً أعلى للبلاد، وكنشفت آخر تأمرات عليه، ولكن بائع عدة مؤامرات استهدفت حياته نظماً وعقد العزم على تنفيذها ضابطاً الصفة الألبانية المذكورة.

لذلك، وعند أول فرصة لاحت له، قام بالتخلص منهم، ما أن طلب السلطان العثماني مساعدته في قمع التمرد الوهابي في شبه الجزيرة العربية حتى سارع بإرسالهم إلى الميادين العربية القاحلة، وعلى مدى سبع سنوات من الحرب الطاحنة



أواخر الثمانينيات في إعادة كتابة تاريخ شبه القارة الهندية ممن تأثروا بأفكار إدوارد سعيد وجاك دويدا وجرامشي وفوكو، وتكمن استفادته في توجيه انتباهه لدراسة تاريخ الجنود لا الضباط والقادة، تاريخ التابعين والمقهورين والوقود الحقيقي للمعارك، بينما احتفظ التاريخ بالثياشين وميداليات النصر وزيات الفاتح على صدور القادة والضباط.

وعلى الرغم من ندرة المصادر، ورغم انعدامها، فلم يتعد الجنود والمقهورون والتابعون عموماً، على كتابة تاريخهم ولم يخلقوا أثراً مقروءاً، ما دعا المؤلف لقراءة وتحليل عشرات المصادر العربية والتركية وأرشيف دار الوثائق القومية، خصوصاً منذ عام ١٨٩٩ والوريات والسجلات وأوامر الجهادية لتعويض نقص المصادر وإعادة بناء التاريخ وتسجيله من خلال وجهة نظر الجنود وليس من وجهة نظر الحكام بغيره استخلاص خطاب المقاومة من أسفل السلطة، أو كتابة التاريخ من أسفل حسبما عبر المؤلف في حوار له في أخبار الأدب (العدد ٤٦٣، ٣٦ مايو ٢٠٠٢)، فموضوع الكتاب إذن وإضافة الأساسية هي ليس آليات إنتاج السلطة بل كيفية استهلاكها.

كل رجال الباشا، على هذا النحو، لا يتناول الحداثة والسلطة فقط، بل هو عن الحداثة التي يجب أن نلتفت خطابها أفكار فوكو وجيش الباشا في أن المؤلف في الضبط والقمع، وهو أيضاً عن القومية بوصفها، مجتمعاً سياسياً متخيلاً، لأن الجيش الحديثة، وسيلة لإنشاء تخيل الأمة، حسب تعبير الكاتب. وهو أيضاً كتاب عن التاريخ الاجتماعي للحرب لجيش الباشا لأن اهتمامه انصب أساساً على تاريخ الجنود وتفاصيل حياتهم اليومية.

وهكذا تتابعت فصول الكتاب السبعة دون ارتباط بالتتابع التاريخي، فالأخير ليس أحد أهداف الكتاب، فضلاً عن عدم الالتزام بتقديم سيرة ذاتية للباشا ورجاله وضباطه والتخية ذات الأصول التركية المرتبطة به، ومن بين ركاز الفوضى وأطنان المصادر التي لا تحفل إلا بصير القادة وأعمالهم، ووسط التاريخ الرسمي الذي سجله الموظفون والكتيبة في ديوان الحمية، اتجه خالد فهمي لصياغة سيناريو آخر مناض يتضمن

بطبيعة الحال لم يكن سهلاً تجاوز ونقض كل هذه الترسانة التي دفعت بمحمد علي ليكون مؤسس مصر الحديثة، بل عمد المارخون للتغاضي عن الجوانب الاستبدادي والقمعي في شخصيته، ومن ثم إجراءاته وجملته تغييراته، أمام إنجازاته الضخمة، لكن المؤلف تبني خطاباً ومفهوماً مناقصاً لمجمل الخطاب السائد حول محمد علي وحول الحداثة التي أسسها محمد علي في مصر، فالخطاب السائد وقع حصيماً عبر، في شرك الحداثة، واقتبس مفهوماً غريباً لها، وهو المفهوم الذي يمتزجها الامتلاك التريجي للمستقلانية، ويرى التاريخ بوصفه صيرورة عالية لتحليل مبدأ العقل، بمباراة أخرى حاول مفكرو الحداثة أن يتحدوا المركزية الأوروبية ليس ينقد المبادئ النظرية التي قامت عليها، بل بتخيل هوية محلية مصرية مركزية تقوم على نفس المبادئ النظرية مع اختلاف مهم، هو اعتبار هذه الهوية مستقلة عن الغرب ومعارضة له.

من جانب آخر يعترف المؤلف، كما يليق بمفكر من طراز رفيع، بأن كثيراً من الأفكار التي اعتمد عليها في نقده للحداثة، مستمدة من بعض أعمال المارخ الفرنسي دالغ الصيت ميشيل فوكو، خصوصاً فيما يتعلق بمظاهر التحول في الأنظمة العقابية وأنماط التعذيب في فرنسا منذ أوائل القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر. وتكمن العلاقة بين أفكار فوكو وجيش الباشا في أن المؤلف سعى في دراسته لنقد الحداثة كما تتجلى في إحدى أهم المؤسسات الحديثة وهي الجيش النظامي الحديثة، الذي يعد وسيلة مثالية لاختبار صحة مقولات فوكو عن السلطة.

لماذا؟ يجيب المؤلف: لأن الجيش الحديث شأته شأن السجن الحديث مكان تظهر فيه آليات السلطة بشكل واضح وصرح، ويتجلى خطابها على نحو واضح، فبعد الجندي شأن جسد المجرم خاضع على الدوام لنظام صارم من الانضباط والمراقبة، لذلك يسعى خالد فهمي لدراسة الممارسات المختلفة بدءاً من التجنيد وحتى المعارك الحية. وفي هذا السياق يعبر المؤلف عن استفادته أيضاً من كتابات مجموعة دراسات التابع، وهي أعمال مجموعة من الباحثين أغلبهم من الهلوث، شطوا منذ



منهاج التاريخ العربي

والفيرة مكتبته من الإحاطة الشاملة بالأساسات الثقافية والسياسية لنظام الحكم بطرقاته وقواه وأدواته من ناحية، والإحاطة بالأسس الاجتماعية والثقافية لقوى الثورة العربية ومعارضتها من ناحية أخرى.

يستهل جوان كول عمله الشامل برسم صورة للمؤسسات المادية والثقافية لخصر الحديوية في ظل الإمبراطورية العثمانية، حيث استمر نفوذ السلطنة السلطان. ورغم أن إدارتها المحلية، بقيت جزءاً من أجزاء الإمبراطورية. تتنوع الجزية وتوفر الجند، بينما يعتمد السراء والمتميعات العليا في استنبول. أما فيما يتعلق بالنخبة في المؤلف يؤكد، وقد اقتنصت الخطوط والكتابات الدورية التي راجعتها أن المتعلمين المصريين في أعينهم الأمم كانوا يرون أنفسهم رعايا موالين لسلطان.

بعد السلطان يأتي الخديو بطبيعة الحال، ويميل المؤلف إلى اعتبار نظام الحكم في مصر بيروقراطية إصلاحية، ويؤسس اعتباراً خاصاً لتفكيريات التي رافقت حكم إسماعيل، ففي عهده انتشرت زراعة القطن في كل الأنحاء التي أصبح محصولاً اقتصادياً مهماً لها على السوق العالمية، وأشنى أول مجلس للنواب. فير أن خطأ الأساس أنه جعل من القطن خيطاً من الحاكم الملقب بالباشا والراساء إلى الزعامة المعتد بذاته والذي يضع مصالحه الخاصة فوق مصالح الولاية التي يحكمها.

أما التقدم المزعم في عهده فقد استأثرت منه مجموعة صغيرة من النبلاء والتجار والأجانب، بينما تفاقمت مشاكل الفلاحين وطوائف الفلاحين وقطاعات من الانتلجنسيا.



تولى خدمة الخديو بيروقراطيون وموظفون من العثمانيين والتركية وبعض الأرمن والتركز فرام المصريين من أهل البلاد، ورغم تنافسهم العربي إلا أن هناك ثقافة بضميمة، مصرية، واحدة اشتركوا فيها واعتمدت على اللغة والأزياء في استنبول والمشاركة في الخدمة بولاية مصر العثمانية، ويقسم هؤلاء الموظفون إلى جماعة متصارعة للأوروبيين تسمى

يقدمون تضحياتهم ويموتون في صمت، أما الكتاب الثاني فهو: «الأسس الاجتماعية والثقافية لحركة عرابي في مصر، لجوان كول (والغلب الظن أنه أمريكي، على الرغم من أنه فات على المترجم عنان الشاوي ومراجعة عاصم الدسوقي أن يقدمها سيرة ثانية مختصرة للمؤلف، فهي ضرورية للقارئ العربي وليست مجرد حيلة لا أهمية لها لأنا. نحن القراء، نقرأ كتاباً عنا وعن إحدى أهم وأخطر الانتفاضات والثورات في تاريخنا الحديث).

وإذا كانت انتفاضة عرابي قد تناولها عشرات المؤرخين المصريين والأوروبيين بدءاً من الرافضين والخبيف وأحمد شوقي باشا وسليم خليل النقاش وبنيت وردولي والجميبي ولطيفة سالم وبركات وشريفي، بحيث أصبحوا حسناً وشرحياً، فإن جوان كول اختار البحت عن الأسس الاجتماعية والثقافية كن قاموا بالانتفاضة أو أيديها أو عطاها معها أو عارضوها. لذلك درس المؤسسات الثقافية والسياسية لنظام الحكم حتى يحدد المسار الذي اتخذه المتغير الاقتصادي والديمقراطي ونمو سلطة الدولة. حسبما أثاره. الدسوقي في تقديمه، والذي أوجد مصطلح جديدة للفلاحين والطرقات المدنية والانتلجنسيا.

في هذا السياق قام جوان كول ليس فقط بالاشتيك مع من سبقه من المؤرخين المصريين والغربيين، ودرس الخطوط والوثائق والمصاحبات والمراسلات والسجلات والمحكات وقائع المحاكمات والمحاظف والدوريات المعاصرة لأحداث الانتفاضة، بل اشترك أيضاً في الناهج المعتمدة لدراسة التاريخ لدى علماء الاجتماع والمؤرخين في الغرب، فاختبر قوالبه التي يلمطها كما هي، متيحاً حركة كاملة في تقوده دراسته لنتائج مختلفة مستجيباً لا تكشف عنه الدراسة والبحث. خصوصاً أن كثير من تناولوا حركة عرابي من الكتاب والمؤرخين الغربيين كانوا يبحثون وينشؤون عما يتشابه مع ما جرى للبلدان الأوروبية، حتى لو اقتضى الأمر التمسك والتعريب الأعمى لناهج لا تصلح إلا لتجارب بلدانهم.

بطبيعة الحال يعرف المؤلف العربية جيداً حيث أشار إلى خطوطات أرشيفية اكتشفها للمرة الأولى داخل دار الوثائق أو دار الكتب. إن المادة الوفيرة المتوقعة

أما أحلامه التي (ياها) لنا الأوروبيون هي فتح فلسطين وسوريا وبناء إمبراطورية مترامية الأطراف تضم السودان ومصر والجزيرة العربية والنام فلم تكن سوى صراع يدور داخل الحدود الفكرية والأيدولوجية للسلطنة العثمانية، بل هي صراع أسرى داخل نفس القبيلة.

مثال آخر هو في مقال للمؤلف نشر في أخبار الأدب في نفس العدد المشار إليه، يكشف فيه عن خطاب أملاء الباشا وعثر عليه خالده فهي أثناء إعداد كتابه وأورده أمين سامي في كتابه «تقديم طراد الخاصة». في هذا الخطاب بأمر الباشا موظفيه بصرف النظر عن ترجمة قانون ما من إحدى اللغات الأوروبية لكي يطبع ويطلق في مصر لأنه «ممل حسب طابع وخلق وعادات أوروبا وإفلامه (أي مواده) لا توافق المصلحة».



وهكذا يبدو من النص السابق أن محمد علي حاكم متورم مهوم بمصالح شعبه ومدرك للهوة التي تقصم مصر من أوروبا، وهي الصورة التي حرص المؤرخون على (يعيها) لنا، لكن المؤلف عاد للأصل التركي لذات الخطاب وأعاد ترجمته ليتكشف أن ما قاله الباشا أن هذا القانون يجب أن يصرف النظر عنه لأنه يناسب الأوروبيين وهم شعب متورم متحضر، أما شعبنا فهم مثل بهائم البراري، فلن يكون هذا القانون مناسباً لهم.

وفي النهاية لا بد من الإشارة إلى الإجازة الأكبر من إنجازات خالده فهي، والمتأمل في السعي المتواصل عبر كل فصل من فصول الكتاب من أجل نخس الغبار عن الركام الهائل من المصاحبات والأوامر والسجلات والمصاحبات للوصول لحياة الجنود وعدايتهم ومشاكلهم وما تعرضوا له من قسوة مرعبة منذ القبض عليهم في الحقول، ثم تجنيدهم وتغيير ملاسهم وضمهم إلى فرق وحواشي يرفضونها أصلاً، حتى أن الأفلاك كانوا يقومون بقتل أصابعهم أو فقه إحدى عيونهم حتى لا يفتنوا.

وهكذا... في كل فصل يبدأ المؤلف من حياة الجنود المهمشين الذين غفل عنهم المؤرخون وسجلوا انتصارات الهامة وتياشيهم، بينما ظل الجنود متوارين

صد الوهابيين. تخلص الباشا من أغلب الألبان

وعصداً ما توسع الباشا فيما بعد في الجنوب متجهاً للسودان، لم يكن بعد قد فكر في تجنيد الفلاحين لسبب رئيسي، وهو أنهم القوة المنتجة للمصدر الأساسي لشراء ابنه إسماعيل باشا الذي قاد لدخله وهو زراعة الأرض، فالتجج لإرسال حملات عسكرية للسودان لتجنيد السودانيين... نجحت الحملات أول الأمر، غير أن ابنه إسماعيل باشا الذي قاد إحدى الحملات، كان عديم الكفاءة عنيداً لا يستمع بشخصية قيادية، وانتهت حملته بمأساة تراجيدية، فلقرط قسوته وتهوره قام السودانيون بحرقه حيّاً.

ومع ذلك جمعت قوات الباشا آلاف العبيد من السودان لهذه الغرض تجديداً: أي تجنيدهم في مصر وتشكيل جيش للدفاع عنه وتأمين حكمه ونظامه. وحشر هذه اللحظة لم يكن قد لجأ مطلقاً للفلاحين المصريين، أما عبيد السودان فقد تأسفوا أثناء الرحلة إلى القاهرة، وقت إغليهم قبل وصولهم بسبب بُعد المسافة وكوارث الطريق، فضلاً عن تقسنى الأمراء منهم، حتى أن الباشا أمر باستنحار عدد من العبيد الأمريكيين ليعالجهم من الأوبئة التي أوشكت على القضاء عليهم. غير أن المصلب لا ياتي فرادى كما يقال، فلم يتكيف الجنود الأتراك والألبان الذين أرسلوا للسودان مع المناخ هناك، وفشكت بهم الأمراض وفي مقدمتها الدوسنتاريا.

وتكشف المؤلف من خطاب أرسله الباشا في فبراير ١٨٢٢ إلى أحمد باشا مدير مديرية جرجا يقول فيه:

«من الواضح أن درس قواطنا بقيادة أبنتنا إلى السودان ليحلوا لنا السود لتستخدمنهم في مسألة حملة الحجاز وخدمات أخرى مثلاً... لا أنه لا كان الأتراك من جنسنا ويجب أن يظلوا قريبين منا طوال الوقت، ولا يرسلوا إلى هذه المناطق البعيدة، أصبح من الضروري جمع عدد من الجنود من الصعيد. ولذلك وجدنا أنه من المناسب أن تجند حوائل أربعة آلاف رجل من هذه البدو».

وهكذا اضطر الباشا لتجنيد الفلاحين، وبناء الجيش (الوطني) اعطاهم، أي أنه لم يتخلل من وجهة نظر عدد من الجنود يمتلئ بنباء مصر الحديثة، وهو ما تبناه عدد كبير من المؤرخين على مدى ١٥٠ عاماً من الكتابة التاريخية.



منهاج التاويخ الغريبي

على راسخ كبير الأطباء حتى الأزيكية الذي أكد في شكواه أن تصنيفه المدني توقف عند رتبة الملازم ٢٠ عاماً، أو شكوى العائلات في مهنة الطب يظن أن الانتقال للإقامة قريباً من أسرهم. وكشفت العرائض والتظلمات عن واقع يتسم بانسداد الأفق أمام من بأسرها ورواتب شحيحة وشروط عمل رديئة وتأخير صرفه المرتبات مما أسفر عن انتفاخ قطاعات مهمة من الانتلجنسيا لصفوف الممارسة ثم الاشتراك في الثورة التي اندلعت فيما بعد.

على أي حال ينتهي كقول إلى أن الفلاحين وعمال المياومة والمقيمين علواً من الإحياءات الاقتصادية، على حد تعبيرة في سبعينيات القرن ١٩ أكثر مما عانوه من النخبة الحاكمة، وأدى انطلاق القطر كمحمول نقدي إلى تأجيج الصراع بين الطبقات الاجتماعية، خصوصاً مع الطفرة الديموجرافية التي أصابت البلاد.

بهذا المنهج المتفتح على أدوات جديدة للبحث والدراسة قرأ جوان كول في المصطلحات التالية التغيرات الاجتماعية والاقتصادية المهددة للانقراض فعندما يدرس الأمة والبيروقراطية يشير إلى ازدياد تدخل الدولة في المجتمع المدني على نحو لم يحدث من قبل. وفي نفس الوقت ازدياد خصوصها للأهداف الأوربية.

كما ينتهي إلى أن ازدهار القطر لم يكن العامل الوحيد لهذه التغيرات، بل لعبت ثورة الاتصالات في ذلك العصر دوراً مهماً في سرعة انتشار الأخبار والأحداث السياسية. خطوط التفرع مثلاً اتاحت استغلال الأنباء العالمية عبر الخدمات السلكية، كما أمكن شحن الصحف والجرائد الضخمة والأوربية بسهولة من الإسكندرية عبر السلك الحديث إلى القاهرة، ثم بدأت الصحف الخاصة في الصدور في مصر وتوسعت بشدة واستخدمت العامية المصرية في الكتابة بدلاً من اللغة التقليدية المخلطة بألوان البيديع.

من جانب آخر أدى التوسع الهائل في نظام المدارس الأولية إلى وجود أعداد لا يستهان بها من المتعلمين. ومع انتشار الصحافة التي خلت من اللغة المحجورة واستبدلتها بلغة أقرب للغة الحياة اليومية، تبلور حس جديد وواسع من المشاركة الشعبية الجماعية في الأحداث الكبرى، ومن ثم

ولزاية في القرن ١٩ تحديداً، وشكلت ثلاث قوى طبيعية ملكية الأرض. الأولى الإدارة المثقفة من قصر الخديوي حيث تم خلق فئات جديدة موالية من خلال مصادرة الأراضي وإعادة تملكها فضلاً عن التوسع في عمليات الاستزراع.. وهكذا تشكلت الحاشية الجديدة المحيطة بالخديو. القوى الثانية تمثلت في أن القطر وقيمتها في السوق العالمية دخل كعامل اسمهم في التشجيع على إنشاء ملكيات زراعية كبيرة. العامل الأخير هو النمو السكاني المتزايد بعد عام ١٨٥٠ الذي أسهم في تضخم الأسعار وانخفاض أجور الفلاحين وتفتتبت الملكية الزراعية.

تخضع كل قوة من هذه القوى أو العوامل لتخصيص وإثر ودراسة شاملة موفقة، ويتتبع المؤلف كل منها والتأثيرات المتبادلة بينها مستخدماً وثائق لم يلتفت إليها من سبقوه من الباحثين والمؤرخين. على سبيل المثال يدرس تأثير التغيرات الاقتصادية، على طوائف الحرف من خلال ما اكتشفه من عرائض مقدمة من الطوائف للحكومة ينتمس فيها هؤلاء الشيوخ (شيوخ الطوائف) بتحقيق المؤلف معينة مثل شيخ طائفة سائقي العربات الذي تقدم بشكوى من إيجاب الحكومة لهم على تحديد أجر ثابتة يتقاضونها، أو شيخ طائفة الوزارين الذي يتعرض لاحتجاج من التجار المصريين على خصخصة نشاطه كان مستقلاً خاضعاً في السابق لقوانين الطائفة وتحت إشراف الدولة.. والحقيقة التي أوردت على المثل السابق لأبين فقط كيف حال الطوائف والوثائق الجديدة التي اكتشفها. وكيف أعاد من خلالها تقييم ودراسة التغيرات الاقتصادية المصاحبة لزلزال القطر.



وينتقل لدراسة الموقف فيما يتعلق بالانتلجنسيا من المهنيين والوزارات الدينية الشعبية والجماعات التعليمية التي تعمل مقابل الأجر (أي مثقفي العصر الحديث الذين تعلموا في المدارس الأهلية الجديدة) مستخدماً وسائل مشابهة للوسائل الحديثة التي أعادها قراءة ما اعتري الطوائف وشيوخها واستبدلتها بلغة أقرب للغة الحياة اليومية، تبلور حس جديد وواسع من المشاركة الشعبية الجماعية في الأحداث الكبرى، ومن ثم



سعاد حسني



مدال إسماعيل



سناء جميل

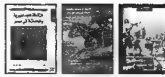
لتكامل مصر مع أوروبا، وجماعة أخرى تعارض انتهاكات أوروبا لصالح الارتباط بملاقات أكثر متانة مع الأنصاف. ومع أن أغلب أصولهم من الشراكسة وتم جلبهم من وسط الجحافل الزاحفة إلى القوقاز كعبيد ومحظيات وجنود عبيد منذ القرون الوسطى، إلا أنهم سرعان ما ذابوا داخل الطبقة الحاكمة التي تشكلت قطاعاتها

الأخرى من الترك مهاجرين. بقيت ثلاث فئات هي الأصيان المصريون، من أبناء البلاد، وقوام هذه الفئات كبار ملاك الأرض، ومن ارتقى في وظائف إدارية عليا، وكبار العلماء وبعض خريجي المدارس المدنية. وفي الوقت الذي بدأت فيه طبقة جديدة من النبلاء العثمانيين في انتزاع الأرض الزراعية العلماء المنتمين على السلطة في الأزهر بعد أن كان شيخ الأزهر تقليدياً شافعي.

كما بقي الأوروبيون وهي ذاتي الفئات التي وصل نفوذ أفرادها إلى حد تشكيل نوع من «الجلس الأعلى» القادر على فرض سلطانه على الخديو والوزراء بدعمهم السفن الحربية الرابطة في البحر المتوسط و١٣٠٠ أوروبي يعملون في الخدمة المدنية لدى الخديو ونحو ١٠٠ ألف من البعثيين والإنجليز والفرنسيين والإنجليز. وثالث الفئات هي «الغلام» من مسيحيي لبنان الذين تدفقوا على مصر مع ازدهار القطر كتجار ومترجمين فضلتهم الإدارة المصرية بسبب تمكنهم من اللغات الأوربية والسفن الحربية على السفن الأوربية. انقسم هؤلاء الغلام إلى جناح مساعد للأوربيين ينضمم للانحياز المصري، وهي مفارقة لا تخلو من دلالة، وإلى جناح مؤيد للأوربيين ويتناصر الحكم المطلق.

وشق رجال المال من الأوربيين طريقهم من خلال إقراض المال للوالى المصرية على القطر. وفي عام ١٨٧٦ يشجعهم إنشاء الحاكم المختلطة على الاستثمار في الأراضي، ويبدأ ثلاث سنوات فقط يقضي القناصل الأوربيين الخديو إسماعيل وينصرون إليه.

ينطلق جوان كول في الفصل التالي لمعالجة التغيرات الاقتصادية التي لحقت بمصر منذ عصر إسماعيل وتأثيرها الاقتصادي على الفلاحين والطوائف من الدينين والمثقفين. واقتضى هذا دراسة ملكية الأرض التي خضعت لتغيرات



منهاج التاريخ الغريب



هو ممتاح الثقافة الشعبية في وسائل الإعلام، وتاريخياً كانت هذه الثقافة وسيلة لتحقيق الهوية القومية، إلا أنها نشأت مختلفة كيميائياً عن الخطاب الرسمي. وإذا كان التحديث في الغرب يرتبط بإعادة بحث أو اكتشاف اللغات اللاتينية الكلاسيكية، التي أملت بمرور الوقت، واتجه الأوروبيون إلى اللغات المحلية (الإنجليزية والفرنسية والألمانية والبولندية.. إلخ) وأسهم هذا بشدة في تقوية القوميات والأقويون المختلفة.. (١) كان هذا هو الحال في الغرب، فإن مصر والبلدان العربية ليس أمامها خيار، لأن اللغة مرتبطة بالدين. أي لغة القرآن، لذلك ظلت هناك «لغة»، صحيح أنه ليس هناك سر ديني يفصل بينهما وثمة تأثير وتأثر متبادل في علاقة كل منهما بالآخرى، الأولى، هي الكلاسيكية المعقدة التي يحسنها بها الرسمي، والكتاب والفقهاء، والثانية، هي اللغة المحلية الشعبية التي يتحدث بها الناس.

في هذا السياق يتناول المؤلف فترة السبعينيات، مؤكداً أنها شهدت ضاميراً حاسماً للثقافة الشعبية الحديثة، ويدل على هذا بمثل يستمد من السينما، ففي فيلم «لو كنت غني»، الذي انتج عام ١٩٧٢ جرى حل مشكلات التحديث من خلال تدخل الأستقراطيل المقدم الذي لا يملك المال فقط، بل يملك سر المنة الذي يمكنه من إدارة المؤسسات الحديثة.. وهكذا ينتهي الفيلم وكل في مكانه الصحيح: العمال المساء يرقصون في الشوارع والأستقراطيل المتعلم يتزوج من فتاة متعلمة! أما في ضحايا تحت الصفر، النسخة المعدلة لفيلم «لو كنت غني» بعد أربعين عاماً، يذهب نفس البطل المعدل في نهاية الفيلم إلى السجن.

وفي هذا السياق أيضاً يتناول مسلسل «الراية البيضاء» الذي كتبه أسامة أنور عكاشة وألف بطولته ندى جميل وجميل راتب وهشام سليم وسمية الأنفي وحقق نجاحاً وشهرة مبدئية في أغلب الأقطار العربية.. ولا يقتصر المؤلف بتحليل الشخصيات الرئيسية، بل يسعى لتعريف الشخصيات في الممثلين. ولفت نظره مثلاً تحول هذه الشخصيات إلى رموز على ما يجري، والأكثر أهمية إلى بعض العبارات والتجمل التي وردت على لسان طفلة، ولعبت دورها سناء جميل

أن يناقش هذه المسائل على نحو مختلف تماماً، ولا يتاح عادة إلا لمن تلمس واستوعب اللغة العامية والمعادن والتقاليد والأفكار، «الضمنية» المطروحة خلال السبعينيات.

من جانب آخر، يثير الكتاب العديد من علامات الاستفهام حول ضرورة وأهمية هذا النوع من الكتب والخطاب التي يطرحها، وهو الأمر الذي كانت المقدمة التي تحلى التراجع عن كتابتها للأسف، كقيلة بالإجابة عليها. ويمكن استنتاج أن الكتاب الذي صدر عن جامعة كامبريدج بالولايات المتحدة موجه أساساً للنخبة الأكاديمية المهمة بدراسات الثقافة وطعم الاجتماع.

لم يوجه أرمبرست اهتمامه إذن نحو القضايا التي يشغل بها المستعمرون في العادة، بل المدة التي تعتمد عليها في إعداد كتابه تشمل علاقته وأصدقاؤه والأسر التي تعرف عليها في القاهرة، إلى أي جانب الأغنياء والأفلام السينمائية والمسرحيات، ومنذ الصفحات الأولى لكتابه يشير إلى أن الثقافة الشعبية لها مكانها المتميز في حياة المصريين والعرب عموماً، ومع ذلك فإن «عدم الاهتمام الذي تلاقيه الثقافة الشعبية في وسائل الإعلام من قبل الأكاديميين أمر محير، ويضيق أرمبرست أن المانع الرئيسي في دراسة الثقافة الشعبية أن هناك من يرى أنها ثقافة تجارية يعتقد أنها تنحصر في الثقافة الأصلية، والمقصود بالثقافة الشعبية الثقافة التي تحتوي عليها خطاب الأفلام السينمائية ومسلسلات التلفزيون والأغاني الشعبية التي توصف بأنها «عابثة»، أي أفلام عادل إمام، الذي يتمتع بإعجاب خاص من جانب المؤلف، ومسلسلات أسماء أنور عكاشة وحميد، «الراية البيضاء» وأغاني عدوية.

تلك هي المدة التي عكف المؤلف على دراستها ومحاولة فهم تأشيرتها، والحقيقة أن المؤلف لم يجانبه الصواب ضامناً إلى إشارته إلى ترقع باحثينا وكثباناً عن هذه الثقافة «الهابطة»، حتى إنهم نادراً ما يلتفتون لها أو يعترفون بوجودها!

غير أن أرمبرست يرى أن التحديد

بها من فوق أسرة المتوسط منذ بداية أحداث «الفسخ» في ١١ يونيو ١٩٨٢، ويتابع بدقة تطور الأحداث في شوارع الإسكندرية. ووفقاً لقوائم المصيريين المتقلين في محفوظات الخارجية البريطانية ثري أن ربع المتقلين ممن ينتمون إلى مهن تنظم في صفوف الطوائف الحرفية ومن بينهم ضيق طائفة الخياطين، إلى جانب من يعملون في مهن بسيطة مثل الحماكين وكثاسي الشوارع وعمال الصباغة. كما اعتقلت الشرطة تسع نساء، لاشترaken في أعمال النهب أو لحيازتهن منهوبات، أو بسبب كلامهم في الصحف، واعتقلت عشر نساء أخريات عند قيامهن ببيع المنهوبات فيما بعد. وبالتالي أصبح العدد تسع عشرة امرأة جرت محاكمتهم، يمثلن ٩٠ من إجمالي المتهمين.

وهكذا تتمثل إضافة كوكب الباهرة في رصده بين الموارد المادية والإمكانات التنظيمية والمواد والمخاميم والخطاب الثقافي ليظهر كيفية اندلاع الثورة، وإعلاء أحد هذه العناصر مدافعاً، ويختزل قوة الحجة التفسيرية على حد قوله. الكتاب الأخير في هذا العرض يفتقر لنا فقرة واسعة نحو مائة عام، وهو كتاب «الثقافة الجماهيرية والحالة في مصر» لولتر أرمبرست، ترجمة: محمد الشراوى وصدر عن: المجلس الأعلى للثقافة. المؤلف دارس أمريكي زار مصر في أوائل السبعينيات وأقام بضع سنوات، حيث عمل بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، والتحق في نفس الوقت بصحيفة «الأهرام ويكلي».

مرة أخرى تبرز مشكلة الترجمة في هذا الكتاب، فبعض النظم من مستوى الترجمة، فالألاحظ أن المترجم لم يبدل أدنى مجهود من أجل كتابة مقدمة توضح طبيعة المدي دفعه لترجمة مثل هذا الكتاب، والصياح الذي تم فيه إصداره، إلى جانب الحواشي الضرورية والتحليلات الخفيفة، والافتقار والاختلاف مع الكاتب في القضايا التي يطرحها. في الترجمة ليست مجرد نقل كتاب من لغة إلى أخرى، خصوصاً إذا كان الكتاب يناقش قضايا دقيقة وتتصل بنا على هذا النحو المباشر.

على أي حال، إلا أن المستعمرون يوجهون عنايتهم وهم يناقشون قضايا الفكر والثقافة، نحو مسائل الهوية والتحديث والصومعة، فإن أرمبرست اختار

غريبت بدور نعت جديد من الوصفي الوطني والنفدي.

على هذا النحو يعرض كوكب المناقشة دور الصالونات السياسية في بلورة أيديولوجية المعارضة، والتطورات التي لحقت بتنظيمات الطوائف، ثم انفجار الصراع الأوروبي المصري. ويلفت النظر فيما يتعلق بهذا الصراع أن الروايات الكلاسيكية لم تركز على دور الأعيان وضباط الجيش والمتقنين ضد التدخل الأوروبي الفج والمباشر، بينما تم إغفال دور الجماهير. ولا يقتصر كوكب بدور جماهير القاهرة والإسكندرية، بل إن المادة الأرشيفية التي اعتمد عليها تاحت له أن يطوف في مدن الدلتا والصعيد والفاقة.

ولا تسمح المساحة الآن بعرض ومناقشة الجهد التحليلي الهائل الذي أورده المؤلف فيما يتعلق بأدوار القوى الاجتماعية المختلفة وما لحق بها من تغيرات جاسمة، دون أن يغفل الظروف الدولية المحيطة، غير أنني سأؤكد قليلاً عند مناقشة الأصول الاجتماعية والثقافية لثورة عربي، وبحقيقة أنه بين مائر كوكب اكتشافه لعروض موقعية وقوائم اعتقال، ومعرفة وظواهرهم أتاح له تحصيل القوى الاجتماعية الرئيسية في الثورة، خصوصاً فيما يتعلق بظانته اعتقال ضمت ألف شخص على يد حكومة الخديو في حريف ١٩٨٢، وكذلك المؤلفين على بيان ٢٩ يوليو ١٩٨٢.

ولم يكن الضباط فقط وحدهم في خضم هذا الصراع، بل إن الأعيان في القرى من ملاك الأراضي المتوسطين والصغار والمتقنين بمختلف فئاتهم ومهنتهم وطوائف الصنع والعمال والجماهير. كل هؤلاء لعبوا أدواراً في اشتعال الحريق الثوري الأخيرون تحديد، أي الجماهير. لا نكاد نعرف عنهم سوى العبارات الحساسة، العامة، ولم يهتم مؤرخو الانتماء العربية بتوثيق دورهم في هذا النحو الذي قام به كوكب. يؤكد في البداية أن الجماهير تصدرت على نحو سياسي وتلقائي في آن واحد، ولم تكن مشاعر الكراهية التي ادعتت مبعثها أسباب دينية أو عرقية في المحل الأول، بل لأسباب سياسية واقتصادية في الأساس.

يعتمد كوكب للوصول إلى تصنيفه الخاص على شهادة المصابين التي أدلو



منهاج التاريخ القريب

كتاب الزاوية



أوراق مصطفى كامل

كيف تبليغ الآمال؟

يشعر كل مصري بأن بلاده متأخرة عن سائر البلدان، وأنها ليست في المكانة التي خلقت لأن تتألفها بين الممالك والأوطان، ويحس كل واحد منا بأن هذا الوطن المصري الغنى الكثير الخبرات لو كان لنا دون غيرنا لكننا أسعد الأمم وأحسن الشعوب، ويود لو رآه كذلك، ورأى أبناء جنسه أسياداً في بلادهم أعزاء في ديارهم محترمين في البلاد الأجنبية مبعليين حيث ينهبون. إذا عرف الأجنى أنهم أبناء مصر أنحنى لهم تعظيماً وإجلالاً لشرف البلاد التي ينتسبون إليها وعظمة المملكة التي هم أبناؤها ولكن هذه الآمال وتلك الأمنى تحتاج ضعائر المصريين وتمر على أنفسهم آناً بعد آناً، لا تستقر عندهم ولا تجد منهم رجالاً يعملون لتحقيقها واحتراماً لوطن، أمناً يسرعون في إحياء مجده ورد تروته إلى أبنائه. نعم إنك لو طفت البلاد وجدت أهلها مجمعين على كراهة المحتلين مشغوفين بخلاص مصر من تحت نيرهم الثقيل، رايت أفراداً يمتازون عن غيرهم بالحمية الوطنية والغيرة المالية، ولكن لماذا هؤلاء الأفراد مفترقون؟ ولماذا لا نراهم مجتمعين حول لواء واحد لخدمة غرض واحد عاملين بإتقان لتحقيق آمالهم الطاهرة الشريفة موجّهين قوتهم في سبيل مشترك؟

نحن نعرف جميعاً أدواء مصر ومم تشكى هذه الأم الحنون التعمية. فكيف يكون الدواء في أيدينا ولا نعمل لشفاؤها من هذه الآلام القاسية والأسقام الشديدة؟ لعمري إن ساعة العمل قد أذنت ولم يبق عذر لأحد في التقصير عن خدمة الوطن العزيز وقد علم الخاص والعلم أن خير سبيل للقيام بالواجب الوطنى هو نشر أنوار التعاون بين أبناء البلاد وتزويهم على أساس متين.

الهام، بل إن ذكاه الشخصى وليس إنجازه الموسيقى هو في الشهرة الموسوية التي حققها.

أما في التسمينيات فقد تغير كل شيء، لذلك يركز المؤلف على فيلمين سينمائيين، وهما «خللى بالك من زوزو» و«كابوريا»، كلاهما تعبير عن نبض جديد وتوجه مختلف. في الأول ليلو الأحداث استناداً منطقياً لفيلم عيد الوهاب «الورد البيضاء» على الرغم من أن تسعة وثلاثين عاماً تفصل بينهما. وبينما يدور فيلم خللى بالك من زوزو إلى التخلي عن التراث المختلف والحقا يركب الحداثة دور إداة التراث الشعبى إداة كاملة، نجد فيلم كابوريا متحاراً لرفض الشباب الفقراء للأشياء الفاسدين، فهم يعيدون لحارتهم الفقيرة. وتقدم الأغنية، التي أورد المؤلف نصها. «فرزق كابوريا.. إذا في اللابوريا، تعبيراً مختلفاً عن مجتمع جديد ينهض.. أى أن وسائل الثقافة الجماهيرية تلعب دورها الحاسم في التحولات وكذلك الإيجابية على الأسفلة التي يطرحتها التطور على المجتمع.

في هذا السياق يجب مناقشة أمر مختلف لا يجب أن يعيب إن الذهن، وهو أن الباحثين الذين يرسلهم الغرب والولايات المتحدة، لم يعمدوا مجرد «خواتم»، يرتدون القبعات ويتعاطلون حول نصوص التراث، أو حتى أعمال المخرجين والكتاب والقوميين والنهضويين، بل يتوجهون الآن إلى السمك، إلى اللهجات المحلية والثقافة الشعبية ووسائل الاتصال الجماهيرية والأغاني والمسلسلات والأفلام المؤثرة والمطروحة في الشارع مقوة.



الكتب الثلاثة التي عرضتها في السطور السابقة، ليست سوى أمثلة وتوقف عند أحدثات تاريخية متباينة تماماً، غير أنها تكشف لنا عن بدايات تشكل خطاب جديد للمستعمرين ولحركة الاضطراب، والمعارضة في هذا الأمر، أن هناك الكثير مما يمكن الاستفادة منه للباحثين والمؤرخين العرب، وهناك أيضاً وسائل جديدة للدراسة والبحث أغفلناها للأسف

ومثلت قوة ونفوذ المال الجاهل في التسمينيات، هذه العبارة تحولت في الصراع إلى «قوة مستقلة»، واكتسبت نفوذاً وهيمنة متزايدة. ويبدأ الناس فيما بينهم يتبادلون هذه العبارات على نحو مستقل. وهكذا تحول مسلسل تليفزيونى يقد إثناء عرضه إلى جزء أساسى من الحياة اليومية واكتسب دلالات أكثر اتساعاً.

وكما عبر أرمبريست فإن غرض «التركيبات الإعلامية من أمثال «الربابة البيضاء»، هو الجمع بين الصورة الحسنة (لاين البلد)، الجوهرة في الطبيعة. والأفضل ثقافياً، ويتم بذلك التوحيد بين ماضى مصر العامى الشعبى ومستقبلها الحداثى... لكن «المعلمة قصة العداوى، بنت البلد، تحولت هنا إلى رمز لفساد التسمينيات، بل وتحول للكثير، مفيد أبو الفار، الصغير وممثل الطبقة الوسطى إلى رمز للهوة المصرية والقابض على التراث القومى والمدافع عنه.

في الفصل التالى ينتقل لظاهرة الانقسام الثقافي، ويرفض لثراء الثقافة التي تناولتها، مؤكداً أن التعليم العام الموحد، ليدفع هو الطريق الرئيسى للتحدث في رأى الثقافة الرسمية، بينما تحفل الموسيقى الشعبية بإنجازات لا يمكن الاستهانة بها. فمقامات بيرم التونسي مثلاً تؤكد أن الثقافة الجماهيرية أكثر من مجرد فولكلور أو تعبير فنى ساذج شأنها شأن أعمال سابقيه مثل عبد الله النديم، أو لاحقيه مثل فؤاد جداد، وصالح جاهين وأحمد فؤاد نجم.

أما «الموسيقى الوهابي، محمد عبد الوهاب فيحفل الفصلين التالين بوصفه الأسطورة التي استمرت منذ العشرينيات وحتى التسمينيات، وانتقل عبر علاقته بالشاعر أحمد شوقي في صفوف الطبقات الشعبية التي ينتمى إليها، إلى طبقات أعلى من خلال التحول في اتجاه الحداثة، ذات التأثير الغربى، حيث قام بتغيير «النخت» والبناء الموسيقي، وبدأ من الطابع التركى، قدم طابعاً جديداً يعزج بين الموسيقى الشرقية والغربية. وفي نفس الوقت يقدم المؤلف تحليلاً ممتعاً لسلسلة افلامه التي عبرت في الثلاثينيات والأربعينيات عن حداثة تلطمح للاتحاق بالغرب من خلال ابن الطبقة المتوسطة التي التقى على عاتقها مهام التحول. غير أن عبد الوهاب كان بالغ الذكاء في تحقيق هذه

أعمق الظلمات



**كتب «جاري سمول» في كتابه
«إنجيل الذاكرة» محذراً وناصحاً يقول:
«ليس الوقت متأخراً جداً ولا مبكراً جداً»
لننصر في لعبة تقدم الخ في السن،
(إذا كان للسرطان قواعد، فإن لعبة
الخرف ستكون أكثر إثارة)**



■ من العراية أن تنسب سيرة حياة لمرض الزهايمر. وكان له حياته الخاصة المنفصلة عن حياة ضحاياه، غير أن الزهايمر، بالفعل حياة خاصة يعيشها في الرعب الذي يسببه. وقد قامت جمعية «الزهايمر» في ربيع سنة ٢٠٠٢ بإجراء استبيان شامل في جميع أنحاء الولايات المتحدة. جاءت نتيجة الاستبيان على النحو التالي: قال ٩٥ ٪ أن «الزهايمر» مرض الخرف أو الجنون. مشكلة حقيقية تواجه الأمة، وقال القسم الأكبر من هؤلاء (٦٤ ٪ منهم) والذين تراوحت أعمارهم بين ٣٥ و ٤٩ سنة أنهم «مهمومون باحتمال إصابتهم بالمرض»، يصيب الزهايمر ٥ ٪ من الأشخاص فوق سن ٦٥. وهناك الآن أربعة ملايين أمريكي مصابون بالزهايمر، من المتوقع أن يرتفع عددهم إلى أربعة عشر مليون بحلول منتصف القرن الحالي. ويؤلف «جاري سمول، بالغ شاب» (Gary Small) مدير أحد المراكز المعنية بالتقدم في العمر. في كتابه «إنجيل الذاكرة: استراتيجيات جديدة للاحتفاظ بالذكريات» (The Memory Bible: An Innovative Strategy for Keeping Your Brain Young)، يوماً ما سنفترب كلنا من الإصابة بمرض الزهايمر.

وينفس المنطق يمكن القول بأننا يوماً ما سنفترب أكثر من علاج مرض الزهايمر. وفي سنة ١٩٩٩ وأثناء انعقاد مؤتمر الآلية الجزيئية لمرض الزهايمر، الذي يعقد كل سنتين، قال أحد الباحثين اليابانيين «دايفيد شينك، مؤلف الكتاب الذي تعرضه «النسيان»، ولم يتبق سوى عشر سنوات تفصلنا عن علاج الزهايمر. كان الباحث الياباني سطحياً مثل بقية الباحثين الذين التقى بهم «دايفيد شينك»، لكن أكثر هؤلاء سطحية كان «إيفان لايبيرجر» (Ivan Lieberberg) رئيس البحوث والتطوير في شركة «إيلان» للأدوية، والذي صرح «دايفيد شينك، قائلًا: «لنا في الواقع ثقت في أعقاب عصر جديد. واعتقد أننا قد اقترنا كثيراً من جد المرض».

خاض تصوير «الإيريج» بعد مرور قرن كامل تقريباً على زيارة قامت بها امرأة برميصة لطبيب «ألزهايمر» (Alzheimer) في مدينة «الزهايمر» (Alzheimers). كانت المرأة مضطربة ولم تكن قادرة على تذكر

ترجمة فتح الله الشيخ
New York Review of Books: عن

أن الإجابة على هذه التساؤلات تكمن في الصفائح. وقد جاء أحد الباحثين من هذه الشركة. اسمه «دال شينك» (Dale Schenk) وهو لا يمت بقاربة «دايفيد شينك» صاحب كتاب «النسيان» - منكرة جديدة وبسيطة تلخص في التطعيم ضد تلك الصفائح. قامت الفكرة على أساس أن الصفائح عبارة عن بروتين غريب عن الجسم البشري اسمه «بيتا أميلويد» (beta-amyloid)، ولذلك إذا حقن المريض بكميات صغيرة من هذا البروتين فستكون كميات من الأجسام المصادة له تكفي لالتناصه والتخلص منه في الخ. تماماً كما في حالة حقن كمية قليلة من فيروس حي ضعيف، مثل فيروس شلل الأطفال، لكي يحث نظام المناعة فيكون الأجسام المضادة للفيروس. بحيث إن نظام المناعة الطبيعي في الخ (الحاجز الذي يمنع الدم من إغراق الخ) ليس متقدماً تماماً، فإن عدداً قليلاً من الأجسام المضادة للغلوبول فيها تتمكن دائماً من احتراق هذا الحاجز. لذلك فإن حقن بروتين «بيتا» أميلويد، في الدم سيؤدي في النهاية إلى عبور عدد من الجسيمات المضادة للبروتين إلى الخ. وإذا كان الجسم ينتج الأجسام المضادة بصورة مستمرة، فإن كمية لا تزيد على ثلاثة أجزاء في الألف تعد كافية من وجهة نظر «دال شينك» لاحتراق الحاجز.

بعد فترة وجيزة من تعصيرات «إيفان لايبيرجر» المنفضة أحد انتهاء اللعبة تقريباً في سنة ٢٠٠٠، (قرب التوصل لعلاج لمرض «الزهايمر»)، تأكدت فكرة «دال شينك» ونجحت الأجسام المضادة للبروتين «بيتا أميلويد» في إزالة الصفائح من مخ فئران أصبحت الصفائح تتكون عادية، والعرضان العادية لا تتكون لديها صفائح في الخ ولا تتعرض لمرض «الزهايمر». كانت تفكران معدلة جينياً (Transgenic) بغرس أنسجة صفائح في مخها. وقد أظهرت تجارب «دال شينك» اختفاء الصفائح بعد الحقن بالقاح. كتب «دايفيد شينك»:

«كان بروتين بيتا أميلويد المحقون يحث نظام المناعة في الجسم لينتج الأجسام المضادة المطلوبة والتي كان جزء صغير من يخلق الحاجز الفاصل بين الدم والخ ويرتبط مباشرة ببروتين بيتا أميلويد في الخ. وقيم إزالة المادة المركبة من

حييات وخيوط قصيرة معقوفة، وكانت كمنطاطات تجذب إليها النفايات. أما في الطبقتين الثانية والثالثة من البلاء فكانت تلك الخلايا العصية. العصيونات تقريباً مملوءاً من الداخل بواسطة حزم نادرة من الشعيرات المتشابكة والمجولة بشدة.

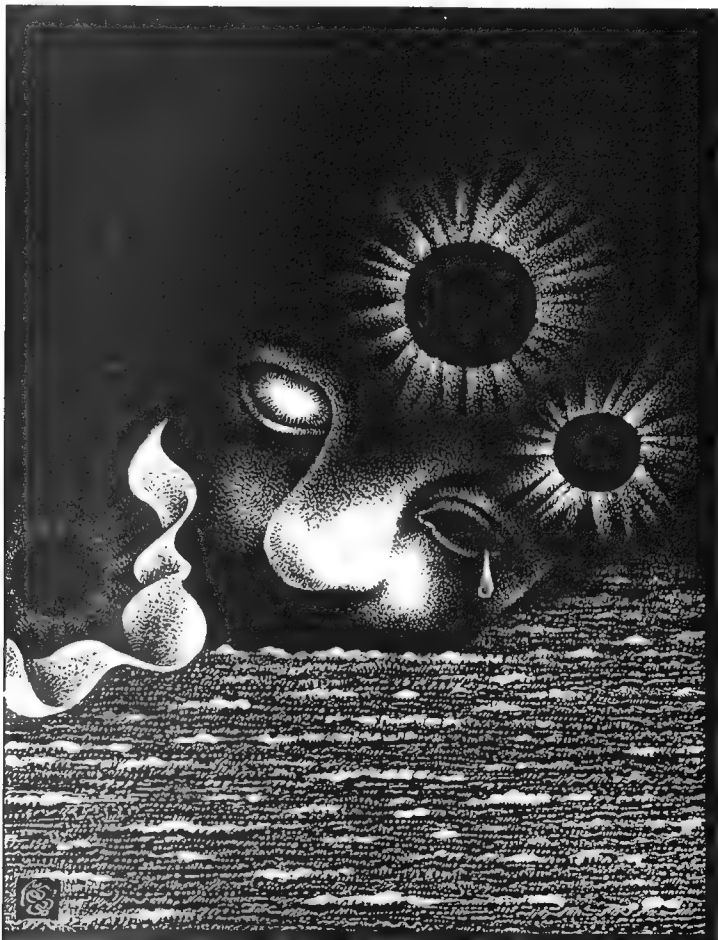
ومنذ ذلك الحين أصبحت الصفائح والتشابكات هي العلامات المميزة والحددة للمخ المصاب بالمرض الذي صار يحمل اسم «الزهايمر». وليس معروفاً بالضبط أي هذه العلامات وراء موت الخلايا العصبية وانكماش الخ وانطواء الجسم على نفسه ثم وفاته، هل هي الصفائح أم التشابكات أم كلاهما؟ أم أن كل هذه الأشياء مجرد مخلفات يتروكها المرض وراءه في حطام الخلايا العصبية؟



كان الباحثون في شركة «إيلان» للأدوية، مثل معظم الباحثين يعتقدون

اسمها، لكنها فيما يبدو كانت بصحة جيدة. وصفت المرأة حالتها بدقة فائقة، لقد فقدت نصوصي... وعلى مدى أربع سنوات ونصف بعد ذلك استمرت حالة الكلام ثم على طعام نفسها وعلى السير وأخيراً فقدت حتى المقدرة على إدراك عجزها. ارتبك «الزهايمر» ولم يعرف كيف يتخلى عن حالته التي لم تكن تتسق مع أي مرض معروف. وعندما فوفيت المرأة وشاهد «الزهايمر» طاعات من مخها اكتشف ما يمكن أن يكون السبب وراء الخرف المبكر الذي أصاب المرأة. ويصف «دايفيد شينك» ذلك قائلًا:

«لقد شاهد الزهايمر المرض أخيراً بعد تكبيره مئات المرات تحت الميكروسكوب. كان المرض واضحاً في الخ فيما يشبه بثور الحصية أو الجديري. وكان اللحاء ملطخاً ومبقعاً بتجمعات قشرية تسمى اللويحات على شكل صفائح ميكروسكوبية بأعداد كبيرة. كانت الصفائح مختلفة الشكل والحجم والبنية، وكانت تبدو وكأنها خليط من



البروتيون والجسام المضادة بذلك ذلك كناية من فطانت الخلايا.

تمكن «دال شينك» وباحثون آخرون من تكرار هذا النجاح من حيوانات تخارب أخرى مثل خنازير فينيشيا والأرانب والقرود، ثم جاءت تأكيدات إضافية من الباحثين في جامعة جنوب فلوريدا، حيث أصبح أن الفئران المصابة لم تشف فقط بل أصبحت أكثر ذكاءً. ويبدو أن التخلص من المصالح قد مكن الفئران من بناء تشابكات عصبية جديدة أكثر من تلك التي أجنت بفعل المرض. وقد كتب «دافيد شينك» في كتابه النسيب، «لقد شفى الفئران تماماً وأصبحت عادية لطيفة ومحسنة ضد الإصابة بمرض الزهايمر».

أحدث النجاح الذي حققته شركة «إيلان للأدوية» دويًا كبيرًا، فقد تماثلته وكالات الأنباء في جميع أنحاء العالم وسار معها في ركب هذا النجاح المدهون العديد من وسائل الإعلام مثل CNN و BBC ومجلة «التايم». ونشرت في وسائل الإعلام ما يفيد أن الفئران لم تكن مقصورة على حيوانات التجارب فقط، بل تبين أن «بيثاميلويد» غير ضار بالإنسان. لم يكن ذلك يعني أن الحلقات يعمل بنجاح في حالة الإنسان، لكنه أن أمنا ويسمح بترجيحه على متطوعين لتجديد هائلته.

كانت هذه هي لحظة الأمل التي أنهى عنها كتاب «النسيان» في سرده حيرة مرض «الزهايمر»، لكن السباني من أجل العلاج كان لا يزال مشتعل وبدا وكأنه قاب قوسين أو أدنى من النهاية. التحسن الذي في شمس الحزن التي دخلها بها «دافيد شينك» أحاسيسنا هي كتابه:



«في دراستنا للزهايمر نستعرض مراحل حياته لتسرد لنا بنياتها من اهتزازات والتواءات، فغضنا بتقديم المرض بلا رحمة نحو الانقضاء النهائي لن يعادونا، يكون بمثابة مأساة لملوث بصورة يندر أن تتوفر بطريقة أخرى، فالحالة الفاصلة التي تحقق فيها الروح نزاهة في عزم بطيء جدا يمتد لسنوات، إنها هي مرض بشكل أكثر كبراً، ما يمكن أن يتخيله بشر، لكنها كذلك تكون أكثر الأمور حدة وتأثيراً فيما يتعلق المسؤال الجانبي: لماذا وكيف أصبحت الحالة الإنسانية أسوأ غير عادي؟ وهي، اللحظة الممتدة لسنوات، أفضل ما نملك نحن الآن من وسائل نسلطها على مفهوم الضياع».

كل ذلك حقيقة كانت وما زالت قادمة. في يناير ٢٠٠٠ وبعد عامين من الإعلان المدوي عن الشفاء الموصود بواسطة لقاح بيتاميلويد، وبعد أقل من ستة أشهر من ظهور كتاب «النسيان» اضطرت شركة «إيلان للأدوية» أن تعلن عن شيء آخر لكن في هدوء ودون ضجة إعلامية أو ضوضاء. ظهر الإعلان على موقع الشركة في «الإنترنت»: «فجأة وبدون مقدمات أصيب أربعة من المشاركين في المرحلة الثانية لاختبارات فعالية لقاح «بيتاميلويد» بالتهاب في المخ (Encephalitis)، وأصيب غير معروف». [التهاب المخ، حالة تصيب المخ نتيجة العدوى بفيروس في معظم الأحوال أو بالتكرار في حالات قليلة، وتختلف أعراضها من مجرد صداع خفيف لفترة محدودة إلى الحمى والقيء وحمى الالتهاب، وبعد شهر أي في فبراير سنة ٢٠٠٠م أصيب أحد عشر شخصاً من مجموع الثلاثمائة المشاركين بنفس الحالة في المخ. وقد صرح «إيفان» ل«إي.بي.سي» في حديثه مع «الواشنطن بوست» بأنه تم يلحظ أبداً أية علامة تدل على أن هذا الشيء الفظيع يمكن أن يحدث، وأن الأمر كله صدمته مبصرة «إيلان». وفي مارس أوقفت الشركة تجاربها على لقاح «بيتاميلويد»، لكنها ما زالت تواصل أبحاثها على أدوية أخرى

مرض «الزهايمر» عن طريق إثارة جهاز المناعة ضده. وفي مواجهة الإخفاق في التخلص إلى دواء لعلاج المرض، كما حدث لتوصل «إيلان» ونفراً ما يمكن الاعتماد عليه من أدوية أخرى، وفي ضوء التحدي التي تصعب الحياة أمامنا، وفي وجود بيئات يتوقع أن يرى أعداداً متزايدة من أبنائه تقع ضحية «الزهايمر»، (سواء ضحية معارضة للمرض أو كتاليات مرتبطة للإمناق عليه أو مجرد معالجاته في الأهل والأصدقاء)، في هذا الجو لا بد أن يرتفع توزيع أي كتاب مبسط في علم الأعصاب، وتخطى الكتب من هذا النوع المصابين بالمرض من جهة ومجهر القراء العرضيين المصابة به من جهة أخرى، وهم ببساطة نحن، أي الذين يستمعون زحف المرض البطيء، المكنش، ولا تمثل هذه الكتب علامات ثقافية في لحظة ممتدة من تاريخ الشعب فقط بل



تمثل كذلك علامات شاهدة على العجز الجماعي الذي تنامي أعداد المصابين به.



وترتبط هذه الكتب ببعضها بشكل قدرى محتوم، فكلها تلعب على أوتار الرهبة والخوف متآخرة بالأمل. وقد تورط في ذلك كتاب «دورانس والي» (Lawrence Whalley) «العصر» (The Aging Brain)، ومع ذلك فهو مقروء بيسر. قام المؤلف في هذا الكتاب بعرض وتحليل الأبحاث الحديثة ليرسم خريطة التغيرات الفسيولوجية التي تحدث في المخ عندما يتقدم العمر بالإنسان. ولا يتناول الكتاب الموضوع بمصطلحات علمية رفيعة فقط بل يستخدم لغة مبسطة لطيفة. كتب «واللي» في مقدمته:

«يحدثنا هذا الكتاب على التقدم الهائل في الأبحاث في أمراض الدماغ العصبية والجزيئية وتقنية الكمبيوتر وتوسع بها في مواجهة التضاوم السائد حيال ما يفعله لنا المستقبل، ويقول في مكان آخر من المقدمة: «تعرض هذه الأفكار الجديدة احتمالات حدوث استولات للحياة في مراحل العمر المتقدم وذلك بإيقاظ التلطف الذي يصيب خلايا المخ ويحفه إلى التدهور. وقد يصبح من الممكن توجيه هذه العملية في الاتجاه العكسي، أي إعادة إحياء الخلايا العصبية التالفة».

وفي الواقع فإن أسلوب كتاب «الدماغ» الذي يتقدم في العمر، أكثر جاذبية من المقدمة. ويوم «دورانس والي»، الذي كان عضواً في الفريق الذي اكتشف في سنة ١٩٨٠م الارتباط بين الكورموزوم ٢١ والإصابة بالخرف بمرض «الزهايمر»، يميل إلى توجيه الأسئلة أكثر من ميله إلى صياغة الاستنتاجات من الأبحاث التي يعرضها، وهو لا يفضل التفسيرات البسيطة والمألوفة للأبحاث. فضلاً، يتسلل تفكيره إلى النحو التالي: «إننا لا نلوع أن تؤدي مناقشة تأثير الشقوق الحرة (Free Radicals) على تلف الخلايا العصبية إلى الانفعال (الخوف) لتناول جرعات كبيرة من فيتامين (E)»

ومضادات الأكسدة الأخرى، لكن سيؤدي ذلك بالأحرى إلى استيضاح ما إذا كانت الأكسدة سبباً في تلف الخلايا العصبية أم أنها نتيجة لهذا التلف. وقد يكون بروتين بيتاميلويد، وهو السهل من تكون الشقوق الحرة في مجرى الدم. ومن الممكن أن تؤدي دراسة الخصائص الإقلال من التأثيرات السمية العصبية «لبيتاميلويد».

وفي مكان آخر يتناول «واللي» اللدانة (المرونة) الأساسية للمخ، أي قدرته على بناء الوصلات وإعادة توجيه نفسه. أضافت من فيتامين (E) (هـ) الفرض منها الإقلال من التأثيرات السمية العصبية «لبيتاميلويد».

في مكان آخر يتناول «واللي» اللدانة (المرونة) الأساسية للمخ، أي قدرته على بناء الوصلات وإعادة توجيه نفسه. أضافت من فيتامين (E) (هـ) الفرض منها الإقلال من التأثيرات السمية العصبية «لبيتاميلويد».

في مكان آخر يتناول «واللي» اللدانة (المرونة) الأساسية للمخ، أي قدرته على بناء الوصلات وإعادة توجيه نفسه. أضافت من فيتامين (E) (هـ) الفرض منها الإقلال من التأثيرات السمية العصبية «لبيتاميلويد».

في مكان آخر يتناول «واللي» اللدانة (المرونة) الأساسية للمخ، أي قدرته على بناء الوصلات وإعادة توجيه نفسه. أضافت من فيتامين (E) (هـ) الفرض منها الإقلال من التأثيرات السمية العصبية «لبيتاميلويد».

أطراف خلايا المخ، وهي تشبه فروج وأغصان الشجر التي تصفر في الحميم كلما ازدادت تسهما وأصابت إلى الخارج. وإذا لم تستخدم هذه الزوائد فإنها تكتسح وتقتصر، لكنها إذا مارسنا التدريبات الذهنية الجديدة بطريقة خلاقة ستداوم الزوائد نشاطها كلما عبرت من خلالها معلومات جديدة. والجدير بالذكر أنه بهذه الطريقة يمكن أن تتكون زوائد وأطراف جديدة حتى بعد ضمور الزوائد والأطراف القديمة في خلايا المخ. وتدل المشاهد على أنه يمكننا إنشاء زوائد أو أطراف جديدة وجعلها تمتد بسرعة طرق، فالنشاط اليومي العادي مثل العناية بالحذاء أو غسل الأطباق يمكن أن تشكل رحلة داخل الخلوات الكيوكسوكية، التي هي خلايا المخ. بأطرافها وزوائد إله صلالة الحيوينزوم.

ويستمد الأطباء على المفاهيم العلمية الأساسية في ممارسة أعمالهم حتى ولو كانت لغتهم منفرقة ومتكسكة أحياناً. وهم يقومون بتصوير المخ بطريقة المسح الطبقي بالأشعة الموجبة (Positive Emission Tomography) ويرمز لها اختصاراً (PET). وقد أظهرت هذه الصور أن نشاط المخ يزداد عند تعلم شيء جديد أو لغوية على التعليم والتحصيل. وقد بينت الدراسة الشهيرة التي أجراها هاليد ستودين، (David Snowdon) على أكثر من ٧٠٠ (سبعمئة) رابية لمدة ١٦ عاماً أن الأذهان الأكثر نشاطاً في الأهل احتمالاً لا بعض المرضى. ومن المعروف أن بعض أجزاء المخ تتوقف عن العمل إذا لم تستخدم، فإذا استمرت مرة أخرى لتعير ترتيب خلايا المخ في الحيوينزوم، فإننا سنجد أن ذلك يؤدي إلى تخليق الخلايا العصبية. ويبدو أن هذه الأمارات تقوم مقام الخلايا العصبية عندما تمتوت الأخيرة في منتصف العمر أو في الشيخوخة.



يحدث جون راتي، (John Ratey) - أستاذ علم النفس بكلية الطب جامعة هارفارد، حنو جارو سمول، في كتابه دليل استخدام المخ، (User's Guide to the Brain) أن افتتاحه بأ قيمة الكتاب الموسوعي، مثل كتابه، تكمن في كونه مفيداً، ويكتب فإذا قدري كيف يتطور المخ لاستطاعة فهمنا من أجل حياة صحية مزدهرة وبعيدة، والأمراض الواضحة دون مواربة خلف هذه الكلمات هو أن واحد منا يستطيع أن يبرأ القدر

الإحصائي المحتوم، ويتجنب الجنون أو الخرف. وهو ليس المعنى الذي نتناوله كتاب إنجيل النافرة، وبدرجة أقل كتاب الصالح الذي يتقدم في العمر. وفي الحقيقة فإن هذه الطريقة تكمن في ادمنتنا نفسها. وكما يقول «جون راتي» في نظام معقد مثل المخ يعتمد الأمر علينا كلية.

ويبين ذلك أهمية وخطورة أن نعرف كل شيء عن المخ، ولذا يتعد ذلك أهمية الحياة الطلاقة وحيث إن كل ما نفعله يؤثر في كل ما يتبع ذلك فإننا نجد المخ يتطور بطريقة لا يمكن التنبؤ بها. والعامل الذي يحدد مسار تطور المخ، فقد يكون بعض العوامل الأخرى نفس التأثير في حياتنا مثل نوع التدريبات التي نمارسها والنوم والقامة الغذاء والأصناف والأشعة التي نخترها.

وقد يدل الباحثون الكثير من الجهد خلال العقدين الأخيرين في البحث عن الأسس الجينية لمرض الزهايمر، في محاولة لاكتشاف علاج طبي له، وتمييز المفهوم الوراثي من مفهوم «الحرية المطلقة» عند «راتي»، وفي هذا الصدد قام دكتور «والتر» والي، بإحصاء الحالات المتعددة والمتداخلة لمرض الشفرة الجينية للمرض في أكثر الأجزاء شغوباً وتحدياً من كتابه. وقد تضمنت هذه الحالات أباحاً الخاصة والتي ساهمت في محاولة الربط بين «أعراض دارن» (Down's Syndrome) أعراض لنسج من خلل في الكروموسومات وتظهر في التخلف العقلي وتقلص حجم الدماغ وجود انشاثات في الجلد عند حالة العين الداخلية ولذلك كان يسمى «المخلوية» ويمكن اكتشافه في الأجنة قبل الولادة، «مخرج» مرض «الزهايمر» وويل الكروموسوم ٢١ [الكروموسوم، بنية معينة موجودة في أدوية الخلايا الحية تحمل الجينات، ويتكون كل كروموسوم من ضفيرة طويلة جداً من دنا الحمض النووي، مضفوفة، ويسلك الإنسان ٤٦ كروموسوماً في خلاياه. مترجم] ومن المعروف أن كل من مصاب بإعراض ألزهايمر ينتهي الأمر به مصاباً بمرض الزهايمر، كما أنه من المعروف كذلك أن المصابين بأعراض «دارن» يمتلكون نسخة إضافية من الكروموسوم



٢١ أو نسخة إضافية من ذيل هذا الكروموسوم ملتصقة بكروموسوم آخر. لذلك من المتوقع أن يكون هناك شيء ما يستحق أن نعرفه عن مرض «الزهايمر» مستتباً في داخل الكروموسوم ٢١، وهكذا شرع العلماء في جمع مكتبة جينية خاصة بذيول الكروموسوم ٢١، وأخذوا ينقبون بالذات عن الأسر التي تتكرر فيها الإصابة بمرض «الزهايمر»، وفي نفس الوقت كان هناك باحثون آخرون في المعامل أخرى يحاولون كل شفرة (تسمل) بروتين «بيتا أميلويد» الجينية لتدل الكروموسوم ٢١ المستخرج من اللحاء البشري إلى اكتشاف التناطبق بين جزء من دنا (DNA) مع التسلسل في بروتين «بيتا أميلويد». كان ذلك جزءاً من جين مشفر للبروتين المكون من ٦٩٥ حمضاً أمينياً يطلق عليه الآن «سلف» «بروتين-أ أميلويد» (Amyloid precursor protein) أو اختصاراً APP.

ما تكن الخطوة التالية معاجلة بالرة فقد اكتشف الجين APP في الكروموسوم ٢١. أدى ذلك إلى اكتشاف السبب في إصابة عدد قليل بالزهايمر، في سن مبكرة، والذي اتضح أنه خلل في النسخ APP. وقد بينت البحوث التي جاءت بعد ذلك أن حالات أخرى للإصابة المبكرة بمرض «الزهايمر» قد تسبب فيها تطفر يروج من الجينات الموجودة في الكروموسومين ١ و ١٤.

وتصل نسبة الإصابة المبكرة بالزهايمر، إلى ١٠ ٪ من مجموع المصابين، لكن المرض يصيب أكثر انتشاراً بعد سن الخامسة والستين وتتضاعف أعداد المصابين به كل خمس سنوات من التقدم في العمر بعد ذلك. وهؤلاء المصابون هم من كان الواسع الزهايمر، يظن أنهم يعانون من مجرد التقدم في السن، بينما يرتبط مرض «الزهايمر» بالتقدم في السن، فإن العوامل الجينية بلا كل لها تأثير ملحوظ في الأخرى، ويبدو أن إحدى صور جين معين يقوم بتخليق بروتين ينسجل بالدهون والكوليسترول عبر الجسم (بروتين-٢١) (APOE ٤) تزيد من احتمال الإصابة المبكرة بمرض الزهايمر، بنسبة ١٠ ٪. وفي لاحظ، «والى» أن هذا الجين يظهر في ٢٢ ٪ من حالات «الزهايمر» بالزهايمر.

لكن كيف ولماذا يحدث ذلك؟ لا يعرف أحد حتى الآن. وتبعاً لأحد الفروض فإن هذا الجين يعمل كمراقب أو وصيف جزئي بلازم «بيتا أميلويد»، عبر المخ. لكن فرضاً آخر يقول أن هذا الجين يقلل من مقدرة المخ على تكوين المشابكات. وقد أصبح من الممكن اليوم الكشف عن (APOE 4) عند الأشخاص لتحديد المعرضين منهم للإصابة بمرض «الزهايمر». لكنهم ليسوا بالقطع سيصابون بالمرض. وكما قاله الدكتور «سول» APOE 4، كما يقول «جارو سمول»، في إصدار الأشخاص المعرضين للإصابة ليتواءم أساليبهم معينا في لتدوير المخ وممارسة التدريبات الرياضية وتقليل الدهون في الطعام، «لا لاحظ جارو سمول» أن الأشخاص الذين لا يوجد APOE 4 لديهم وإقاموا باتباع حمية. ريجيم، غذائي منخفض الدهون قد تمنتص فرسهم كثيرا في تجنب المرض.

من الممكن أن يكون تفسير أسلوب الحياة هو بداية الطريق للفلكا من أحتى القدر المحتوم (الإصابة بالمرض) أو حتى تجنبه تماما. وحيث أن وجود الجين عند شخص ما لا يعني بالضرورة أنه سيصاب بالمرض، وحيث إن تسجيل وجود الجين في التاريخ الطبي لا يتوجب سببهم بعلامه مميزة مما يستلخص السيرة التامة، فإن المعهد الوطني للتقدم في العمر وجمعية «الزهايمر» دأبا على تسجيل اعتراضهم على استخدام الكشف الجيني لتحديد الأشخاص المعرضين للإصابة بالمرض. ولا تجري عملية الكشف عن الجين APOE 4 إلا في حالات الشك في التشخيص التي يرجح فيها الإصابة (وحتى الآن لا يمكن إجراء التشخيص النهائي إلا بعد الوفاة عندما يمكن تشريح المخ) φφ، وهو ما يثبته الباحثون جميعاً بمن فيهم «جارو سمول».

وينحاز الباحثون للرأى القائل بأن مستوى التشخيص النهائي هو أفضل مؤشر لا يمكن التناقص عنه لتعقب باحتمال الإصابة بمرض «الزهايمر»، ويصدق هذا المؤشر على الدراسات التي تجري على الأشخاص الكبيرة مثل زهابات «دافيد ستودين» أو الأبحاث التي أجراها كل من «والى» و«راتي» و«سمول». ولا يستطيع أحد أن يعرف لماذا أو كيف تعمل هذه الألية! لكن من الحكمة البحث عن تفسير لها. وقد وجد «جارو سمول» وفريقه أثناء فحص مجموعة من الضحايا الأضحاء أنه:

عندما درستنا تأثير التعليم العالي بالإضافة إلى العامل الجيني APOE4 للزهايمر،

وجدنا كما توقعنا أن الشباب ذوي النشاط البدني الأكبر هم الذين أنفوا دراستهم الجامعية ولا يوجد لديهم الحزن APOE 4. ومن المثير أننا اكتشفنا أن تأثير التعليم العالي على مخزون (أو رصيد) النشاط في مخ الإنسان أقوى من تأثير الجين الخطر APOE 4 ، غير أنه لا توجد أية دلائل تفسر آلية الحماية التي يوفرها التعليم لخلايا المخ.

وقد تكون العلاقة بين التعليم العالي ومرض «ألزهايمر» مجرد علاقة وصفية أكثر منها شيئاً يمكن توضيحها لتوابع الإصابة بالمرض. يقول كل من «والى» و«سمول»، أن الالتحاق بالتعليم العالي ربما يكون نتيجة لأسور أخرى تؤثر في حد ذاتها على الصحة عموماً وعلى تطور المخ بالتحديد، مثلاً هي ذلك مثل التغذية الجيدة أو الحياة النشطة. وربما يكون الأشخاص الذين اختاروا متابعة التعليم العالي هم الذين يتمتعون بنمط حياة صحي ومنظم. بالخرف. أما «دافيد سميثون» و«جاري سمول» فمن رأيهما أن عينة من كتابات الأشخاص وهم في العشرينيات من عمرهم تمثل مؤشراً جيداً لاحتمال الإصابة بـ«ألزهايمر» عندما يتقدم بهم العمر، فكيفما كانت الجمل المكتوبة أكثر تعقيداً في بنيتها، فإن فرص الإصابة بالخرف بعد أربعين أو خمسين سنة. وعليان أن نرصد منذ الآن ما سيحدث في بلدنا (الولايات المتحدة) الذي تتزايد فيه نسبة الشباب الذين يختارون الالتحاق بالتعليم العالي لئلا نرى مدى صحة هذا الرأي.

تصنع الاستثناءات الإحصائية. قصصاً جيدة مع أنها لا تثبت أي شيء. ومن هنا تأتي أهمية كتاب «دافيد شينك»، «النسيان» فهو لم يصيب سيرة حياة مرض «ألزهايمر» بل أخذ يتتبع مسار المرض في عدد من مشاهير المفكرين والفنانين مثل «رالف والدو إيمرسون» (Ralph Waldo Emerson) و«جونان سوينت» (Jonathan Swift) و«ويلام دي كوينينج» (Willem de Kooning) و«ويلام دي كوينينج» هو حالة «ألزهايمر» المرضية المؤكدة، أما الآخرين فقد تقبوا منيتهما قبل اكتشاف مرض «ألزهايمر». وقد بنى «دافيد شينك» تشخيصه لمرضه من واقع السمات. عاش كل من هؤلاء حياة ذهنية متميزة وكان كل منهم نشطاً عندما تحول إلى الحالة التي هم فيها حالياً. ربما كانوا (ولاً لحظتنا نادرة وربما غير مسبوقة في حدة النقص بالنسيان) لشخص يعاني مرض «ألزهايمر» غادر

«سوينت» هذا العالم وهو يكتب «إنسى شيء». أما حالة «دي كوينينج» فهي تثير أسئلة مهمة حول الفن والعزم والتصميم، ما قيمة العمل الذي ينتج والى على بالقيوس؟ غير أن قصة «دي كوينينج» أخاذة. أما «إيمرسون» فقد كتب في مقاله «الذاكرة» سنة ١٨٥٧م يقول: «إننا نقيم الإنسان بقدر ما يتذكره» ويحول عام ١٨٨١م كان بالكاد يستطيع أن يوقع باسمه، وإذا فعل فإنه كان لا يتذكر ذلك.



كان التدهور الذي أصاب «إيمرسون» منذ كان للثلاثين من عمره، ولتبدأ رواية ابنه «إوزارد» فإن الكتاب نفسه لم يكن يلحظ ذلك. ويظن البعض أن هذا التدهور النهائي بمثابة عزاء أو مواساة لمرض «ألزهايمر»، فالشخص المصاب لا يسي ولا يترك ما الذي فقد. وقد كتب «إوزارد إيمرسون» في أو آخر أيام والده أنه كان يعاني قليلاً جداً. لكن، هل النسيان عزاء ومسواساة؟ أم لا؟ تجيب: الإجابة عن هذا السؤال من كل صفحة من صفحات مذكرات «دي بياجيو» (De Baggio) الضخمة وعناونها «فقدان العقل». كان «دي بياجيو» يكتب عيشه من العمل بسببنا في واشنطن. ومن الكتابية، أصيب الرجل «ألزهايمر» سنة ١٩٩٩م وهو بعد في السابعة والخمسين من العمر. وفيما عدا ذلك فقد كان صحيحاً وسليماً ونشطاً من الناحية الاجتماعية، وقد أنجز ثلاثة كتب وله تاريخ سياسي حافل وأسرته متماسكة. لكن شيئاً من ذلك لم يشفع في التغلب على ما يمكن أن نسميه «الحظ الوراثي السيئ».

كنت أعجب... عندما أسعج شخصاً ما يتحدث عن هذا المرض وكأنه جاء نتيجة تغذية غير صحيحة أو سلوك سيئ... يمكنك أن تفعل كل ما هو صحيح وجيد لتتجنب حيلته لكن، كما يمكنك اعتناق فكرة أن الإنسان يمكن أن يعيش حتى ٢٠٠ عام، لكن لا تتسأل أن لك والد، ورجلاً وأولمداً جاءوا نتيجة أكثر من التبادل الجيني. وعندما تستيقظ من نومك كل صباح فإليك، تفعل ذلك وأنت



ممثل يحمل من تاريخك الوراثي... وهو حمل لا تشعر به لطفته... وليس خطأك أن يكون لك جين معطوب سببتي عليك يوماً ما، لكنه تصيبك أو قدرك الذي عليك أن تحمله على كاهلك أينما ذهبت. ولا مجال للثائق وأنت لتلاحق صحتك.

ولا يحسب «فقدان العقل» أي تأنيق، فالثنائق مثل أوجه الثقة بالنفس الأخرى ليس متأكداً نحن نصح بالشكوك والصمت. يتأكد «دي بياجيو» عندئذ إحساس واضح بالتاريخ، لكنني لا أدري هل هذا التاريخ يخصني أم لا؟ تخفتني الأنقاط (الأسماء) التي تلازم الأشخاص ويختصني معها الإحساس بالامتلاك وبالحدود الفاصلة. لكن التكريرات البعيدة تبقى. ويواجه «دي بياجيو» أن يجمع سويلاً قطعاً من ذكرياته الخاصة مما (بطريقة التفكير والترييض) بلا نظام واضح يمنح حياته تاريخاً. وعليان أن نتخيل التحديات المعقدة القاسية التي واجهها ليضع الجمل والمفردات في كتابه دون أن يشعر بذلك. كانت كتابته سلسة على الرغم من الصعوبة الباقية التي كانت تقهجه لمجرد الكتابة. لقد علمني «ألزهايمر» أن أبعد في نفس المكان عدة مرات من الشيء الذي أريد، كما يقول:

«ترسو الحياة على شاطئ الذكريات. كانت كلماته تشع كداء وشوقاً إلى الالتحاق والحرية، وكانت كلماته تنير علماً متداً من الظلام.

استغرق الأمر تسعة أشهر، لم يكن يصعد «دي بياجيو» فداً في حمل على الشمل المضى. أصبح يتعثر ويتوقف بين الكلمات لكن اللغة لم تعجزه أبداً فقد كان عليه أن ينتهي من الكتاب. إنني أعتقد على حافة عالم جديد، وهو مكان لن أتكن من وصفه، لم يكتب في النهاية «إله آخر الأملكن المخشيتة» يشفع عليه نصب كأنه شاهد على ضروخ... إنه أمر موحش أن تقف في انتظار الذائكة، أن تتوقف وأنت خائف ومرهق. كان الصمت في آخر صفحة من الكتاب هو صمت الكاتب. وكان رهيماً سويلاً.

وتصور الآلة التناقص في البحث العلمي يحركها فناء الأشياء. وقريباً ستختفي من على الأرفق، الدوايح التي كتبتها، ولورانس والى، وجونان راتني، وجاري

سمول، ليحل محلها روائع أخرى أكثر حداثة. وفي غيبة العلاج والنواء ستبقى بعض هذه الكتب بتلطيف وتخفيف «ألزهايمر». وقد نتجج بعض الكتب في ذلك لكن فقدان الذاكرة، لن يلعب هنا الدور ولن يسكن مخاوف أي أحد. لذلك ولهذا السبب البائس، وللجمال الرعب والمخاوف التي يفرسها مرض الرعب والصديق الذي يضمه الكتاب بين دفتيه، لن يصبح هذا الكتاب قديماً أبداً.

نهاية الهديث

تكن الباحثون في جامعة تكساس، في الولايات المتحدة من استنزاع خلايا جينية (stem cells) في مخ فئران التجارب وتحويلها إلى خلايا عصبية مستخدمة مواد كيميائية معينة. وهكذا يبرز أمل قسوي أن تتمكن يوماً ما، لعله ليس بعيد. من تعويض الخلايا العصبية التالفة في مخ الإنسان لفضاء على أمراض مثل «ألزهايمر».

هوامش

The Forgetting: Alzheimer's Portrait of an Epidemic by David Shenk
The Memory Bible: An Innovative Strategy for Keeping Your Brain Young by Gary Small, M.D.
A User's Guide to the Brain: Perception, Attention, and the Four Theaters of the Brain by John J. Ratey, M.D.
The Aging Brain by Lawrence Whalley
Looking My Mind: An Intimate Look at Life with Alzheimer's by Thomas DeBaggio

(٥) مواد كيميائية في غاية النشاط تتفاعل بسهولة جداً وتنتج بصورة طبيعية في الجسم ولها علاقة بالإصابة بـ«ألزهايمر» والسرطان وأمراض القلب.

(٥٥) كتب الدكتور «سمول» في إحدى مقالاته كتاب «الجيل النازك» يقول إن أعضاء فريضة البحتي قد اكتشفوا طريقة جديدة لرصد صفائح «إسيلويد» وإيمرسون والتناقبات أثناء ارتكابه في مخ أشخاص على قيد الحياة وذلك بواسطة فحص المرضى بمادة كيميائية تسمى «تولوين الصناعات» والتناقبات أثناء تصويرها بطريقة PET .

أحدث الإصدارات من الكتب المترجمة



تحتاج الكتب الحديثة

مكتبة العبيكان
العبيكان
Obeikan

Publishers & Booksellers

أكبر متجر للكتب في العالم العربي



الرياض: تقاطع طريق الملك فهد مع المروة. هاتف: ٤٦٥٤٤٤٤ - ٤٦٦٠٠١٨ - الدمام: حي الشاطئ - طريق الكورنيش. هاتف: ٨٠٩١٣٩٩
أبها: طريق أبها - خميس مشيط. هاتف: ٢٢٧٥٠٥٠ - المدينة المنورة: طريق سيد الشهداء مع تقاطع الطريق الدائري. هاتف: ٨٧٨٣٩٣
الأحساء: مركز البستان التجاري - طريق الثريات. هاتف: ٥٨٩١٦٦٦ - القصيم: بريدة - طريق الملك خالد. هاتف: ٣٣١٦٦٣٣
حضر الباطن: عقارة حضر الباطن. هاتف: ٧٢١١١١٨ - عائل: هاتف: ٤١٧٨٠٢ وقريباً فرعاً في جدة
www.obeikanbookshop.com - www.oblekanbooks.com - E-mail: obeikan@obeikanbookshop.com.sa

«خريطة» أمريكية....

متاهة الفلاسطينيين

بحكم العالم، يظن شارون أنه الوقت الأنسب لكي يضع بقلمه علامات الطريق، على خارطة الحل النهائي. ويرى تشومسكي أن خارطة الطريق، ما هي إلا صدى لخطة آون، عام ١٩٦٨ والتي نصت على احتفاظ إسرائيل بـ ٤٠٪ على الأقل من الضفة الغربية.

هناك حديث من دولتين، ولكن لم يقل أحد ما هي حدود هاتين الدولتين وما هي سلطاتهما (استخدمت الولايات المتحدة حق النقض عام ١٩٧٦ ضد قرار لمجلس الأمن يدعو إلى قيام دولتين في إطار الحدود الدولية المعترف بها).

ويقارن الفيلسوف الأمريكي صاحب كتاب Middle East Illusion بين الأقوال والأفعال، فالأقوال مجالها التصريحات أما الأفعال فمجالها الجراعات الإسرائيلية التي تعمل بنشاط لتغيير الحقائق على الأرض، الذي نراه الآن. وهنا يلخص تشومسكي رأي كليرين، هو أنه أكبر ما أصر باراك على الاحتفاظ به في كامب دافيد، «محتحف إسرائيل» بسيطرته الكاملة على نحو ٥٠٪ من الضفة الغربية إضافة إلى جيوب مستقلة من بعضها البعض.

وحتى مع اقتراض وجود من بإمكانه، بأحد، القول بهذا المستحيل، فإن مشكلة الكثيرين مع خارطة الطريق تلك هي في اختزال مرحلتها الأولى فيما تم تحديده صراحة، من جانب الإسرائيليين والأمريكيين بضرورة قيام السلطة الفلسطينية بجثثات الخافضة، تنظيمات

هل هذا فقط؟ لا، فهناك أيضاً المزيد من الأوراق والخرائط والخطط التي تحمل اسم السلام أو أسماء أصحابها. بدءاً من أرئيل داكهوب (١٩٩٤) وإلى رؤية بوش (٢٠٠٢) مروراً بالكتاب الأبيض (١٩٩٣) وبرنادوت (١٩٤٨) وتيتو (١٩٦٣) وأيا أيبان (١٩٦٨) وجون فوستر دالاس (١٩٥٥) وكارتر (١٩٧٧) وروالد ريغان (١٩٨٢) وغيرهم كثير.



هل يختلف الأمر هذه المرة... ربما. رغم حقيقة أن كلينتون أعضى ١٧ عاماً كاملاً في محاولة الوصول إلى اتفاق في كامب دافيد. وأن بوش صاحب عهد الدولة في ٢٠٠٥ قد يخرج من البيت الأبيض في ٢٠٠٤. وأن شارون «رجل السلام» كما يقول بوش أعلن صراحة أنه لن يسمح بدولة فلسطينية ذات سيادة، وأن العودة إلى حدود ١٩٦٧ غير مطروحة، ابتداءً. ولكن المتفائلين يرون أن هذه المرة تختلف، فيوش يريد أن يرى رؤيته تتحقق، وهو، ويؤكدون جداه في حقيقته، وهذا لا يستطيع السامعون إلا أن يطرحوا السؤال الرئيسي: أي دولة... وبأي ثمن؟ يقول البروفيسور الأمريكي ناعوم تشومسكي أن رئيس الوزراء الإسرائيلي إرئيل شارون، بقبوله، الخضوع، لخريطة الطريق الأمريكية، ادفع إلى الواجهة ما كان يطالب به عملياً منذ عام ١٩٩٢. وهو الاقتراح الذي كان يومها مستحيلاً ومتطرفاً. ولكن الآن، بعد أن بدا لبوش أنه

هل تذكرون ١٨١ الذي يتناساه الجميع ٢٤٢ الذي أضمن التواجد في كل تصريح ووثيقة ١٩٤ الخاص باللاجئين والذي يعتبر كوشى عثان، بحكم وظيفته، مازال سارى المفعول، في تصريح له قبل أيام.

وهل تذكرون مدريد، أوسلو، واشغطن، كامب دافيد، بلير هابوس، شيبوز تاون، جنيف، شرم الشيخ وماذا.

وهل تذكرون توصيات ميتشيل (أبريل ٢٠٠١) وتشاهمات كينيت (يونيو ٢٠٠١) والتفاهات شرم الشيخ (سبتمبر ١٩٩٩ وأكتوبر ٢٠٠٠) والقاهرة (مايو ١٩٩٤) وواي ريفر (أكتوبر ١٩٩٨). وهل تذكرون معمرات مزنيدي ولجانته متعددة الأطراف. وهل تذكرون أن اتفاقات أوسلو ١٩٩٣ (سلام الشجعان، ذا الصورة الشهيرة في حديقة البيت الأبيض) كانت تنص على مرحلة انتقالية لمدة خمس سنوات (تنتهى في ١٩٩٩) تهدد تصوية دائمة تقوم على أساس قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ وذلك بافتراض أن المفاوضات حول الوضع النهائي تكون قد بدأت وانتهت أثناء فترة السنوات الخمس الانتقالية.

كل هذا... وماذا بعد؟ لا شيء. غير فرض حقائق الواقع الاحتلالية على الأرض، تهويد القدس، ومزيد من المستعمرات/المستوطنات (عدد المستوطنين في أراضي ١٧ زاة إلى الضعف خلال الفترة الانتقالية) وآلاف الألفند من الأراضي المصادرة وأشجار الزيتون المحترقة، وجدار كهربي، ومزيد من طائرات الأباتشي الأمريكية، وبالطبع مزيد من مشاعر الإحباط والكراهية والدماء (هنا وهناك). ومزيد من المصوغ والهفوات وطوامير الجنازة.

مصارف كنا حيناً جرنياً لأول مرة الألعاب المطبوعة على ورق، وكانت أول تلك الألعاب «متاهة الطريق»، وكانت هي إيماناً. ما قبل Video Game Ji. تكاد تكون ركناً ثابتاً في مجلات الأطفال، ولا أعرف لماذا كانت لتتأبى دائماً مشاعر العفيف من مصمم تلك اللعبة، والتسامح، لماذا لا يكون، «الطريق» مباشراً، حقاً مستقيماً بين التفتنتين؟ مستحلاً من عمد، أو عجز. أن تلك هي الحكمة من اللعبة.

وكان أن أطلقنا بعد أسابيع من مبادرة الأمير عبد الله التي اعتدتها قيمة بهورت (مارس ٢٠٠٢) مبادرة عربية، للسلام (شاملة وواضحة ومحددة) على ما نصير من أفكار، أوروبية، لخطة سلام لحقتها على مدى أشهر تمانيه تحديات وصياغات وتدخلات، عديدة، قبل أن ترتدى ثوبها «الأمريكي» الضفصيل وتنتشر رسمياً في الرابع عشر من الشهر الحامى (يونيو) ويأسمها الأمريكي الموحى «خارطة الطريق». ويجبرى ترويجها، بالصوره والكلمه، على أنها تحسيد لدراسة الرئيس، الذي هو في الحقيقة داهب إلى انتخابات قد لا تجعل منه «الرئيس» بعد شهر.

يومها تذكرت السبيبة القديمة، «متاهة الطريق»، وإنها هكذا لأن تلك هي الحكمة من اللعبة.

هل تذكرون كم حُبّة تاه فيها الفلسطينيين؟

اللف مزجج بالاتفاقات والمعهادات والخطط والسيادات والخرائط والتشاهمات، والذاكرة مرهقة بأرقام القرارات وتوصيات وأسماء مدن وعواصم ومؤتمرات، وفي النهاية.... لا شيء.



لا تتمد إسرائيل إلى نوع من الهجمات ضد منظمات رئيس السلطة الفلسطينية أو قوات أجهزة الأمن، الاستخبارات الشرطة الفلسطينية، أو المسجون في الضفة الغربية وفي غزة،

تقدمات تيتت
٢٠٠١/٦/١٣

«إذا لم يكن هناك حل بحجم تضمينات الشعب الفلسطيني، فالأفضل الاستمرار بالعمل العسكري بأشكاله كافة،

محمد... (مزاد من بيت لاهيا)
٢٠٠٣/٦/٢٠

لقد مضى عام بالضبط منذ أن تحدث الرئيس بوش عن دولة فلسطينية تعيش جنباً إلى جنب مع إسرائيل. واليوم أصبح التفاؤل أقل منه عندما تم التصريح بهذه الجملة أمام العالم،

الهيرالد تريبيون
٢٠٠٣/٦/٢٣



ذاك، بل لحظة من لحظات الصراع، وتخطى على الطريق الحويل، لا طريق الخارطة، لابد من التعامل معها، وأعين بالتمسك بثوابت الحق الفلسطيني، ويانتخاب، مرفوعة، مع الكاذب حتى باب النار، فالطريق الحقيقي خارج الخارطة والطريق الحقيقي مازال هويلاً.



تعالوا نصف الموقف على الأرض، بمساعدة، يشكو الفلسطينيون من الاحتلال، ويشكو الإسرائيليون من المقاومة، الإرهاب، والثابت أنه إذا زال الاحتلال توقفت المقاومة، فلماذا، متاهة الطريق؟ وإذا لا نعمل خطاً مستقيماً بين التفتتين؟

قد لا يحتاج المرء إلى قراءة ما بين السطور ليدرك أن العيب الرئيس في خارطة الطريق، فضلاً عن طابعها الإنشائي وعموميتها المفرطة، وافتقارها إلى الوضوح والتحديد والألية، إنما يكمن في أنها قائمة على فكرة أن: المشكلة تتمثل في صراوة المقاومة الفلسطينية، وليس الاحتلال الذي تسبب في نشوئها، وسبقني الجالسون في منطلقات المناهضة المتشابكة المعقدة يكومون إلى جانبهم أوراق الاتفاقات والمعاهدات والقرارات الدولية. وخرائط الطرق، ومفاتيح قديمة صغر لحام الأبيش، ومفاتيح قديمة صغر الصدا البيوت ربما لم يبق من أحجارها غير سور في الدائرية، يهرمون مكانهم.. يحملون بدمية الضارعة، وينتظرون العدل».

الخارطة) فإن ذلك يعني عملياً إجهاض الخطة كلها. فلا أيوماز بقادر، ولا مرغب (عكس ما قد يقول البعض). ولا الفلسطينيين على استعداد للردود في حرب أهلية (كما يأمل آخرون). ويبقى أمام الجميع حقيقة أن علامة الطريق/ الشريط تلك على الخارطة الأمريكية (اجتاحت) منظمات المقاومة) إنما هي علامة تشير إلى الطريق الإسرائيلي، للتسوية كما يريدها شارون.



يعتبر الفكر الفلسطيني/ الأمريكي إدوارد سعيد، وعلى رايه لادخل كثيرة، أن خارطة الطريق، ليست خطة للسلام بمقدار ما هي خطة للتهدئة، وأنه «لولا حقيقة رفض الفلسطينيين العنيد للدول بأنهم شعب مهزوم كما وصفهم أخيراً رئيس الأركان الإسرائيلي، ما كانت هناك خطة سلام، الكثير منها مأخوذ من خطط سابقة. وما كان وافق الإسرائيليين (بعض) النظم عن حقيقة أنهم بدأوا يعملون فعلاً على إخراج موافقتهم من مضمونها). وأنه لولا احتياج بوش إلى صورة انتخابية وإلى غطاء عربي، إسرائيلي، لما يحدث في العراق ولغاراته العسكرية في أماكن أخرى لما شاهدنا خارطة ولا سمعنا عن طريق. علينا إذن أن نضع الخارطة وأوهامها في مكانها الطبيعي، بعيداً عن أحلام الحل النهائي والسلام الدائم وغير ذلك من كلام جميل، سواء هي هذا الحل خلاصاً للبعض أو اعتبره سواهم تهديداً لفضائهم ودماء شهدائهم، فهو، في الواقع، ليس هذا ولا

شوارع شرة صورة لسيارة الرنتيسيس المحترقة، وأشلء الضحايا العابرين بالصنفة. إن إلى الواقع، كما الصورة اليابسة، تستمر الأتاش في اغتيالاتها، وقواطل الشهداء المأزرة بالمتفجرات في طريقها إلى الجنة. وتستمر الجرافات في هدمها للمنازل، وتجريفها للبيارات، وتهويد الطرق الالتفافية مقطعة أوصال الضفة، وفي الواقع أيضاً يعلن إلى إيتام وزير الإسكان الإسرائيلي (عضية العقبة) إحياء مشروع استيطاني ضخم يشمل بناء ١٥٠٠ وحدة على مساحة لا تقل عن ٣٠ ألف متر مربع من أراضي الضفة الغربية، (تفصيل الأرقام بوجود ٤٠٠ ألف مستوطن و١٥٤ مستوطنة في أراضي الضفة، وعلى شاطئ ١٩٧٧)، وعلى شاطئ مخططي الطريق، فيعلن إسرائيل دولة يهودية نابذة باليهود، مصدراً ما نص عليه الخطة ذاتها من التماسك غير المبرر حول تفاصيل الحل النهائي في المرحلة الثالثة. ومشدداً شرعية أول دولة عصرية، رسمياً، في تاريخ ما بعد الحرب الثانية، ولا عزا للمعتقلين، والراهنين على الأهتداء بعلامات طريق غطتها باكراً رمال المرافقات الفاعمة المتحركة، عندما يعلن رئيس شعبة المخابرات العسكرية الإسرائيلية أهارون زلبيش أن واشنطن أصطلت الضوء الأخضر لمواصلة إسرائيل اغتيال كوار، حماس، وضفعا لا يكذب جورج دبليو بوش، ولا أركان إدارته (ماول و رايس) ذلك، بل يؤكدون جميعاً حتمية اجتثاث أيوماز لحماس والجهاد وكتائب شهداء الأقصى، لا مجرد إيقاف عملياتها (كخطة أولى على الطريق/

وأدوات وإمكانات، بل واعتبار الدعوة لقيام الاحتلال، تحريضاً، بيشل خروجاً من الطريق، الذي رسمته الخريطة، ويعطى الحق بالتالي للإسرائيليين في التمسك من التزاماتهم اللاحقة والتي هي مضاعفة أصلاً، وغير محددة في النص المنشور للمراحل الثلاث، ما هو مقابل ما يبدو باباً لحرب أهلية فلسطينية؟ لا شيء غير التصوير التفتيزوني شاهد تفكيك ما يسمونه بوزاً استيطانية عشوائية، وهي ليست في الواقع أكثر من علامات توضع على الأرض، وتتخذ شكل كوخ مراقبة مرتفع أو عربة سكنية متنقلة.



أي ما كان رأى المتكلمين أو للمتكلمين (أو المضطربين)، فالخاتمة تقول أنه بحسب الحدود الزمنية لخريطة المراحل الثلاث تلك، من المفترض أن تكون المرحلة الأولى قد انتهت في مايو/ أيار (هل ترون شيئاً من ذلك؟) لا شيء غير الدماء ومشاهد تفتيزونية لإزالة بعض الأكواخ الخشبية، وتحريك بعض المنازل المتقلبة من مكانها إلى مكان آخر في الأرض المحتلة ذاتها، بدموي تفكيك المستعمرات غير الشرعية (وهل هناك مستعمرات شرعية؟). على الورق، وصلنا إلى المحطة الأولى وبدأت، حسب الخطة، المرحلة الثانية، وعلى الأرض/ الواقع، المشاهد كثيرة ومتباعدة، على شاطئ الحقيقة، صورة باسمة تشارون مع بوش وأيوماز، وفي



الخارطة، والطريق، ويستر

تهتم وجهات نظر، بتعريف قرائها بجديد المكتبة العربية والعالمية، وتشكر الناشرين والكتاب والمؤلفين الذين يساعدها في ذلك. وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية إلى يرونة من إصدارات. ٥٥

لجيلة السخاوة أقام المشاهير الحضارة الفارسية، وشكلوها تنقلاً آخر فيها بعد الغزاة، التي تنهوا (...). وكان من نتيجة ذلك أن تحول كاتب وطني مثل عباس محمود العقاد إلى مجرد كاتب يكتب لحساب السفارة الأمريكية. كذلك تنقل طه حسين تنقلاً غير مهدي بين أحزاب متنافسة ومتطاحنة. وأصبح كل منه هو أن يكون دائماً في الصورة، أما توظيف الحكيم الذي بدأ كاتباً مسرحياً، فقد تحول في منتصف الطريق إلى مجرد نجم من نجوم مؤسسة أخبار اليوم التي أحاطته برعاية مستمرة تنسم بالابتلال. ويقول عن الشقيق بعد يوليو ١٩٥٢: أصبح عندما مشغول بأكول على كل الموالد، دون أن يحسوا بأية غضاضة أو تأنيب ضمير. [إلى ذلك يضم الكتاب كثيراً من بدايات أمم دافق ومفهومه للخصفيدة وموسيقى الشعر واللغة والالتزام في الشعر والموقف الاجتماعي والوطني للشاعر ودلالاته، وغيرها كثير مما يرسم صورة وضاعة لهذا الشاعر الذي كان نسجاً وحده.

يوسف إدريس

دراسة في تكوين المبدع وإبداع الأصالة وأصول النبع القاهرة: المؤلف، ٢٠٠٢، ٢٥٠ صفحة



يرتكز المؤلف على يوسف إدريس كنموذج لدراسة التكوين بين الأصالة والنبوغ وهو لا يقتنى بشخص قصص يوسف إدريس في مراحل المختلفة، المهارات الانتماء لتشخصه حدو (الحركة الديمقراطية لتحرير الوطن) وهو أحد تنظيمات اليسار المصري قبل الثورة، قصص مرحلة الانتماء لجوهر الحياة ثم أخيراً مرحلة الأول، هو لا يقتنى بتحليل هذه المنصوص والتعاطي معها نقدياً، إنما يبدأ بحور من تكون البليغ، ونظريات علم النفس ذات الصلة بالإبداع واحتياجات الإنسان وخصائص تحقيق الذات الإبداعية، وفي المحوراته يدرس بطور عشق إدريس للتجسسية وسعيه إليها، والنجور الأولى التي

وهي المجموعة التاسعة في سلسلة أعمال إملى نصر الله القصصية بعد: جزيرة القويق، القويق، المرأة في ١٧ قصة، الطاحونة الضالعة، خبزنا اليوم، محطات الرحيل، روث إلى الأيام، الغاليات الفجرية.

وهي في هذه المجموعة تحتفى بأصداه الرحلة، وأوجاع السفر، وآلام الصرعة، فزراها تجول في الإسكيمو، وكندا ومصر ولبنان، وألمانيا، وأماكن عديدة من العالم ترحلها وتسلل لها فيها ونياً، ونقطه ارتكازاً أو انطلاقاً للمكتبة والإبداع.

والكتابة في هذه المجموعة تترج في كتابتها بين النص وأدب الرحلة والحلح ذلك، يوضح في قصص الإسكيمو ١، الإسكيمو ٢، رحلة فوق الليل، والصور متقاطعة، الجدار، أسود وأبيض، خطا.

الرجاء.

النشيد الأليدي

أمل دنقل... سيرة شعرية ثقافية حسن الفري

القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢، ١٣٠ صفحة

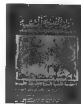


في يوليو ١٩٨٣، رحل أمل دنقل، بعد صراع سنوات مع مرض السرطان، لتنتهي حياته باكراً، عن ثلاثة وأربعين عاماً، خلف خلافاً ستة مؤلفين شعرية هي: البكاء بين يدي زرقاء اليمامة (١٩٩٩) تعليق على ما حدث (١٩٧٧)، مقتل القس (١٩٧١)، العهد الآتي (١٩٧٥) أقوال جديدة عن حرب البوس (١٩٧٦) أوراق الغرفة ٨ (١٩٨٣).

ويجمع هذا الكتاب المقابلات التي أجريت مع أمل دنقل والتي تتضمن إزاه في الشعر والشعراء، وفي الواقع السياسي والاجتماعي لصير والأمة العربية، ويضم مواقفه التي عبر عنها شعرياً ووصفت في مواجهة حادة مع السلطة، والتي تعد قصيدة لا تصالح نموذجها الأكثر وضوحاً، وربما تكون شهادة أمل دنقل على شعراء جيله، وحتى السابقي عليه في الجانب الأكثر طرافة، فهو يرى أن الأدباء المصريين السابقين

فنون الفرجة الشعبية (دورية)

رئيس التحرير: د. أسامة أبو طالب القاهرة: المركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية، ٢٠٠٢، ١٦٠ صفحة



يأتي الممد الأول من هذه الدورية استجابة بحسب الكلمة الافتتاحية، لتحديات تواجهها الثقافة في عمومها، والثقافة الشعبية على وجه الخصوص، في زمن العولمة وما بعد الحداثة، وهي تعنى بمشور الفرجة الشعبية، تلك الفنون ذات الصلة الوثيقة بالذاكرة المصرية للناس والتي لا يمكن إنداعها أو استحصائها بسهولة، والتي ما تزال ماثلة في الأفراح الشعبية والأولاد، والاحتفالات الدينية وإيالي الداهين وسير الأبطال ودراما خيال الظل وعشرات غيرها من فنون الفرجة.

وفي هذا الممد يكتب المصالح الأنثروبولوجي الدكتور أحمد زيد عن ثقافة الفرجة، ثم لطلاع دراسات من الأرجال في الظاهرة المسرحية الشعبية، فرانيس كان مؤسساً حق الإيمان بأن تناسج الرموز في الشريط الروائي البشري هو الدلالة الأبلغ على دقة صنع الخالق.

حينما أصبح كوليتز مديراً للمشروع كان كرايج فنتز العالم المتميز المختص بفك شيفرة الحمض النووي الرئيس منزوع الأكسجين DNA، والمحارب القديم في فيتنام قد استقل من العهد الصحي القوي لينشئ مركزاً خاصاً للأبحاث، ولقد أورد طريقة سريعة وبسيطة لتحديد المورثات على الحمض النووي الرئيس، وقد طبقت فهرة الأفاق حينما جئنا لخمسة الأولى في فك الشيفرة الكاملة للشريط الوراثي لإحادي الجرام، في بداية ١٩٩٨ كان ١٨٣ فقط من الشيفرة الوراثي البشري قد فك رموزه في حين اقتضت نصف الفترة الزمنية المحددة لإنجاز المشروع، وفي السنة تيمها أدخل فنتز العالم حينما أعلن عن تأسيس شركة جديدة لتلك الرمز الشريط الوراثي البشري في خلال ثلاث سنوات فقط وبكلفة ٣٠٠ مليون دولار.



ثلاث عشرة قصة قصيرة تضمها المجموعة القصصية الجديدة التي صدرت للكاتبة الليثانية إملى نصر الله.

كسر شيفرة المورثات: الجينوم

تأليف: كينيث ديفس ترميز: د. أسامة العيسى الرياض: العيكان، ٢٠٠٢، ٤٨٠ صفحة



أقرت الحكومة الأمريكية سنة ١٩٩٠ خطة مدتها ١٥ سنة وبتكاليف بلغت ٣ بلايين دولار لدعم مشروع قراءة الشريط الوراثي البشري الراس إلى تحديد تتابع ثلاثة بلايين رمز يشكلون الحمض النووي الرئيس البشري منزوع الأكسجين DNA كان جيمس واتسون على رأس المشروع، وقد استقل بعد عدة سنوات فقط من بداية المشروع، وذلك بسبب خلاف مع مدير المعهد الصحي القومي برنارد هينالي حول براءة الاختراع المتعلقة باكتشاف المورثات.

خلف جيمس واتسون في منصبه عالم المورثات الشاب الماتاق فرانيس كوليتز الذي اكتشف المورثة المسؤلة عن مرض التليف الكيسي Cystic Fibrosis، وكما ذكر المؤلف فإن فرانيس كان مؤسساً حق الإيمان بأن تناسج الرموز في الشريط الروائي البشري هو الدلالة الأبلغ على دقة صنع الخالق.

حينما أصبح كوليتز مديراً للمشروع كان كرايج فنتز العالم المتميز المختص بفك شيفرة الحمض النووي الرئيس منزوع الأكسجين DNA، والمحارب القديم في فيتنام قد استقل من العهد الصحي القوي لينشئ مركزاً خاصاً للأبحاث، ولقد أورد طريقة سريعة وبسيطة لتحديد المورثات على الحمض النووي الرئيس، وقد طبقت فهرة الأفاق حينما جئنا لخمسة الأولى في فك الشيفرة الكاملة للشريط الوراثي لإحادي الجرام، في بداية ١٩٩٨ كان ١٨٣ فقط من الشيفرة الوراثي البشري قد فك رموزه في حين اقتضت نصف الفترة الزمنية المحددة لإنجاز المشروع، وفي السنة تيمها أدخل فنتز العالم حينما أعلن عن تأسيس شركة جديدة لتلك الرمز الشريط الوراثي البشري في خلال ثلاث سنوات فقط وبكلفة ٣٠٠ مليون دولار.

ساهمت في بزوغ موهبته كواحد من أهم كتاب القصة القصيرة في العالم العربي.

والى جانب ما يكشفه الكتاب، وهو من الأصل أطروحة جامعية نال عنها صاحبها درجة الدكتوراه، من وقائع مثيرة من حياة يوسف إدريس، من قبل معاملة لمناوئته في الدراسة بوصفه لئلاً، أو إحسانه بأن أمه متوحشة، أو علاقته بالمراة، واحتكاكه بعالم الإدمان والمرض النفسي، فإنه يتضمن محاولة جيدة لفرس إنتاج يوسف إدريس الإبداعي بسيرته الذاتية ومجتمعه، وكيف تأثر هذا الإنتاج بالممارسة الطبية وندارس الفكر الجدلي التي شاعت في زمنه.

ويرى المؤلف من زوايته، أن أهمية الكتاب تكمن أساساً في التزامه تصويراً لنشور، منظر إلى الإبداع من خلال تكوين المبدع وظروف نشأته واستجابه المختلفة لتطوّر مجتمعه، بما يعنى، من ناحية أخرى، ضرورة تهئية المناخ الملائم للنشور والإبداع في المجتمع.

النظر والمعمل والمآزق الحضارى العربى والإسلامى الراهن أبو يعرب المرزوقى

حسن حنفى
دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٣، (سلسلة حوارات لقرن جديد)، ٣٦٠ صفحة



المجادلة هنا بين استأثين للفلسفة فيما يشبه حوار المشرق الذي يعمله الدكتور حسن حنفى (مصر)، والمغرب الذى يعمله الدكتور أبو يعرب المرزوقى (تونس) والمفاضلة هي بين التنظر والعمل، أو النظرية والتطبيق وعلاوة كل منهما بالمآزق الحضارى العربى والإسلامى الراهن فمة من يقدم العمل على النظر ويتسمان، هل يواجه الاحتلال بالبيان، والاحتياج بمؤثر قبة، والحدوث بالشجب والإثبات؟ ولما من يرى أن النظر أسبق، ويقره مشكلات

المعالم العربى إلى خلو من الفهم والتحليل اللذين يصنعان شروط العمل الجاد.

يبدا المرزوقى بتبيان الدلالات الحضارية للمعلاقة بين النظر والعمل، وبعد سباحة في الفلسفة العربية والإسلامية، ومحاولة إثبات الصلة بين الفكر الفلسفى الحديث وعلوم الكلام والتصوف، وصلة الفكر الفلسفى الحديث بالبحث التاريخى، والإشارة إلى ما ينهيه إليه العلاسفة من أن وراء مداركتنا الحسية والعقلية المرفية، يوجد عالم الطابع قائم بذاته بوصفه مرجعاً وحكماً. وما يقترضه الدين الإسلامى من أن وراء مداركتنا الخلقية والروحانية عالم الضرائع، ينتهى إلى أن غايته الوجود المعنوى الإنسانى هما جوهر فعل النظر (الرياضيات والطق)، وجوهر فعل العمل (الإسياسات والتاريخ)، أما واسطتهما فهما الفنون المستندة إلى النظر إلى الفن الصناعى والتشكيلى، والفنون المستندة إلى العمل إلى الفن الشروى والأدبى، وهكذا فإن العلاقة بين النظر والعمل هي عينها العلاقة بين ضرورى الفنون، وعلى سدى العمل البشرى ولنظمت.

من جهته يبدأ حسن حنفى بتأكيد أولوية العمل على النظر، وأن هذا الاختيار هو الذى يدمم بناء الدول وعمرانها وانتشار الحضارة، فإذا ما بذلت هذه الحضارة وهرمت وتوقفت عن الإبداع، تحول العمل إلى هم نظري، ويدل على ذلك إنبات اليهود فى النظر على حساب العمل فى زمن المسيح البابلى، وكذلك فى المسيحية أثناء سيطرة اليهود والرومان فى فلسطين، وعند الصوفية حين استعالت المقاومة الفطرية بعد استشهاد آل البيت وسيطرة آل عثمان، لكن فى لحظات الخلاص، يضيئ حنفى، يهيم النفس من الخيال إلى الواقع، ومن عالم التنمى إلى عالم العمل.

باختصار يرى حنفى أن أولوية العمل على النظر أحد متطلبات الواقع العملى المعاصر أكثر من هذا، يرى أن التنشور حول البحث الشنقوى والاشنق إلى التحليل الإستمولوجى والتشتر بالطعة العربى إنما هو نقص فى الالتزام... الإستمولوجيا تنتشر فى دور النشر وتؤدى إلى الجواز العلمية فى الخلية، في حين أن العمل يؤدى إلى النشور والمحتفلات والاشتغالات

أخطاء وأوهام فى موسوعة وطنية

مراجعة

وقع في يدي أحد كتب التراجم المعاصرة، قامت على إصداره وتحريره مؤسسة وطنية وفطنتها في الأساس وظيفة خبرية معلوماتية، وفي نفس الوقت تمثل بلدها في هذا الصدد، إلا أن المرجع الذى اصطلحت، لألساف القديم، حفل بالاعتراضات من الأغلط والأوهام الجيوجرافية والتاريخية والمطعية، ولأن نحاول رصد بعض ما استطلنا حصره من هذه الأغلط وتصويبها لكي نتشاركها المثالمون على المرجع في طبعاته الحالية، ولا سيما أنه يضم ما مجموعه (٢٠٠٠) ترجمة لأعلام مصر في القرن العشرين، فإن كنت أرى حذف الكثير من الشخصيات الذين لم يسكنوا مساهمة كبيرة في بناء تاريخ مصر الشكرى أو الشفاوى أو العلمى أو الحضارى فى القرن العشرين:

١. ص (٧١). د. إبراهيم أنيس
٢. ص (٧٣). د. إبراهيم أنيس
٣. ص (٧٤). د. إبراهيم أنيس
٤. ص (٧٥). د. إبراهيم أنيس
٥. ص (٧٦). د. إبراهيم أنيس
٦. ص (٧٧). د. إبراهيم أنيس
٧. ص (٧٨). د. إبراهيم أنيس
٨. ص (٧٩). د. إبراهيم أنيس
٩. ص (٨٠). د. إبراهيم أنيس
١٠. ص (٨١). د. إبراهيم أنيس
١١. ص (٨٢). د. إبراهيم أنيس
١٢. ص (٨٣). د. إبراهيم أنيس
١٣. ص (٨٤). د. إبراهيم أنيس
١٤. ص (٨٥). د. إبراهيم أنيس
١٥. ص (٨٦). د. إبراهيم أنيس
١٦. ص (٨٧). د. إبراهيم أنيس
١٧. ص (٨٨). د. إبراهيم أنيس
١٨. ص (٨٩). د. إبراهيم أنيس
١٩. ص (٩٠). د. إبراهيم أنيس
٢٠. ص (٩١). د. إبراهيم أنيس

سبق اسم الاختصار (د.) وهو فى الحقيقة لم يحصل على درجة الدكتوراه، كما ورد تحت اسم الشاروخ ١٨٨٩ وهو تاريخ الميلاد فقط ولم يرد تاريخ الوفاة وهو ١٩٥٣. ويذكر أن الترجمة له هو والد الأديب الراحل ثروت أباطة.

١. ص (٧٤). د. إبراهيم أنيس
٢. ص (٧٥). د. إبراهيم أنيس
٣. ص (٧٦). د. إبراهيم أنيس
٤. ص (٧٧). د. إبراهيم أنيس
٥. ص (٧٨). د. إبراهيم أنيس
٦. ص (٧٩). د. إبراهيم أنيس
٧. ص (٨٠). د. إبراهيم أنيس
٨. ص (٨١). د. إبراهيم أنيس
٩. ص (٨٢). د. إبراهيم أنيس
١٠. ص (٨٣). د. إبراهيم أنيس
١١. ص (٨٤). د. إبراهيم أنيس
١٢. ص (٨٥). د. إبراهيم أنيس
١٣. ص (٨٦). د. إبراهيم أنيس
١٤. ص (٨٧). د. إبراهيم أنيس
١٥. ص (٨٨). د. إبراهيم أنيس
١٦. ص (٨٩). د. إبراهيم أنيس
١٧. ص (٩٠). د. إبراهيم أنيس
١٨. ص (٩١). د. إبراهيم أنيس
١٩. ص (٩٢). د. إبراهيم أنيس
٢٠. ص (٩٣). د. إبراهيم أنيس

٢٠. ص (٩٤). د. إبراهيم أنيس

٢١. ص (٩٥). د. إبراهيم أنيس

٢٢. ص (٩٦). د. إبراهيم أنيس

٢٣. ص (٩٧). د. إبراهيم أنيس

٢٤. ص (٩٨). د. إبراهيم أنيس

٢٥. ص (٩٩). د. إبراهيم أنيس

٢٦. ص (١٠٠). د. إبراهيم أنيس

٢٧. ص (١٠١). د. إبراهيم أنيس

٢٨. ص (١٠٢). د. إبراهيم أنيس

٢٩. ص (١٠٣). د. إبراهيم أنيس

٣٠. ص (١٠٤). د. إبراهيم أنيس

٣١. ص (١٠٥). د. إبراهيم أنيس

٣٢. ص (١٠٦). د. إبراهيم أنيس

٣٣. ص (١٠٧). د. إبراهيم أنيس

٣٤. ص (١٠٨). د. إبراهيم أنيس

٣٥. ص (١٠٩). د. إبراهيم أنيس

٣٦. ص (١١٠). د. إبراهيم أنيس

٣٧. ص (١١١). د. إبراهيم أنيس

٣٨. ص (١١٢). د. إبراهيم أنيس

٣٩. ص (١١٣). د. إبراهيم أنيس

٤٠. ص (١١٤). د. إبراهيم أنيس

٤١. ص (١١٥). د. إبراهيم أنيس

٤٢. ص (١١٦). د. إبراهيم أنيس

٤٣. ص (١١٧). د. إبراهيم أنيس

٤٤. ص (١١٨). د. إبراهيم أنيس

٤٥. ص (١١٩). د. إبراهيم أنيس

٤٦. ص (١٢٠). د. إبراهيم أنيس

٤٧. ص (١٢١). د. إبراهيم أنيس

٤٨. ص (١٢٢). د. إبراهيم أنيس

٤٩. ص (١٢٣). د. إبراهيم أنيس

٥٠. ص (١٢٤). د. إبراهيم أنيس

٥١. ص (١٢٥). د. إبراهيم أنيس

٥٢. ص (١٢٦). د. إبراهيم أنيس

٥٣. ص (١٢٧). د. إبراهيم أنيس

٥٤. ص (١٢٨). د. إبراهيم أنيس

٥٥. ص (١٢٩). د. إبراهيم أنيس

٥٦. ص (١٣٠). د. إبراهيم أنيس

٥٧. ص (١٣١). د. إبراهيم أنيس

٥٨. ص (١٣٢). د. إبراهيم أنيس

٥٩. ص (١٣٣). د. إبراهيم أنيس

٦٠. ص (١٣٤). د. إبراهيم أنيس

والتصفيات (...) وهو فريق محبير المشاء القدامى، فريق أخذ الصرة والحلة والجاه والمنصب والرياسة (فقهاء السلفاء) وفريق سجن وعذب وصلب وبيع (فقهاء الأمة والناس). بعد ذلك برد كل من الصالحين الجليلين على الآخر مشفياً تصويراته ورواها، ونظن أن السجال مازال مفتوحاً لمشاركات أخرى، من داخل حقل الفلسفة أو من خارجها، في إطار هذه السلسلة ذاتها الأعمية.

رسائل مفتوحة إلى الرئيس الأمريكي

تأليف: جيمس جى شير وبرايس واثر هاورس كوبر
ترجمة: أمين الأرماني
الرياض: الميكان، ٢٠٠٢، ٢١٢ صفحة

رسائل مفتوحة إلى الرئيس الأمريكي

تمثل الحكومة الأمريكية بمؤسساتها وبنيتها أكبر منظمة في العالم؛ والرجل الذي يقود هذه المنظمة يمسح على بصمات جسيمة مستمدة من سلطته التنفيذية في هذا الكتاب يوجه كبار محبيري الشركات في أمريكا كلامهم مباشرة إلى الرئيس الجديد، مدعين له الصبح حول إدارة منظمة مؤلفة من أربع عشرة وزارة ومائة مؤسسة حكومية مستقلة بالإضافة إلى مليون موظف. كلفات لا مراء، فيها، بدلي مديرو هذه الشركات المرموقة بالزعم من خلال رسائل مفتوحة موجهة إلى الرئيس الجديد. أليس هذه الأراء المستند إلى خبرتهم التي لا يستهان بها في الإدارة بواجبات كلفة، التي تبس مختلف إدارات الحكومة الفيدرالية. يترك الكاتبون القضايا السياسية للسياسيين ويتركزون على تقنيات الإدارة التي تبنت لاجتماعها في القطاع الخاص، ويلتزمون عنانية الرئيس إلى أهمية تسخير التكنولوجيا وصفت خاصة تكنولوجيا المعلومات إلى إرساء قواعد إدارة غامضة، بالإضافة إلى قضايا أخرى مثل الثقافية في العمل والتعامل مع المفكرات وتنمية العنصر البشري.

إن كتبه هؤلاء المديرون البارزون وما يطرهونه من حلول وفكر على رئيس الولايات المتحدة جيمس بان ثرا. وسواء أكان القارئ مديراً تجارياً يتوق إلى التعلم، ما عايناه يهتم بإدارة الدولة أم طالباً يهتم بالعلوم السياسية أو الإدارة المتكاملة فإنه سيجد مادة الكتاب راقية ومفيدة.

الولب المزجج

جيمس د. وأطسون
ترجمة: أحمد مستنير. محمود مستنير
القاهرة: دار سلور ٢٠٠٢، ٢٢٢ صفحة



ولد جيمس وأطسون في أبريل ١٩٢٨، وحصل على البكالوريوس من جامعة شيكاغو عام ١٩٤٧، وعلى الدكتوراة من جامعة أديانا في علم الوراثة عام ١٩٥٠، ونال جائزة نوبل في الفسيولوجيا والطب عام ١٩٦٢ لتوصله بمساعدة روبرتيسر آخر إلى حل لغز تركيبية جزيء الدنا.

وهو في هذا الكتاب لا يقدم رواية علمية لحل لغز الدنا، وإنما يقدم روايته الشخصية، بأهل قدر ممكن من التفاصيل العلمية، وأسلوب بسيط لا يخلو من دهاء.

إلى ذلك فإن المؤلف في مواضيع متعمدة يتناول التقنيات التي تقود علمية والموارد الثقافية التي تقود علمية، فيمنحنا كان فرانسيس سيالاً للخطوط في موضوع الدنا، فإن اقتراعه من هذا الموضوع كان سبباً له حرجاً علمياً بالماً، إذ أنه كان يعمل في مجال البروتينات، وفي وقت كان صديقه موريس ويلكنز يعمل على موضوع الدنا منذ سنتين، وولف للتقنيات العلمية الإنجليزية، فإن اقتراب الرئيس من أن هذا الموضوع بدأ تجاوزاً أو خيانة علمية، فيما يشير المؤلف إلى أن هذا ما كان ليخرج في فرنسا أو الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً.

وهو يشير في موضع آخر ولبغة مرحة بسيطة، إلى العلاقة المتوترة التي جمعت بين موريس وسامعته وزي، والتي كانت متعمدة في علم البلورات والتي كان يأمل موريس في أن تساعد بتخصصها اللطيف في الإصرار بتحقيق نتائج سرية لالام، إلا أنها ادعت أنها مشغولة مثله بموضوع الدنا، وذلك بنت مناهضة أكثر منها مساعدة، وخفة الروح ذاتها يتحتم من بداية علاقتهم بموريس ويلكنز، التي كان سيالاً في أبحاث الدنا، وكيف أنه استغل إعجاب موريس بأخته اليزابيث القاصلة من أمريكا، كي يقترب منه ويوفر أكثر مما توصل إليه من نتائج في موضوع الدنا، لكن توقعاته ذهبت هباء، فقد اكتفى موريس من اليزابيث بحديث قصير وموعد غدا، وعاد بعد ذلك إلى عمله دون إبطاء.

أشياء من هذا القبيل يرويها المؤلف في كتابه، كأمير الجواجز بين العلماء وصامة الناس، وبين أن ممارسة العلم

ليست سوى محاولة يقوم بها بشر عاديون، وإن تخفوا خلف نظرات مقعرة ومعاصف بيضاء.

ما بعد إسرائيل

أحمد الساماني
القاهرة: ميريت للنشر، ٢٠٠٢، ٢٠٠ صفحة



صبر ثلاثة فصول، يسر المؤلف مسيرة الدولة العبرية منذ ما قبل الفكرة، وحتى تحولها إلى واقع يعيش على قدمين. اتكا الحلم اليهودي في بداياته على نصوص توراتية مركبة، ساعدت طول الصخرة العنصرية، متراكبة بين نزولها وتبنيها على تعميق تقاليدها وأثرها. إذ أن الفصل في تدوين التوراة على ما هي عليه يعود إلى شخص يسمى «عزرا» وقد تم تحريرها وتوحيد الكتاب المقدس على يد أحد الكهنة في عام ٤٠٠ ق.م، أي أن التوراة استقرت أربعة قرون كاملة حتى تصبح نصاً متحداً لدى تلاميها، وكانت هذه الفترة كافية لإضاعة قدر كبير يسير من الأثرية القديمة، أما التكمود، وهو الرواية التعميمية الجوازية للتوراة والتي تناقشها الجامعات جيل بعد جيل، فيضاهي على التوراة القديمة نحو ستة قرون، أي أن ما بين نزول التوراة وتدوين التكمود ألف عام تقريباً، وصمت التوراة ٣٩ سفراً وضم التكمود ٣٤ جزءاً، تجاوزت فيها النصوص اليهودية تعاليم القديمة والمعاملات إلى وصم التاريخ والممارات وتكلمت الأساطورة بالنبوة وغطت الدراما على حقائق الأبناء.

في الفصل الثاني من الكتاب يتابع المؤلف المشروع الصهيوني السياسي منذ نيوطن هرتزل ومؤتمر بال في سويسرا ١٨٩٨، ويعد تاريخاً لخطوات العملية التي اتخذها يهود العالم في هذا الإطار، ينتمي المؤلف إلى فئة الحقيقة المؤلمة، صمت عقود والنصف قرن ثم طال وإسرائيل تقضي أكثر قوة والأحلام العبرية تفضي صوب البحر. ولا حطان مشروعات التسوية تواتت منذ هزيمة ٦٧ من بين جريون إلى إيجال آوين إلى بيان إلى بيرز وصولة إلى مدريد وأوسلو، وبقي السلام هذا بعيد المثال. ويرصد الفصل الثالث أفكار المؤرخين الجدد في إسرائيل، الذين يتنظرون فيما بدأ يعرف بحركة ما بعد الصهيونية، وخلقها ضاربات عديد، إن اعتراف كثيرون معهم بأنهم دولتهم العنصرية وتوحيهم من ضحايا للنازي إلى جلائين أكثر قوة وصلابة، ويشير على وجه الخصوص إلى الفكر بجيش

موريس، ودراسه حول مشكلة اللاجئين، والتي اعتبرت البداية العملية لحركة المؤرخين الجدد، ويطلب بحرية فكرية موازنة على الصعيد العسكري، متوازنة وإنسانية الطابع، أقل الضعاف وأعمق تأثيراً.

الديمقراطية وحاكمية الأمة

محمد خاتمي
ترجمة: سرمد الطائي
دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٢، ١٨٤ صفحة



ينظر إلى السيد محمد خاتمي، ليس بوصفه رئيساً لجمهورية إيران الإسلامية ذات العلاقات الإشكالية في محيطها وخارجها، وإنما أيضاً بوصفه مفكراً إصلاحياً يملك رؤية مستنيرة، واضحة، في مواجهة «استراتيجية» غربية، امريكية أساساً، تجاه ما تشهده إيران الإسلامية من مخاطر على المشروع الحضاري والثقافي الغربي. وهذا الكتاب، يضم محاضرات خاصة التي القاه خلال الأسابيع الأولى من دورته الرئاسية، وفيها يؤمن حول عديد من القضايا منها، دور الشعب في الحكومة الدينية، العلاقة بين الدين والحريية، أهمية الدستور في العملية الديمقراطية، دور الصحافة في تدعيم الديمقراطية، الجامعات والحريية، السياسة الخارجية وحاكمية الشعب، الشيعة والأئمة والديمقراطية، التنمية السياسية وحقوق الشعب، الديمقراطية الدينية وغيرها.

إن أفكار تشقح التامل لفكر بان، جاء إلى السياسة من باب الثقافة، وحلّ الأولى بالثانية.

العلاقات العربية الآسيوية

نحو مستقبل شرق
تحرير: د. عبد الله خالصه
عمان: الجامعة الأردنية، ٢٠٠٢، ٦١٠ صفحة



أكثر من ثلاثين بحثاً علمياً مبعثاً يضمها الكتاب، وهي حصيلية مؤثر

العلاقات العربية. الأسبوعية نحو مستقبل مشرق، الذي عقدته الجامعة الأردنية، وشركه كل أكاديميون وباحثون من مختلف الأقطار العربية والأسبوعية، تناقشوا حول سبل توفير قواعد البناء الصحيحة لعلاقات عربية آسيوية، في المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية.

من عناوين الأبحاث العربية جامع مشترك ليس ثقافتى العرب وإيران، الكبير، الاستيطان الهندي في العراق في أوائل القرن العشرين، الصلات التجارية العمالية الصينية، مكونات العلاقات العربية الآسيوية، العلاقات اليابانية، مستقبل التصان بين النظام الإقليمي العربي والنظام الإقليمي الآسيوي، التحولات الاستراتيجية بين الشركات الآسيوية، عربية، العلاقات العربية الأمريكية، نحو إطار نظري للحوار العربي الآسيوي

زلزلة في العولة وسمى نحو العاتية
تحرير وعادل فسلام
أحمد صدقي الدجاني
القاهرة، دار المستقبل العربي، ٢٠٠٢، ١٤٠ صفحة



التصان الثاني للكتاب يحدد بدقة فكرته الرئيسية، فلا يمكن أن يقوم سلام قبل أن تحرير العولة تحت راية الاحتلال بمساندة الباطل رغم كماله في فلسطين، أو غير الباطل كما في سقوط العولة العاتية الهائلة إلى السيطرة على العالم كله.

أما الزلزلة التي أصابت العولة، فيفسد بها المؤلف ما جرى في الولايات المتحدة في سبتمبر ٢٠٠١، وما تبع ذلك من إعلان حرب ضد ما تسميه أمريكا الإرهاب، ويسميه المؤلف «حرب العولة»، التي تستهدف فرض تسلط المولدين، ويميز المؤلف بين العولة والسمى نحو العالمية، والأخيرة تتجلى مظاهرها في صور مختلفة، أعطيها والصمها، حركات التحرر التي تجاه الاستعمار وإلى مقدمة المقاومة القومية، وهي حلقة في سلسلة تضال الشعب الفلسطيني ضد الاستعمار الاستيطاني الصهيوني العنصري.

كما أن من صور مقاومة العولة، تضال جماعات كثيرة، وجماعات مدنية شتى في مختلف بقاع الأرض، تطمح إلى استئصال العدل بين البشر والطرفان، المسمى إلى التحرر من الاستعمار

والطامع إلى تحقيق العدل، غايتها أن يسود السلام في عالمنا المعظم بالحق والاصطربات والمواجهات على أشكالها. يتألف الكتاب من أربعة أبواب: يحمل أولها عنوان «زبد من العولة» ويتناول شروخاً للعولة ومخاطرها وطوائفها، ويميز بينها وبين العالمية، ويمنح اهتماماً أكبر لجوانبها الثقافية وحقوق الطفل والمرأة فيها، وتحت عنوان «من وحى الزلزلة، تدور عصفور الباب الثاني، ويبحث باب «نهوض» كيفية تحقيق النهضة العربية الإسلامية في ضوء هذه المخاطر والتحديات، ويخصص الباب الرابع والأخير للتأثيرات المتبادلة بين حرب العولة، والكفاح الشرعي من أجل تحرير فلسطين.

مضمون الوطن في فكر الكاتبة العربية
شهير أبو النجا

بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢، ١٥٢ صفحة



عبر عدة نصوص أبدعتها نساء، تناقش المرأة مفهوم الوطن في الكتابة النسوية، من خلال قراءة نقدية لروايات أرواق الخرس، لسميرة رمضان، والفردوس الياب، للسعودية ليلي الجهني، وهسهيل النهر، للسودانية بيثينة خضر مكي، ونساء على أنجحة الحلم، للمغربية هانمة الخريسي، وبيت الفان، للبريطانية هيدى حسين، ومربع الحكايا، للبنانية علوية صبح، والبدو، للمغربية نعمة خالد.

وتنتهي المؤلف إلى أن الكتابات العربية تنسج نسيجاً خطائياً يعبر عن الوطن كما يتمثل في وعين، وفي نسج هذا الخطاب النسوي، لم تسمع الكاتبة إلى استمرارية خطاب بل شكلت خطابها من مفردات تجربتها الحية، وهي المرجعية التي تتغلغل في الخاص لتعبد صياغة العام.

ولنلاحظ أن هذا الخطاب في شكله النهائي ليس منفصلاً عن المؤثرات التي شكل الوجدان تجاه الوطن، وهو يعيد صياغة الوطني في منطقة بيئية، إلى تصحيح الذات الانثوية عليها حول الوطن عبر وضع الثقافات الداخلية أو كشت المصاد أو تشكيل حضور النساء تعويضاً عن الغياب المفترض.

والكتابيات لا يشكلن خطائاً أحاديًا متفاهياً، بل ينهلن من مصادر مختلفة لا تتفق سوى في مرجعيتها الأساسية. وهذه التعددية هي التي تقاوم الأحادية المسيطرة وتزبد من مفهوم شراء الوطن، وتبلور رؤية نقدية بعيدة عن المنظومة الأبوية التي ترسم صورة شائكة كاملة للوطن، فوطن الكاتبة يتعد عن هذه الصورة ليكشف عن هوائش، وتعبد بناء المتشظى.

المستقبل العربي
عدد يونيو ٢٠٠٢
بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية



الفتاحية العدد تمجيد شعوان «فلسطين والصراع»، الخريطة ليست الطريق، وهي تعرض للارتباك الأمريكي في إدارة العراق المحتل والاحتياجير الأسافر لصالح إسرائيل في المنطقة.

في العدد ملف من تصاميم الاحتلال الأمريكي للعراق يشير إلى زيف الادعاءات الأمريكية وتجاوزها كافة القوانين والأعراف الدولية، ومقال عن الصراع على العراق وإسكانية بروز مجتمع مدني. يتضمن العدد أيضاً دراسة لسمعان أبو ستة عن إسرائيل ٢٠٢٠، وآخر لمعادية سعد الدين عن التدخل الإسرائيلي في شرق أفريقيا وإسكاته على الأمن القومي العربي، وباب آراء ومناقشات، مقالة لترويس اللبنانية الأسبق سليم الحص عنلها، خريطة الطريق ليست نهاية الطريق، ويكتب عبد العزيز التويجري عن مستقبل التعليم في الوطن العربي، إضافة إلى عروص كتبت وصارت بأهم الندوات والمؤتمرات التي عقدت خلال الشهر.

البترون العربي... دراسة اقتصادية سياسية
حميد عبد الله
القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٢، ٥٢٠ صفحة

بالإضافة إلى التحليل الذي يقدمه المؤلف للاقتصاديات البترونية يطرئ مواضيع ربما تبحث لأول مرة بهذا التفصيل، ومنها العلاقة بمنظمة التجارة العالمية، ومسألة التصير المتأخر

وبرتونوكول كيتو، وتأثير ذلك على البترول.

ويتناول الباب الأول التحرير بصناعة البترول موضوعاً للتحديات البترونية وتصنيفها واستغلالها، كما يشرح أساليب البحث عن البترول في الطبيعة ومعايير الاكتشاف التجاري وتقدير الاحتمالات البترونية، والوسائل المستخدمة في تنمية الحقول المكتشفة والإنتاج منها، وما طرأ على تلك الوسائل من تقدم تقني خلال السنوات الأخيرة

ويشرح في الباب الثاني التغيرات الهيكلية التي طرأت على جانب الإنتاج والعرض العالمي للبترول خلال النصف الثاني من القرن العشرين، ابتداء بالكارثال العالمي القديم الذي كونه الشركات العالمية الكبرى لكي يحسم ويدعم سيطرتها على السوق العالمية للبترول حتى مطلع السبعينيات، ثم تطور هيكل تلك الشركات واتجاهها في السنوات الأخيرة إلى الاندماج لتكوين كبريات ديناصورية وعودتها مؤخراً للشعوب عن البترول والحفاظ على دول أوكيا، وبخاصة دول الخليج العربي، ويتناول بالشرح الاتفاقيات البترونية التي تلطم العلاقة بين الدول المنتجة للبترول وبين الشركات العاملة في أراضيها ويصنف خاصة عقود الامتياز التقليدية، وعقود المشاركة، وعقود المقدم، والنظام الفنيوني المقدم.

وفي الباب الثالث يتناول التحرير بدراسات التنويع ما يطالب على الطاقة موضوعاً للصعوبات التي تواجه تلك الدراسات، وشارحاً بإيجاز ضائع ونظم التنويع ما يطالب على الطاقة لكي يتحول إلى التحولات المستقبلية للتعلي على الطاقة.

ويبدأ الباب الرابع باستعراض تاريخي لأسواق البترول منذ الحرب العالمية الثانية، وكيف أن انخفاض الأسعار بقرارات مفردة من الشركات العالمية الغربية قد صاحب نهاية الاهتمام ببترون الشرق الأوسط تقليبة منقطلة بإعادة البناء في أوروبا واليابان وحول الولايات المتحدة في مستورد صف البترول منذ ١٩٤٨.

بعد هذا الاستعراض لمظهر سوق البترول القادمة ينتقل المؤلف في الباب الخامس لمعالجة مسائل البترول العربي في ظل منطقة التجارة العالمية والتغيرات الجات ويتعرض لكثير من المسائل الأخرى المرتبطة بمنطقة التجارة العالمية، مثل شروط الضريبة، وطورها، وكيفية الدخول إلى المنطقة، إلى تعدد الاتفاقيات في إطار المنطقة، كذلك المتعلقة بالتجارة والخدمات والبنية التحتية، والاستثمار والاشتريات الحكومية، والدعم أو الإعانة المحظورة، والتدابير التحويلية، ومكافحه الإغراق، والتجارة والبيئة، والعوائق

فلسطين والمصريون

مميح فريسون
بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،
٢٠٠٣، ٦٦٣ صفحة



كُتِبَ الكثير عن فلسطين والقضية الفلسطينية، بل إنها قد تكون القضية الأكثر إثارة للحرج كما لدم العربي. على أن الأبحاث والدراسات التي نشرت تركزت في أغلبها على فترات معينة، وقليلة من المراجع التي تناولت القضية الفلسطينية بإطلالة شاملة، أي منذ ما قبل النكبة وما تبعها، مروراً بالأحداث إلى يومنا هذا.

يساول هذا الكتاب ان يحوص النقص في المكتبة العربية، فهو يتناول الاقتصاد السياسي لفلسطين قبل النكبة وبعدها، والنسوسولوجيا السياسية للمجتمعات الفلسطينية الرئيسية الثلاثة في الضفة والقطاع وفي داخل إسرائيل وفي الشتات) ومؤسساتها وحركة تحررها الوطني والانقسامات التي شللت قامتها ضد إسرائيل واحتلالها.

الكتاب يقدم أيضاً تقييماً لاتجاهات أسوأ التي ضمنت بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، وعواقب تلك الاتجاهات على مستقبل فلسطين والعلمانيين، وهو إذ يطرح السؤال، فلسطين والمصريون... إلى أين؟ فإنه يقدم بعض الأجوبة الاستشرافية الجديدة بالشمع

يتضمن الكتاب تسعة فصول، الأول، القضية الفلسطينية والفلسطينيون، الثاني، قبل النكبة، التاريخ الاجتماعي الحديث لفلسطين، الثالث، الطريق إلى النكبة، الانتداب البريطاني الرابع، بعد النكبة، الشتات الفلسطيني (١٩٤٨-١٩٤٩)، الخامس، بعد النكبة، الفلسطينيون في إسرائيل، السادس، صعود وهبوط حركة التحرر الوطني الفلسطينية، السابع، المقاومة الفلسطينية لاحتلال إسرائيل، الثامن، الاتجاهات بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل ومستقبل فلسطين والفلسطينيين، التاسع، فلسطين والفلسطينيون إلى أين؟

التطور الإنساني التي لا يمكن تجاهلها، ولابد من التعامل معها بعمليّة وموضوعية، حتى يمكن حلف شامرها الإيجابية ونجاوز محاطرها.

المؤلف يخاطب دول العالم النامي، ويحث منها داعياً إليها للفتن فوق العولة، مشيراً إلى أن الضفة في توجيه أدوات العولة، هي لصالح رأس المال العامل والحكومات التحالفية معه، وفي المقابل، تبرع حركة مناهضة لهذا التوجه الأثافي القرض، تقاوم سلبيات العولة وخطايا منظمة التجارة العالمية، عبر منظمات وتكوينات أهلية عابرة للحدود، مستخدمة ما أتاحت العولة ذاتها من إمكانيات هائلة في المعلوماتية والاتصالات، وتمثل هذه التوجهات بحسب المؤلف، الأمل الحقيقي لعمليّة الإنسانية من «غيباليات» العولة، وسنداً قوياً للجهود التي يبذلها الجنوب في استنهاض ذاته

يشاقق المؤلف هذه الأفكار صبر أريّة أواب: هويلات، مصليات، تصحيح ومتطلبات، وأخيراً معادلة التقدم.

أحزاناً بلدتنا

مكرم فهم

القاهرة: اتحاد الكتاب، ٢٠٠٣، ١٤٠

صفحة



تفحص هذه الرواية في موضوع شائك مهم في الوقت ذاته وهو العلاقة بين المسلمين والأقباط في مصر، وهي تنسج من هذه العلاقة حكايات عن الوطن وناسه، عبر رحلة أسرة راجع محمد الذي ترك عائلته الأسرة صبياً ليصير في محل التناح اليهودي -شوحيت، وانتقال الأسرة من حي شعبي في القاهرة إلى حي راق وتكشف أنماط جديدة من العلاقات والتوترات والتعصبات في مصر الشيعانية والتسعينات، وصمود التطرف واستقلاله، وتأثير ذلك على الأقباط مصر... من أجواء الرواية،

يود فوزي إلى التذكير، واحة الدات، تنقسم الذات على نفسها، تصعب ذاتاً متاملة وموضوعاً لتأملها، ها هو البيت الريفي الصمغ، حجارا التوز في الدور فوق الأرض، فتتح الجحرات جميعها على صالة واسعة، لكنها رغبة الطابع.

الحصار، وللمسة الثامنة عشرة تقاوم وترفع شعارها الأخير محلة الثقافة الوطنية، وهي تقدم في هذا العدد دراسة عن الجهر بالصوت، في مصر، ومفلاً عن شاعر الأديبة ميروا غالب ومحتلات من شعره، فضلاً عن نصوص لميخيل عرب والأبواب الثابتة للمجلة.

وقفات وأملات... رؤى ومناقشات حول قضايا إسلامية معاصرة

مصري شديل
الإسكندرية: دار الوفاء، ٢٠٠٣، ٣٦٦ صفحة



تشترك القضايا التي يثيرها هذا الكتاب مع العديد من القضايا المهمة والمعاصرة ذات الصلة بالتاريخ والعصر الإسلامي، منها قضايا التعليم والترقية والطبقة والمرأة والإدارة والاقتصاد والتطرف والإرهاب والمؤلف يشارب سنوخته فكر الداعية الإسلامي الراحل الشيخ محمد القرألي.

وهي قسم آخر من الكتاب يطرح المؤلف تأملاتة لما تفيض به بعض العيادات والفروض على عقل وشخصية الإنسان الملم، كالصيام والحج، وفي قسم ثالث يحلل برؤية نقدية سمعة كتب المؤلفين وعلماء مسلمين ويختتم بحوار فلسفي في معنى الحياة وغاية الوجود.

التفوق فوق العولة

محمد ربو فحامد
القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٣، ٢٥٥



ليست العولة شرّاً خالصاً، ولا هي، خصوصاً بالتسوية لبلدان العالم الثالث، خيراً، محضاً، لكنها تبقى إحدى مراحل

الصعية للتجارة، والاتحادات العمركية، ومسايق التحارة الحرة، ومدايير الاستثمار المرتبطة بالتجارة، وس الواضع أن الكثير من تلك الاتفاقات علاقة قووة أو ضعيفة بمسألة البترول، إلا أنها أكثر شمولية ولما يجدر بها الباب تعريفاً أيضاً من منظمة التجارة.

وبنقل المؤلف في الباب السادس والأخير القضية التي سيطرت على النقاش المطروحة في مجال حماية البيئة منذ منتصف الثمانينيات وهي قضية التدمير المناخي وعلاقته باستهلاك الطاقة من المصادر الأحورية

اليحسرين

رئيس التحرير: أي بنت محمد آل خليفة
ربيع ٢٠٠٣



عدد الريع من هذه العوبة الثقافية يضع دراستاً عن أبي الطيب المتنبي (جابر الأنصاري)، والحدائق والعولة والمجتمع التقليدي (عبد الله إبراهيم)، في معنى الحدائق وترجماتها العربية (فخري صالح)، النص العرس والوساطة المتفاعلة (سيد قطيعة)، المجتمع العرس في القرن العشرين (سمو ضاهر)، كما يضم تحليلات نقدية يكتتبها صبيح حيدوي وصنيرة الفاضل وأكافيوات دات ويدير عبد الملك ويوحنا داتيا، ونصوص ومراجعات من عوادم عربية عدة.

أدب وقصد

رئيس التحرير: هريدة النقش
القاهرة: حرب التجمع الوطني التقدمي
الوحداني، ربيع ٢٠٠٣



تواصل أدب وعقد الصدور بإصرار عديد، برغم ضعف الموارد واشتداد

الإسرائيلي نظراً لأنهم تصعب هذا الشعب أمام ما يرتكبه الجيش الإسرائيلي وكيف أن فئة من الإسرائيليين - حتى لو كانت صغيرة العدد، أصبحت ترفض هذه الممارسات، وتعاملت بعض الإسرائيليين مع هذا السلوك من جانب هؤلاء الجنود بينما هاجموا بشدة المفطرون وأغضبوه خيانة لدولهم إسرائيل وأن من شأن التساهل معه أن يتعسف بشكل كبير داخل الجيش، وقد انتقلت القضية من ساحة النقاش العام إلى ساحة القضاء حيث هناك قضايا مرموقة ضد هؤلاء الجنود.

Shattered Dreams. The Failure of the Peace Process in the Middle East, 1995-2002
(أحلام محطمة، فشل عملية السلام في الشرق الأوسط ١٩٩٥، ٢٠٠٢)

Charles Ederlin
Translated by Susan
Fairfield Other press, 2003. \$ 28,00



يتناول هذا الكتاب السنوات الممتدة من ١٩٩٥ حتى ٢٠٠٢ والتي شهدت انهيار عملية السلام بين العرب والإسرائيليين بشكل غير متوقع أو على الأقل بصورة لم يكن المتأملون يتقدمونها خاصة بعد توقيع اتفاق أوسلو بين الفلسطينيين والإسرائيليين.

ويطرح الكتاب كشف حساب لهذه السنوات السبع الحاسمة في تاريخ الصراع بالشرق الأوسط وتحديداً منذ اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين في نوفمبر ١٩٩٥ وحتى تولي أريئيل شارون رئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي السلطة بعد ذلك بعامين. وقد شهدت تلك الفترة تولي شيمون بيريز رئاسة الوزراء في إسرائيل لفترة قصيرة إلى أن فاز ياسمين نتانياهيو بالحكم عام ١٩٩٦ وفي عهده شهدت عملية السلام أسوأ تدهورها منذ سنوات. لكن نتانياهيو لم يمسك في السلطة سوى فترة قليلة حيث تمكن رعيم حرب العمل اليهودي ياراك من هزيمته بأغلبية كبيرة إلا أن زواله الذي تعلق به آمال كثيرة سرعان ما انهارت بسبب ضعف قيادة أرياك ومشاكله التي انتهت بصور شارون عليه في الانتخابات.

كما لم يحدث في مكان آخر، لأن يكونوا جزءاً من الشعب الأثافي. وبيد المروخ كتمان بوصول الميمسوف اليهودي عاموس من بون إلى ألمانيا عام ١٩٤٣ وكان في الرابعة عشرة من عمره ورغم أنه لم يكن أول اليهود الأثافي إلا أنه دعا اليهود إلى الانخراط في المجتمع الأثافي وتعلم اللغة الألمانية وكذلك الشفافة. ويشير المؤلف إلى أن القرن الثامن عشر كان وأعداً بالنسبة لليهود الأثافي حيث راد دورهم واختلاطهم وبنيهاية القرن حدث تحول من اليهودية المسيحية في برلين فقط انتقل نصف اليهود إلى المسيحية.

وتغيرت مكانة اليهود جذرياً وإن بشكل مؤقت مع هزيمة روسيا على يدى نابليون ١٨٠٦ حيث تم منحهم كل الحقوق السياسية لكن هزيمة نابليون حرقت اليهود من تلك الحقوق مرة أخرى، بل وازد التضيق عليهم. وحمل عام ١٨٤٨ أملاً جديدةً بميزميد من الليبرالية في ألمانيا وبالتالي مزيداً من الحرية لليهود لكن ذلك أيضاً كان نقالاً قصير الأمد إذ سرعان ما حدث تغيير سياسي زاد من مشاكل اليهود وتم الأهم اليهود عام ١٨٧٣ بالمسؤولين مع الأهمية المالية التي حدثت عائدات من يومها كانت كل مسألة تقود في أسبائها إلى اليهود حسب غالبية الأثافي.

Breaking Ranks... Refusing to Serve in the West Bank
(الخروج عن الصف... رفض الخدمة في الضفة الغربية وقطاع غزة)
Roni Chacham
Other Press 2003. \$ 25.00



في هذا الكتاب تظهر أصوات الجنود الإسرائيليين الذين رفضوا المشاركة في الخدمة العسكرية في جيش الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة، ويعرض هؤلاء الجنود وجهات نظرهم وكيف أنهم يشعرون بالألم نفسيًا كبيرة بسبب ما يحدث من مواقف وأعمال لجيش الإسرائيلي في منطقتي الاحتلال. وقد أدت هذه الانتهاكات لحقوق الإنسان الفلسطينيين من جانب قوات الاحتلال إلى رفض عدد من الجنود الخدمة بل إن بعضهم دخل مصمات نفسيّة لأنهم لم يعودوا قادرين على تبرير ما يحدث لأنفسهم. وقد أخذت هذه القضية اهتماماً واسعاً داخل المجتمع

مضاهي الإنترنت في المدن السورية وتم إفلاق سحن المرة السنين الصيت والذى كان يقع فيه آلاف السجناء المياسيين دون محاكمة. وجرى إطلاق سراح مئات من هؤلاء السجناء وشجع الرئيس الشاب شكل غير مسبق على توجيه نقاش نقدي كبير للاقتصاد السوري وعزله وطمع للمعالم وما إلى مزيد من المحاسبة والتغيير.

وعندما زار الرئيس بشار بريطانيا في العام الماضي حظي باستقبال كبير وتغطية صحفية واسعة وتطلع المراقبون إلى مزيد من الانفتاح السوري تجاه العالم. يتناول الكتاب قصة ما يسميه بريغ دمتش وهي فترة مدتها حوالي ٦ شهور بدأت في الأيام الأخيرة لحكم الأسد وبداية حكم الأبن حيث ازدهرت حركات ومظاهرات الجموع المدني ودارت نقاشات سياسية وتم تداول كلمات مثل الديمقراطية والإصلاح بدون خوف. لكن المؤلف يقول إن ذلك تغير أو انتهى في سبتمبر ٢٠٠١، وعادت قصة حزب البعث الحاكم من جديد وتم سحن ١٠ من العناصر البارزة في هذه الحركات وفي مقدمتهم عضو البرلمان رياض سمع.

وسبب هذا التحول هو أن سوريا تواجه تحديات وتجهيزات خارجية ويمكن أن تعرضها للتقلبات الداخلية وعدم الاستقرار وهذه هي حجة المتشددين الوطنيين للإصلاح. ويتساءل المؤلف... هل كانت الآمال المعلقة على إصلاح سياسي كبير في سوريا مع تولي بشار السلطة مبالغ فيها.

The Pity of It All: A Portrait of Jews in Germany 1743-1933
(اليهود في ألمانيا ١٧٤٣، ١٩٣٣)
Amos Elon
Allen Lane, 2003. 403PP., 25.00 #



يقدم المروخ الإسرائيلي عاموس إيلون في هذا الكتاب تاريخاً مليناً بالندما والمأساة والحلم من جانب واحد حسب وجهة نظره وهو يقول إن اليهود كانوا قبل مليونين ونصف الأثافي كما لم ينجحوا بأن شعب آخر كانوا يعيشون على أرضه، وكانوا أكثر استعلاء.

The Kennedy Assassination
(اغتيال كينيدي)
Jensen A. J
Xlibris, 2003, 344PP



صمدت عشرات إن لم يكن مئات الكتب عن الرئيس الأمريكي الراحل جون كينيدي والملايين التي رافقت سنوات حكمه خاصة عملية خليج الخنازير التي قامت بها المخابرات الأمريكية للإطاحة بحكم الرئيس الكوبي فيدل كاسترو ثم اغتيال كينيدي في واحدة من أشهر حوادث الاغتيالات في التاريخ.

وعن هذه الرواية التاريخية يتحدث المؤلف عن ذلك كله من خلال إطار قصصي شيق حيث تقدمت القصة على أنه في عام ١٩٦١ وافق الرئيس كينيدي على خطة للتعامل مع الحكومة الشيوعية في كوبا وتشمل اغتيال فيدل كاسترو. وكانت هناك مواطنة أمريكية علمت بهذه العملية المخفية وحاولت أن توقفها. وهذه المواطنة اسمها مارلين مولرو الممثلة الشهيرة وعشيقه كينيدي.. فهل تستطيع نجمة هوليوود أن تفعل ذلك وهل أدركت مارلين مولرو حجم العيب الأخلاقي الذي سينتبه به جون كينيدي من جراء ذلك. وهل لعبت مارلين مولرو دوراً درامياً حقيقياً في محاولة وقف هذه العملية أن القصة تدور حول كل ذلك.

Syria: Neither Bread Nor Freedom
(سوريا: لا خبز ولا حرية)
Alan George
Zen Books, 2003, 224PP., 13.95 #



منذ تولي الرئيس السوري بشار الأسد مقاليد السلطة في بلاده في يوليو ٢٠٠٢ خلفاً لوالده حافظ الأسد تغيرت أشياء كثيرة في سوريا. وكما يقول المؤلف فقد تمت إزالة الحواجز الكبيرة الموجودة أمام المبادئ الحكومية كما انتشرت

الصلى في أي نزاع، وفي النهاية يدعو المؤلف أصحاب الديانات العالمية إلى الانضمام السياسي، والتقدمي، في الواقع العولمي الجديد.

Searching for John Ford: A Life

(حياة جون فورد)
Joseph McFride
Faber & Faber, 2003.
250 #



يتناول هذا الكتاب سيرة حياة الممثل الأمريكي الراحل جون فورد أحد الممثلين الكبار في تاريخ السينما الأمريكية.

Religion in International Relations: The Return From Exile

(الدين في العلاقات الدولية)
Fabo Petru, Pavlos
Hatropoulos
Palgrave Macmillan, 2003.
296PP. \$ 26.95



يتساءل المؤلفان عن جدوى الأسس العلمانية للعلاقات الدولية في الوقت الحاضر. حيث تبين دراستهما كيف أن تناسي عصر الدين في العالم كله أصبح يمثل تحدياً لنظرية العلاقات الدولية التقليدية. ويهدف الكتاب إلى زعزعة الأسس العلمانية للمنهج، وكذلك تعميق الاهتمام الشائع بأن تسييس الدين دائماً يهدد الأمن ويقتض حلاً أمام التفاوض

عن وسائل أخرى. وفي ذلك مكن الخطر لأنه ربما يتعارض مع استقلالية الجامعة ورسالتها خاصة إذا كان الأمر يتعلق بنواح علمية محددة كما تقوم جامعة ما بتأطير الإعلان عن اكتشاف علمي، ما إلى أن يتم الاتفاق مع شركة على شراء براءة الاختراع أو حتى إتاحة لقد ارتفعت شدة تكاليف التعليم الجامعي ولم يعد ممكناً الوفاء بمتطلباته من خلال وسائل تقليدية كالرسوم أو وضع مخبرات شركات راضية مثلاً على الزنى الرياضي لطلاب الجامعة أو في صفات الألعاب الرياضية فيها. إن أعمال «القصص» من أجل الحصول على أموال للجامعة مثيرة للغاية فالتأهبة بين الجامعات شديدة للحصول على دعم من الشركات ورجال الأعمال. ويحذر المؤلف من أن هذه الرغبة الحموية في الحصول على أموال من شأنها تحويل التعليم العالي الجامعي إلى تجارة فمن أجل الحصول على أموال يمكن تأجيل الإعلان عن كشف علمي ما أو تسيير نتائج بحث أو تأكيد عدم وجود أضرار لهذه السلعة أو تلك.

Universities in the Marketplace. The Commercialization of Higher Education

(الجامعة في السوق... تحويل التعليم العالي إلى تجارة)
Derek Bok
Princeton University
Press, 2003 233PP. \$ 22.95



يتناول هذا الكتاب قضية خطيرة للجامعة وهي تمويل الجامعات في الولايات المتحدة والمؤلف رئيس سابق لجامعة هارفارد العريقة ومن ثم فإن لديه خبرة كبيرة في الموضوع. ويتساءل المؤلف كيف تحصل الجامعة، أي جامعة، على المال الذي تحتاجه؟ إن الرسوم التي يدفعها الطلاب تكفي ولذلك لابد من البحث

مذكرات هيلاري.. الكل مخطن باستثناء السيناتور الطموحة

مراجعة

تذكرت هيلاري الأيام الجميلة التي وقعت خلالها في حب الدينوسموس الجميل الذي كان يبدو مثل محاربي الكينج بيل في عام 1970. بكلمة الحقوق في جامعة بيل، وكيم أنها اعتقدت أن قوى الطبيعة هيأته وهي ممة لدور كيريلي المستقل، لكن يبدو أنها لم تقدر جيداً المشاكل التي يخيلها المستقبل.

إن ما ذكرته هيلاري في كتابها قد لا يأتي لتصديق الكثيرين على سبيل المثال فإن 5% من الأمريكيين الذين شملهم استطلاع أجراه معهد جالوب لصالح صحيفة بيس إن إتش إن بونديكا بالشارقة في شبكة في إن. فالوا إنهم لا يعتقدون في صحة القصة التي أوردتها هيلاري عن اعتراف كينغتون لها بشأن علاقته بونديكا لويونكي التي صممت إليها هو أن الاستطلاع وجد أن شعبية هيلاري في ارتفاع خاصة بين النساء منذ نشر الكتاب والحوادث التي قامت بها للترويج له. وإذا سلأت الأمور في صالح هيلاري، فقد توصف هذه المذكرات بأنها البداية شبه الرسمية لرحلة ترويج هيلاري كينغتون لخدمة الولايات المتحدة.

ماري ليونارد

صحيفة جوسون جلوبل الأمريكية

مناسبة مع ميوكيا أي تقريباً بعد 8 أشهر من نفي كينغتون القصة الشهيرة وجود أي علاقة بينه وبين الرئيس السابقة في البيت الأبيض أو كما اعتاد كينغتون أن يطلق عليها، تلك السيدة، وتصبح هيلاري رد فعلها قاتلة. لم أستطع التفتيش. بدأت أصرخ وأصيح في وجهه. ماذا تعني.. ماذا تقول؟ لماذا كذبت على

إن هيلاري رغم أنها كتبت مذكرات لكن عيبتها على المستقبل ولذلك تحدثت عن الماضي مدافعة عن نفسها. وفي على سبيل المثال تحدثت عن أحطائها في محاولة إصلاح النظام الصحي الأمريكي في فترة رئاسة زوجها الأولى مما أصاب هذه الرئاسة هزة كبيرة وأدى إلى تعرض الديمقراطية لشكك أكبر في انتخابات التجديد التفتيش عام 1994.. لكنها لم تكن هي المخجلة. هكذا تصر، بل إن هناك قوى بالغة الشراسة تحالمت صدها ثم إنها أصابت تقديرو المعارضة التي يمكن أن تلفاها كسيدة أولى لديها مهمة سياسية إن إلقاء اللوم على الآخرين سلوك متقاد في مذكرات هيلاري. وعندما يحدث شيء معاكس فإن هيلاري توجه غضبها ونفثها وكرهاتها إلى جينفر فلانور ويلو جونز ومونيكا لويونكي (التي تأتي سابعاً في ترميزه لكينغتون) خلال اتهامه بالتحرش بهن أو إقافة علاقات غير شرعية معهن) لكن الغضب

Living History

(معايشة التاريخ)
Hillary Rodham Clinton
Simon & Schuster, 2003.
562PP. \$ 28.00



تبدو المذكرات التي أصدرتها السيناتور هيلاري كينغتون روحه الرئيس الأمريكي السابق بيل كينغتون قبل أيام تحت عنوان «معايشة التاريخ»، بمثابة إطلاق لحميتها الرئاسية التي طمعت إليها كثيراً.. إنها - أي المذكرات - إعلان سياسي بالاستقلال، لكن للأسف لم يكن في هذا الإعلان منطق وحجج تقنع القارئ بذلك.

المشاكل والصعاب التي سادت عصر ال كينغتون في البيت الأبيض (أ) سنوات) بل إن قضية خليفته مثل فميرة ميوكيا لويونكي تأتي بشكل عام للجامعة وفي نهاية المطاف (صحة) لتتضمن أن الرئيس اعترف لها بأنه أقام علاقة غير

مركز البريطانية وجباله مائه الجبال الكندية. فقد شبهها البعض بقصة همنجواي الشهيرة، «الحجوز والبحر»، واعتمد أحد النقاد أن المؤلف يأن مارتل بعد خلفاً لماركيز.

وتعد هذه الرواية الثانية لبنا مارتل الكندي الجنسية، والذي ولد عام ١٩٦٣ في إسبانيا لأب دبلوماسي يعمل في عدة بلاد منها كوستاريكا والمكسيك وفرنسا وإيران والهند وتركيا. وتنعكس خبراته تلك إلى جانب دراسته للفلسفة في هذه الرواية التي تدور حول شاب هندي في السادسة عشرة من عمره ينحدر من غرق سمعية في المحيط الهادي، ويطلق في عرض البحر بصيحة ترمع لمدة ٢٢٧ يوماً.

هذا الصبي كان يعيش مع والده في الهند حيث كان يمتلك حديقة حيوان صغيرة. وبالرغم من أن الأسرة هندوسية إلا أن الصبي الذي يدعى «باني» كان مؤمناً بكل من الكاثوليكية والإسلام.

Gulag: A History

(الجولاج.. تاريخ)

Anne Applebaum
Doubleday, 2003, 677PP,
\$35 00



يتناول هذا الكتاب مرحلة أساسية في التاريخ السوفيتي السابق تلك المتعلقة بمسكرات الاعتقال والتعذيب، والتي لم يعد هناك أي اهتمام بها بعكس الاحتمالات التي لا تتوقف بدعوى مسكرات النار للبهود.

وتشرح المؤلفة وهي كاتبة في صحيفة واشنطن بوست الأمريكية إلى أن مسكرات الاعتقال والتعذيب السوفيتية أسبق زمنياً من مسكرات تعذيب اليهود وهي كذلك أكثر هولاً وقطاعة وتشاول المؤلفة بالتفصيل كيف لعبت الايديولوجية دوراً مهماً ضد البشر باسم بناء الاشتراكية ودولة الرويتاريا إن كنزوين لا يعرفون شيئاً ولم يسعوا عن الجولاج، الذي نشره ناعن ادبي روسيا الشهير الكسندر سولجنستين عملاً شهيراً بنفس الاسم، لكي المؤلفة تتناول التاريخ الاجتماعي لهذه المسكرات «الجولاج». وهي تشرح أسئلة منها: هل اعتقد ستالين فعلاً أنها مكان لإعادة تعليم الخصوم ليصبحوا مواطنين اشتراكيين؟

هكذا ترمي مؤلفة هذا الكتاب الذي يساعد الشخص العادي الذي يستلكن ميزانية محدودة في اكتشاف دولة لم يقوم مثقفيه أي مثزله.

يحتوي الكتاب على أفكار عبدة مستوحاة من ثلاثة وثلاثين منزلاً صغيراً من مدن وأحياء مختلفة في الولايات المتحدة، وهو يضم تصميمات ويصنع المبادئ الأساسية في الديكور، ومجموعة كبيرة من الصور.

La vie intellectuelle en Chine depuis la mort de Mao

(الحياة الثقافية في الصين منذ وفاة ماو)

Zhang Lun
Fayard, 288PP, 20p



كان للثقافات التي هزت الصين، منذ أسقط دنج زياو بينج الحوية بعد قيام الثورة الثقافية، أكبر الأثر على الفكر الصيني سلباً وإيجاباً على حد سواء. فقد أدى الانفتاح على العالم الخارجي، والذي روعي فيه عدم التمرس للسياسة أو لفريدة الحكم المطلق والدائم للحزب الشيوعي، إلى سقوط جرة فكية واسعة المدى، وكان ذلك حتى وقوع ضربة تيانانمين في ١٩٨٩، والتي لم تمل على أشرها نص عالم الاجتماع والاقتصاد رانج لون إلى فرنسا. وفي كتابه هذا، يتعرض رانج لون لعلاقة المثقفين الصينيين بالحدثة منذ أواخر القرن التاسع عشر، بدءاً بفرض الكونفوشيوسية وصولاً إلى الشيوعية. وقد يبرع في عرض ذلك من منظور التاريخي.

Life of Pi

Yann Martel
Harcourt Brace & Co.
2003(pd), 348PP., \$14 00

(حياة باني)



أشاد العديد من النقاد بهذه الرواية التي حازت عدة جوائز أدبية، منها جائزة

الحرب...؟ يستطيع أحد وقفا ٩.. من يصنع الأسلحة؟.. وتهدف تلك الأسئلة إلى زيادة المعلومات المتعلقة بالحرب أكثر منها المعنى إلى مناقشة وتحليل منها. أما كتاب: On n'aime que la Paix، فيضم مختارات من أشعار كوكوك وجينيفيك وديوش وروباري وحكمت وفياش وكثيرين غيرهم، تدور حول غباء وشراسة الحروب، كما يصمم الكتاب مجموعة من الصور المتوغلغرافية، أبيض وأسود، للحروب، ترسم لها صورة أشبه بالكابوس في مقابل عدد من اللوحات الفنية الملوثة بالصاعمة التي تعكس شعوراً بالأمل في عالم يسوده السلام.

Culture, Civilization and Humanity

(الثقافة والحضارة والإنسانية)
Tarek Heggy
Frank Cass, 2003, 392PP.



أصدر طارق حجى حوالي اثني عشر كتاباً باللغة العربية بين عامي ١٩٧٨ و٢٠٠١، وقد قام باختيار مجموعة من الفصول التي ظهرت في تلك الكتب، وترجمها إلى اللغة الإنجليزية وجمعها في هذا الكتاب الأخير الذي يصدر من دار نشر مريطانية.

Living Large in Small Spaces: Expressing Personal Style in 100 to 1000 Square Feet

(العيش بفخامة في مساحات ضيقة، كيف تعبر عن أسلوبك الشخصي فيما بين ١٠٠٠ قدم مربع؟)

Abrams, Harry Inc, 2003,
\$35.00



بقليل من الخيال والإبداع، وبدون اللجوء إلى مصمم الديكور، يوسع أي شخص أن يحول منزله الضيق إلى مساحة تنسم بالثوق والراحة والأناقة.

وقد التقى المؤلف مع فورد قبل ٣ أعوام من رحيله وشغله الحديث الكثير عن حياة فورد في طفولته وشبابه والأسطورة التي أنشأها فورد ويحيها هذه الأيام. الكتابات حول المولد والطفولة فقد كان يدعي أنه ولد في أيرلندا. ويشير المؤلف إلى أن جون فورد لم يولد في أيرلندا بل في ولاية مين الأمريكية عام ١٨٩٤ لأب من أصل أيرلندي وكان الطفل جون هو الأصغر بين ١١ طفلاً.

وصل جون فورد إلى هوليوود عام ١٩١٤ وبدأ العمل كمخرج وبيع في أفلام الكوميدي ويطلق المؤلف أن جون فورد استطاع أن يعرض التاريخ القصوى الأمريكي على الشاشة. لكن فورد، حسب المؤلف كان قاسياً ولحاً مهادياً للسامية طيلة حياته وكان يصرع في الشرب وأصيب بأعراض عديدة من جراء ذلك، ورغم أنه عارض القامضة السوداء التي وضعها السيناتور الأمريكي جوزيف مكارتني والتي ضمت من اتهموا بالتعاظم مع الشيوعية إلا أنه كان يمينياً داعياً للحفاظ على أسماء المثاقب الأمريكية.

Un Jour, J'arrete la guerre

(سأوقف الحرب ذات يوم)
Thierry Lenain, Nathan
Demi-Lune, 48PP, 5.57p

Pourquoi la guerre?

(لماذا الحرب؟)
Philippe Andrieu, Autrement
Junior
Société, 48PP., 7.95p

On n'aime guère que la paix

(لا نحب سوى السلام)
Ed Rue du Monde.
collection poemes dans les yeux, 56PP, 17p



أقدم عدد من الناشرين الفرنسيين على طرح مجموعة من الكتب ذات الطابع التربوي الجسده والموجهة للأطفال من سن 6 سنوات فأكثر، منها كتاب: Un Jour, j'arrete la guerre، وهو نص قوي وموجز يتميز بلغة تعترف بقوة آلة الحرب، ولكنها لا تلتقي بالأمل في السلام، وكتاب: Pourquoi la guerre؟، يدور حول عقرة أسئلة بسيطة، على نمط ما هي

نرحب بوجهات نظر، بما يرد لها من رسائل تليقنا على ما ينشر بها من موضوعات ومقالات. ونحرص على نشرها. مع التأكيد على أن ما تتضمنه من آراء، مثلها مثل المقالات ذاتها. لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة تحريرها

بين الأساسيات والكماليات..

عندما ذهبت كملائي لشراء العدد الجديد من مجلة «وجهات نظر» (يونيو ٢٠٠٣) فوجئت بخلاتها ملطخة بلون أسود، ولما سألت صاحب المكتبة صمن فعل هذا أشار بإصبعه إلى العلاف وقال: امس النظر وانت تعرف من ولدا.

هربت عني يحد من الخلاف، وهيات نفسي لرؤية أمر جدد، ولما أعياني اكتشاف الفاعل ومعرفة دوافعه، اعتدت على صاحب المكتبة سألني، وأظهرت لي حيرتي، وقبل أن يجيبني ما زلت أقال: يقولون عى هذه الحالة في مصر، غلب حمارى، فظهر الرجل عن يمينه ويساره وأقرب من أدنى أقال: لقد وصفت وجهات نظر صورا عارية داخل المجلة واختارت هذا الموضوع على غلافها.

لم أصفق لأنى، وبحركة لا إرادية نظرت مثله حولي، وحتى لا تقرأنى كلماتي إلى أن سألني ففسيت لي ولها وله حرجا اكتميت بالتعبير عن دهشتي بأن فحنت فمى عن آخره وقلت: ياااه..

على عجل أخذت المجلة، وقذفت نفسى بسرعة عجيبة داخل سيارتى، وبحركة اصمالية أدوت زر المكيف عن آخره لعل هواءه البارد يخفف عنى حرارة طقس الخليج التى لا تطاق هذه الأيام، وتحوّل جزم من انصمالاتى الداخلية إلى شيء آخر خارجى، وعدد أول إشارة مرور، حمرنا، تصفحت المجلة فلم أجد له قاله صديقى صاحب المكتبة أثر.

اعتدت قراءة مساوين، محتويات العدد، حتى وصلت إلى مقالة «ماتيس وبكاسو.. الصديقان الغريمان» فى مصرى واحد، فالتقطت عيناى أرقام الصفحات وحاولت الوصول إليها لكن أيضا خاب رجائى فلم أهدأ، بلها.

وقبل أن تنسر الإشارة لونها الأحمر، عرفت أن مقص الرقيب قد تعامل مع الصفحات ٤٧ إلى ٥٠ لتقطعها من جذورها تاركا متسبورا واحدا فقط من الهامش الأبيض حتى لا تنصمم عرى بقية صفحات المجلة.

حمدت الله على أن وصل الأمر إلى هذا الحد، وقلت سامحكما الله يا عم ماتيس أنت وبكاسو، كانت «بركاتكما» تستحل على المجلة فتحرم لوجاتكما قراء الخليج منها ومن روالعها السياسية والفكرية والثقافية فى رسم بات البحث عن «أساسيات» الوعى يحتاج إلى فطنة تحريرية لتبعد، الآن، عن «كماليات».

أعزأنى على هيئة تحرير «وجهات نظر»، نشمن اهتمامكم بذلك الموضوعات الجيدة عن الفنون التشكيلية، ولكنكم تعرفون أننا نحتاج هنا (الآن بالذات) فى هذا الزمن المضطرب لقراءة مجلتكم، وإفكاركم فلا ندعو صفحاتكم يمكن الاستغناء (حاليا) عنها، تمشيب فى حجب مجلتكم كليا عن قرائنا، فتحرمونا مما هو أساسى لتستكملوا ما هو فرعى، ففى عالمنا العربى، بعض الملح قد يفسد الطبخية.

عطية الطيب
فلسر



البشرى واستقلال القضاء

كما وعدتنا دائما مجلتكم الواردة فى مجال المعرفة (الكتب) وجهات نظر، أن تشتمل على أرقى ما يمكن أن يكتب فى المجالات الدورية المتداولة.

فقد نشر عى عدد مارس ٢٠٠٣، مقال للاستأذن المستشار الكبير طارق البشرى، يحمل عنوان (القضاء المصرى بين الاستقلال والاحتواء)، وتم كان هذا المقال الذى هو حقيقة الأمر ليس مثالا، وإنما هو دراسة متأنية ورصينة، تمتاز بشجاعة تناول عى أمر يعرف كثير من الكتاب عن تناوله، وقد جاءت عباراته صماغة بإتقان شديد، وفردت لفة محكمة والعلم، متأنة شدة وحكمة، وهذا ليس بجديد أو غريب عن كاتبها، الذى يحى هو واحد من معالقة القضاء فى العصر الحديث، وإستعدادا ليطبعها لعلامة القانون وإفقه المرحوم عبد الرزاق السنهورى، فها هو يصوغ عبارات

فى الملأ الحقيقى لتحقيق استقلال القضاء، منها على سبيل المثال: أنه لا استقلال للقاضى ولا حياد له إلا بروح الاستثناء، ومنها أن القاضى الطبيعى هو القاضى الذى لا يختاره بذاته سلطة بذاتها لنظر قضية بذاتها، والعديد من هذه العبارات المحكمة غاية الأحكام، والحديد الذى جاءت به هذه الدراسة ليس فقط التشخيص الدقيق والتوصيف القاننى للأوضاع القائمة بشأن القضاء، إنما هو الرؤية المنصبة دون تحيز أو تجن فى العلاقة بين ثورة يوليو ١٩٥٢ والقضاء، وهذه الرؤية المنصبة هى اللافتة للنظر فى هذه الدراسة، لأن كل من تناول علاقة ثورة يوليو بالقضاء، إنما كانت دائما لديه وجهة نظر سبقة، ضد الثورة ومع القانون أو القضاء، وربما يرجع هذا بشكل عام إلى أن القانونيين لديهم موروث قانونى ومفاهيم ثابتة وراسخة، عادة ما تكون ضد التغيير، والغريب فى الأمر أن هذه المفاهيم القائمة ناجية على الأساس من الثورة الفرنسية وما جاءت به من مفاهيم، وهى التى قامت ضد أوضاع قائمة ومستقرة فى المجتمع العربى، حتى وصل الأمر ببعض ممن كتبوا عن الثورة والقضاء، أن يطلب من الثورة أن تحافظ على الدستور وكل القوانين القائمة، وهنا يفرض سؤال نفسه، وأن الثورة يقوم بها رجال ضد الأوضاع القائمة، التى ينبغى لها أن تزول، وتكون أول عقبة تواجه أى ثورة، هى الدستور والقوانين، فلابد لى ثورة عند قيامها أن توفى العمل بالدستور وأن تلغى القوانين القائمة والبقيدة لحركة الثورة، وأن تضع الثورة لنفسها دستوراً جديداً وقوانين جديدة تلائم وتناسب مع الأوضاع القائمة والبقيدة الثورة والفهم والمبادئ والأفكار التى تراها عى حاجة إلى تقنين، من هنا عندما جاءت دراسة المستشار (البشرى) لم تحف الثورة حزينة، ولم تلحز (إبها)، فكانت دراسة نزيهة تماماً تعاون أى باحث عى يخرج برؤية عادلة ومنصفة لهذه العلاقة، على أن أسراً واحداً رأى عى فى حاجة للتأكيد عليه، وهو أن السلطة القضائية، ومبدأ صدر القانون رقم ٦٦ لسنة ١٩٤٣، يحمل اسم قانون استقلال القضاء

متفادلاً ذكر كلمة سلطة، رغم أن دستور ٢٣ ودمستور ١٩٣٠ قد خلع على القضاء وصف السلطة ورغم أنه كان بمثابة طرفة، وثقله موضوعية للأمام، إلا أن هذا القانون قد جاء متأثراً إلى حد بعيد بالقانون الفرنسى، الذى أفرغ مضمون ومحتوى السلطة عن القضاء، بأن جعله إلى نهاية الأمر أنما يحدد قضاء با سلطة، بأن منح عملياً كل سلطات القضاء إلى وزير العدل، التنفيذية هو وزير العدل، وتوغلت السلطة التنفيذية ممثلة فى وزير العدل فى معظم الاختصاصات المخولة للقضاء، وذلك على حساب استقلاله وأحياناً أخرى يباشر هذه السلطات رئيس الجمهورية، وقد كان هذا الموروث الذى بدأ منذ الأيرينيات، هو البداية الحقيقية لغياب مفهوم السلطة عن القضاء.

عصام الإسلامبولى
الحامى بالنص
والإدارية العليا والدستورية العليا



نحنن أم هم؟

بقدر ما شددنى «قراءة أيمىن الصياد المولودة» مائة بن لادن، بقدر ما أثارت من تساؤلاتى كنت ومازلت أبحث لها عن إجابة، والكثيرون فيما اعتقد، وتلاها قراءتى للاستاد سلامة أحمد سلامة فى «دوليتهم»، ما جعلنى أضرع وكان الحوار، عى الغالب عن غير قصد، كان بينهما، فتركز الصياد هذه المرة فى الحقيقة بتركز على «الأخر»، فى حين يركز الأستاذ سلامة على «نحن». وأنا بطبعى أميل إلى منحى التركيز على «نحن».

يقول الصياد إن الأمريكين يخطئون حين يصممون أن يفهموا كل الأمور بطريقتهن، وأتفق معه فى الرأى، ولكن المشكلة، فى اعتقادى، أنه فى الحقيقة لا يعد أحد منهم، أو من أوروبا ولكن يدرجه إلى لأسباب، يهتم بكيفية فهمنا نحن لهم الأمر، لم يعد أحد من الكبار، يضع فى حسابه فهمنا للأمر، ولا تستطيع نفسى أن

الاختلاف والاجتهاد مكشوف وليس هناك ما يلزم المسلم باتباع رأي متشدد بعينه مادام في سواه متسع وله في الدين أصل صحيح. أما الإسلام (التاريخي)، وكذلك الإسلام (الشعبي) أو (السلطوي) إلخ إذا جازت هذه التسميات التوضيحية، فإن كلا منها يصلح للاحتجاج والقياس، أو يصلح بحسب مدى اقترابه أو ابتعاده عن الإسلام (العقائدي) لأنه هو الأصل الذي يحاسب عليه هذا الدين.

(٢) ليس فينا ابن، أو في ديننا أو حضارتنا، ما يسمى بالنزعة الجهرية الأصلية لتحريم كل شيء، أو الذمينة المشفولة بالتحريم، ولكن البعض يسمي أحياناً فهم حرص المسلم المتزعم على تحريم الحلال في كل أموره، وهو ذاته أمر إيجابى وليس سلبياً، فيلجأ لهذه التفسيرات الاختزالية الظالم لأذى يعكس بدوره ذمينة تشويهية للأحرار، أو قولية وتنميطاً له؛ وحتى من الناحية التاريخية، البهتة، لعل هناك جانباً يجب أخذه في الاعتبار من باب الإنصاف، وهو موجود، فلي كل مجتمع.

(٣) نقطة أخرى وثيقة الصلة وتستحق التوضيح، وهي أن رفضنا للتحريم المطلق غير المبرر لا يعنى الذهاب إلى طرف التقييد الآخر بالأدعاء بضرورة التخليص من وصمة (ذمينة) للتحريم) المزعومة! وذلك ببساطة لأنه لا يوجد نظام عقائدي أو اجتماعي أو ثقافي أو حضاري، ويستهدف صالحاً عاماً للإنسان، يخلو من (محظورات) إلى جانب (المباحات)، ويتحدث من يقدم لنا نموذجاً واحداً على ذلك، واللا بد أن نتذكر أن (القانون) نفسه، لا شيء يخلو منه أو مما يقوم مقامه مجتمع حتى في الجماعات البدائية المنعزلة. يبدو في النهاية في تلك الدرجات الخمس السابق ذكرها للحلال والحرام في الإسلام؛ كما لا يجب أن تكون دعوى (ذمينة التحريم)، المزعومة تلك هي جثتنا الجاهزة والمهلهة لتبرير رفضنا لأي تشريع لا يروق لنا حتى ولو كان يستند إلى أصل صحيح أو منطق محترم.

احتاطت للأمر ولفشت الأنظار إلى أن ذمينة التحريم هذه لا تتصل فسطح الحرب أو السلميين دون غيرهم...

ولكنني في الحقيقة ذهبت إلى أبعد من ذلك، وهو أن المصطلح أصلاً ينطوي على سوء فهم حتى عن افتراض سوء الفهم، لأنه لا يوجد في تاريخنا من يمارسون عادة بتحريم المستحبات والمحرقات، ولكن لأن ذلك نفسه لا ينهض دليلاً كافياً على صحة المصطلح، أو على القول الذي قالته الأستاذة ديل غيوم (رالف هاتوكس) صاحب أحد الكتب التي عرضتها من أنه (من الواجب فحص ذلك المنطق التشرعوي الذي حرّمها في وقت من الأوقات ثم المنطق الذي أحلها مرة أخرى)، ثم تعليق الباحثة بأن ذلك يذكرها «بالثقافات التي تنحصر من حين لآخر في مجتمعاتنا العربية المعاصرة على أشياء مثل مشروعية تاليف وفرة رواية ما، أو حق المرأة في قيادة السيارات، أو مشادة معارضة الثيران».

ورأيت باختصار صراحة في هذه النقطة: (١) كمدة فارق كبير، ويوقع تجاهله في خطأ منهجي لا يتفكر، بين أن تكون هناك اتجاهات فكرية مختلفة يميل بعضها للتفسير ويعطيه الآخر للتشدد. وهو أمر يركب ادعاء طبعية بشرية في كل زمان ومكان. أو حتى بين أن تسود نظرية التشديد في تشريعات مجتمع ما في حقبة تاريخية لها ظروفها، وبين أن نصف «حضارة، بأكملها أو نظاماً معيناً، بأكمله أن خصائصه الثابتة ومفهوماته الدائمة هاجس تحريري قوي». فالحقيقة أن الإسلام (العقائدي)، إذا جاز التعبير، برز من ذلك، ونصوصه تخرج مرة أخرى للتفسير وتفضيل الرقيق والتخفيف، ويكفي أنه أرسى تلك القواعد الذمينة الشهيرة (الأصل في الأشياء (البياحة) ولا تحرم إلا بالضرورة) ولا يعتد بالنص إلا إذا كان ثابتاً وله دلالة قطعية، إلخ. كما أنه وضع درجات من الحلال والحرام يصل عددها إلى خمس، وليس من بينها (لا درجة واحدة فقط للتحريم) القسطنطيني (من الحرام) ويقال المراجعات كما هو معروف في (الواجب) و(المستحب) و(المباح) و(المكروه) و(المعصية) و(الحرام) و(الحرة) الأخذ يستوي دون آخرين، وحق

الداخلية التي جرت في لبنان واليمن وتجرى في السودان والجزائر، أو الخارجية بين مصر وليبيا، وليبيا وتشاد، والعراق والكويت، والعراق وإيران، والقائمة طويلة، وإنما الحركة الأصعب في معركة تصحيح مفاهيم وتثبيت قيم وترتيب صحيح للأولويات.

ومن هنا التفاقي التام مع الأستاذ سلامة في أنه لا بد أن يكون «بيننا لا بيد عمرو». فهل سيأتي اليوم الذي نرى فيه في بلادنا رئيساً لتفترتين على الأكثر، وأحزاباً تتداول الحكم، ونساء على منصة القضاء، وإعلاماً بوسائله المختلفة بعيداً عن ملكية الدولة؟ هل سنعم يوماً بحرية إبداع الفن بعيداً عن الرقيب الحكومي أو الأزهر؟ وشرعة تضمننا حين نتظاهر بذهب لعضائنا في الاقتراع ولا نرغمهم وهي تطلب منا إظهار طائقات الهوية؟ ناهيك عن دول أخرى تتمنى فوق ما سبق أن تروى نساءها تسير بحرية في الشوارع وتذهب لعضائنا في الاقتراع وتشهد السيرة على المستوى الشخصي، يغلبن التساؤل، بل أسف، وإن حدث بعض ما سبق «بيد عمرو»، فلا نلوم إلا أنفسنا.

محمد حملي محمود



القوة... وذمينة التحريم!

نشرتم مقالاً تحت عنوان «التفسير الهوجو للتاريخ، في عدد مجلّتناكم العدد في أول فبراير والمعرف أن أي مقال أو بحث يتناول تاريخ الطعام والشرب من زواياه المختلفة يضمن إقبال القراء وشغفهم لما فيه من طرافة وممتعة. ولكن هناك نقطة أرجو أن تسمحوا لي بالتعبير عليها لأنها صارت من (الكليشيات) الجاهزة التي يلقي بها في وجوهنا نحن العرب والمسلمين في الآونة الأخيرة، من دوائر تخصص الإسلام، ولا يصح أن نردها كما يتقوونها دون تمحيص، إلا وهي مسألة «ذمينة التحريم، المزعومة». ولا اعتد أن الكاتبة الفاضلة ستخالفني الرأي الذي سأطرحه هنا، لأنها هي نفسها

تطاعوني في إلقاء اللوم عليهم ولا في الاستسلام لمنطق المؤامرة على العروبة وعلى الإسلام، لأنني إن قلت وصمت نفسي إلى أحسن الأحوال بالفضلة، لا أحد يهتم لأننا فقدنا موضوعيتنا ومصداقيتنا وفعلنا ولم يبق لنا إلا «السان».

لقد هنا حتى أصبحنا مجرد مواضيع للبحث، فصحفي - مع احترامي للجميع - يرجع المشكلة للفقر والحسد، وآخر يضع لنا «وصفة» في مجلة، وهذا يرجع الأمر لغياب الديمقراطية، وذلك لغيوب في مناهج التعليم، وكذا، والسبب في اعتقادي حالة الفوضى غير المسبوقة التي تعيشها - فوضى على القيم والمبادئ الإنسانية والدينية والفنية والسياسية - ومن هنا لا هم ولا نحن في الحقيقة قادرون على الفهم. ومن يستطيع أن يفهم والجمهوريات أصبحت تورث، والحكماء يظنون في السلطة حتى يموتوا في دول «ديمقراطية».

فهم تفسيرات معلبة على الطريقة الأمريكية وحالة «سبعمورية» تطبق على أناس الجميع، لأن ما حدث ما كان لأحد أن يتخيل حدوثه على الإطلاق، ولأن تفسيراتنا كانت هي الحقيقة إما مشاة أو تهيلة ولم تكن تفسيرات. فالعمليات الاستشهادية تجري في الأرض المحتلة منذ سنوات، واقفاً أمريكا نفسها من قبل في لبنان والسعودية، لكنها، سواء افقنا على ضرورتها أو لم نتفق، كانت على أرضنا، ولعدها للسياسة الأمريكية، التي لا تحتاج إلى يجهيد القراءة والتكاتب، ثابت في الشعور العربي نتيجة الانحياز الأمريكي السافر لإسرائيل لمدة تزيد على نصف قرن. إن من الذي جاء ودفع الأمور في اتجاه زلزال سبتية أنا بالفضل لا أملك إجابة، فأننا في الحل الأخير مجرد قارئ متذلل في محل سياسي، أنا فقط أشعر أن من الأسباب الأساسية لما حدث حالة القهر والاضلال العربي خاصة في القرن الأخير.

إن التحدي الحقيقي في رأيي هو تحد مع أنفسنا ومفكرتنا الحقيقية معركة لا بد أن تدار في الداخل أولاً حتى نستطيع أن نكسب احترام «وهم» الخارج، والمعارك التي أفسدها ليست من نوعية المعارك الحربية «السهلة» (وكلنا على علم بالمعارك

معتز محمود شكري
باحث وصحفي مصري

« نوى »

حوار الحضارات على أرض المغرب

« صراع الحضارات، تقابل الثقافات.. حوار الأديان والأفكار.. لقاء الشرق والغرب.. كلها عبارات تصكك الأسماع وشلا أعمدة الصحف ومقالات الكتاب وأبحاث المؤرخين، ولكنها تظل مجرد أقوال موهمة وعبارات فارغة من المعنوي، حتى يعاينها المرء على أرض الواقع.. متجلية في حياة الناس وسلوكياتهم، متمسكة في اختلاط المنتمين وامتزاج لغاتهم، تتخلل بها طرز العمارة والمباني، وملابس الناس وأزيائهم، وتخطيط الشوارع والمدن والحدائق، حتى يكاد المتأمل بين العناصر المختلفة أن يكون أمرا يصعب، وقصص حدود فاصلة فيه.

ولا يتكاد يوجد في العالم الحروس والإسلامي طفر تتجلى فيه هذه الظاهرة بأجلى صورها أكثر من المغرب، المغرب، وعلى وجه التحديد المملكة المغربية، التي ورثت تراثا عربيا إسلاميا، وأوروبيا أندلسيا، صحرائيا متوسطيا، بديها حضريا، ولا يملك الزائر للمغرب إلا أن يلحظ هذه الظاهرة في معظم مدنها بطابعها، ذلك الاشتباك المستمر بين الأصل الأندلسي العريق وثمرة التجديد والتفريق التي تطبع الكتلة العمرانية بطابعها، معظم المدن المغربية التي بقيت واسمترت وعمرت عبر التاريخ هي في الأصل قلاع من القرب عبر التصيق، أو الغزو القادم من القرب عبر التصيق، أو تاهيا لاستعادة الأرض التي ضاعت والمساكن التي دمرت واليهود التي نهبت، ثم هي في لحظات الهدوء والاستقرار، أن تنعم بسلامها وراحة الجبال، أو الانغماس في الفكر والعلمية، وبناء الصوامع والمساجد، والإبداع العقلي والفني حفاظا على الدين والتراث.

وما بين هذا موقعا للدفاع وموقع الهجوم، تلتفت الشخصية المغربية حولها إلى انتمائها بأيتها من الخارج أو ما يحاك لها في الداخل، ولا يملك المغرب في كل الأحوال أن يفتنم حياة العزلة والانكساع على الذات أو إغلاق الأبواب على نفسه، فالامتدادات الجغرافية المتواجدة، وسجل الريف الخضراء المتناوعة، والحدائق الممتدة من الساحر الأبيض المتوسط حتى الأطلنطي.. لا تترك مجالا للعزلة والتجود، بل هي دعوة صريحة للاندماج والتداخل والتفاعل، وهذا هو ممكن الخطر، إذ يصبح الموقع مجالا للإغراء وهذا سهلا للولوج

والتأثير والامتلاك، وهو يتنفس القدر فرصة للشراء المادي والعقلي والتواصل الحضاري والإنساني.



في الرباط سالت عامل الفندق، وهو لا يفتأ يحدثنني بالمغربية، عما إذا كانوا لا يتعلمون اللغة العربية أو يستخدمونها في حياتهم.. فرد على بلغة عربية مثمنة بنبرة فرنسية، أن العربية يتعلمونها في المدارس ولكنهم يستخدمون الفرنسية في أمور حياتهم وتعاملاتهم اليومية، وقال لي معتبرا أو موشعا.. إن المغرب أصبح عضوا مشاركا في الاتحاد الأوروبي، وإن الاستثمار الفرنسي ترك خلفه ثقافة اللغة ومفرداتها، وأنهم يفضلون اليوم على الدولار.. ومع ذلك فلا بد أن تلحظ أن معظم الصحف تصدر بالعربية وأن معظم الأغاني المنتشرة بين الشباب هي الأغاني المغربية واللبنانية، ربما بأصوات بعضها مغربية وفرانكوفونية، وفي الفترة الأخيرة بدأت تظهر في شوارع المدن المغربية معاهد ومراكز لتعليم الإنجليزية، فانظروا الأمريكي يحاول أن يجد له موقع قدم في شعب أمضى عدة قرون يحارب من أجل التخلص من النفوذ الإسباني تارة ثم من النفوذ الفرنسي تارة أخرى

وحيث يتأمل المرء تاريخ مدينة مثل الرباط، التي قامت على يد مرسى دولة الموحدين في القرن الثاني عشر.. فسوف يجد نفسه يراعى تاريخ حافل بالمضامير، إذ تأسست هذه المدينة لتكون حصنا ومقرا لتجمع المجاهدين، وحرمة وصل في ملحمة الموحدين الزاحفين في طريقهم لاستعادة الأندلس، وأطلق عليها «رباط الفتح»، تذكيرا بالعلماء المخضر من المسيحيين والإسبان، واستغرق التاريخ ثمانية قرون في الذي القائل بين دولة الموحدين وبين الإقامة العامة للحمامة الفرنسية، في بداية القرن العشرين.. ظلت الرباط خلالها تستقبل أعدادا كبيرة من الزائرين المسلمين، عسكرا، ثقافيا، أو أندلس.. ووشك، ويحكم موقعها في تواصل مسيرتها وكأنها في حالة تأهل دائم للجهد، ولكن سرعان ما جاء التفاعل ليعيدوا تخطيط المدينة في محاولة لرجع المدينة العتيقة بالامتدادات العمرانية

الجديدة، مع المحافظة على طابعها التاريخي القديم.



أكبر الظن أن النفوذ الفرنسي في المغرب لم يتشأ ويتوسع إلا لحقاه الأطماع الإسبانية القديمة التي لم تتوقف حتى الآن، فمارزنتهاك محميات إسبانية فوق التراب المغربي مثل سبتة ومليلة، ومارزنت إسبانيا تعارض التخلي عن هذه المحميات وتقرض فيها وجودا عسكريا بغيضا، وحين ثارا خيرا نزاع بين المغرب وإسبانيا حول جزيرة صغيرة لرعى الأغنام تقع في قلب الجاه الإقليمية المغربية، لم تتوقف إسبانيا عن تحريك أساطيلها وقواتها، وأظهر عضلاتها العسكرية مهددة باستخدام القوة.

ويشير المغاربة بأن الإسبان مارزناو يقفون للمغرب بالرمصا ويحربونها منطقة نفوذ حيوي لهم بالشرق الاستعماري القديم، فهي تحتل سبتة ومليلة في الشمال، وتحرس، بمساعدة الجزائر، العناصر الانفصالية لجمهورية الصحراء في الجنوب، وقالت لي صحفية مغربية شابة، إن الإسبان لا يريدون أن ينسوا تلك الحادثة التاريخية التي بسط فيها أهل المغرب سلطانهم ونفوذهم وحضارتهم ولغتهم على إسبانيا وأقاموا فيها تلك الحضارة الأندلسية الباهرة سبعة قرون أو يزيد، وهم على استعداد لفعل كل شيء من أجل أن يعود للمغرب وضعه القديم، حتى لو أتى بالدولة القديمة سبتة ومليلة كقواعد عسكرية تحلف الأطلنطي أو الأمريكاني.

وحيث قطعت الطريق بالسيارة من الرباط إلى تطوان ثم طنجة في القسي الركن الشمالي من المغرب على ساحل البحر المتوسط، أفركت لذا أفريت مناطق الريف الجبلية بسمويتها وعضائها الخضراء الباقية الأندلسية المألوية بعض الحركات الانفصالية كذلك التي قادها عبد الكريم الخياط، وإن كانت القرى المسيحية التي تشتهر على شاطئها قد جعلتها حروا إشعاع دولي ومحل، تظهرها شروات طبيعية من الأراضي الزراعية والحدائق والغابات التي تغطي مرتفعاتها المتناوعة وتتضفي على الطبيعة فيها سحرا خاليا.

وعلى عكس الرباط، تبدو كل من تطوان وطنجة وكثافها تحمل بصمات حضور إسباني أندلسي لا شبهة فيه، بمبانيها البيضاء، وعمارتها المميزة، وفضائلها المتمد عبر الأفق، وقصبتها التقليدية ذات الشوارع الضيقة الرملية، وأسواقها القديمة، وبساتينها العامرة بالأشجار.

وتطوان وتاريخ طويل مع الاستعمار الإسباني والبرتغالي.. ومنذ القرن الخامس عشر لدواولتها الأيدي بين الاستعمار الإسباني تارة والعودة إلى الأحضان العربية المغربية تارة أخرى، واحتلها الإسبان في بداية القرن العشرين وجعلوها عاصمة لمنطقة الحماية الإسبانية، ومازالت عدد كبير من سكان تطوان يتكلمون اللغة الإسبانية إلى جانب العربية، ولم اخف دهشتي حين حضرت حفلا لفكرة إسبانية للرقص الإيقاعي الحديث في المسرح الكبير بتطوان، اعتلا عن أخره بجموع مختلص من المغاربة والأجانب.

ولكن إلى جانب هذه المشاهد الحديثة، بقيت المدينة القديمة جزءا من نسج عمراني متوحد.. فسود بمنتهى اليسر إلى القصبة بأزقتها الضيقة، حيث تتركز المساجد والزوايا والأضرحة والسقايات، وإذا فذلك فذلكا إلى أحد البيوت القديمة التي تحولت إلى مطعم تقليدي.. فسوف تجد بضع ساعات في أجواء عابقة يعطر التاريخ.. تتناهي إلى أسماعك أصوات المأذنين للتموشحات ولتذوق المذايق النخبوية وأشعار الغزل العربي القديم، تعبد إنتاج مرحلة من التاريخ ذهبت في طوابع الماضي البعيد، لا يوجد من الدلائل ما يشير إلى أنها قد تصد.. ولكنها هي الأحوال لتطرح قضية التفاعل بين الحضارات والثقافات، وتبرهن على أن حروب القديمة والغزو الاستعماري الثقافي يأسكها القديمة رسما تكون قد انتهت، ولكنها تتخذ في عالمنا المعاصر أشكالا جديدة وأطوارا أخرى أكثر تعقيدا، تعبد صياغة حضارتها ومستقبلنا كأفراد وجماعات وشعوب.

سلامة أحمد سلامة

أحدث الإصدارات من

دار الشروق



تطلب من

دار الشروق ٨٠ شارع سيديييه المصري - رايمة العلوية - مدينة نصر لاهون ٤٠٣٣٩٩ ومكتبة الشرق ١٠ ميدان طلعت حرب لاهون ، ٣١١٢٢٨٠
ومكتبة الشرق ، مبنى فرست أمام حديقة الحيوان ٣٥ ش الجزيرة محل رقم ١٩ لاهون ، ٥٧٣٥٠٣٥

كما يمكنك شراء إلكترونيا www.s-kotob.com

احصل الآن

مع "وثيقة البنك العربي ذات العائد متعدد العملات" على

١٤%



واستفد من هذا الفارق الكبير بين سعري الفائدة بين الجنيه المصري والعملات الأجنبية، مع ضمان تلبية احتياجاتك من العملات الحرة

- يتم استبدال أية مبالغ من العملات الحرة ترغب في تحويلها إلى الجنيه المصري عن طريق البنك وفقاً للأسعار المعلنة.
- الحد الأدنى للوثيقة ٢٥ ألف جنيه مصري.
- مدة الوثيقة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.
- العائد متغير ويصرف كل ٣ شهور.
- يجوز الحصول على العائد بالدولار الأمريكي أو أية عملة محسوبة بالسعر المعلن يوم صرفه.
- يمكن استرداد قيمة الوثيقة بالجنيه المصري بعد ٦ أشهر من تاريخ الاصدار (وفقاً لجداول الاسترداد).

البنك العربي
ARAB BANK



رؤية جديدة

www.arabbank.com

لمزيد من المعلومات اتصل بـ ١٩١٠٠ بالإضافة إلى ٣٣١ ٩٩ ٢٢

(٧ أيام في الأسبوع من ٩ صباحاً حتى ٩ مساءً)